تفسير الغزالي المسمى بياقوتة التأويل تاريخ تأليفه ٨١١

١٤٠٠

٢١٥ ورقة مجلد

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير تبارك دام وقيل
دام بره وثبت خيره وصدر علي وجه لا يختص ولا يحصي ولا يحصى وقيل كثرت
بركات اسمائه وقيل وصلت بركات نعمه الي خلقه ولا منافاة بين هذه
المعاني بل كل واحد منها قريب من الاخر وقيل معناه تعالي وتعاظم عن
صفات المخلوقين الذي بيده الملك ملك السموات والارضين وما بينهما
وملك الجسمانيات والروحانيات والعرش وما فوقها والثري وما تحتها
وكل ما كان وما لم يكن وما هو كاين كلها مقهورة في قبضة قدرته
وهو المتصرف فيها كلها وهو علي كل شي لا يعجزه شي الذي خلق الموت والحيوة
قدم الموت ترهيبا وتقريبا وقال الاخفش خلق الموت اي الدنيا التي
هي لموت اهلها والحيوة اي الاخرة التي هي لحيوة اهلها اي موت كل ميت
وحيوة كل حي وهو خالق الاعيان والصفات قدم الموت لكونه اقرب
الي القهر ولان القران موعظة وذكري وفي الموت موعظة بليغة كما
قال عليه السلام كفي بالموت واعظا ليبلوكم ايكم احسن عملا عن ابن عمر رضي الله عنهما
عن النبي صلي الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله وعن ابي قتادة قال قلت يا رسول الله ارايت قول الله عز وجل
ايكم احسن عملا ما عني به قال يقول ايكم احسن عقلا ثم قال النبي عليه السلام
اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله ونهي عنه نظرا وان كانوا
اقلكم تطوعا عن ابرهيم بن شعيب عن فضيل بن عياض ليبلوكم ايكم
احسن عملا قال اخلصه واصوبه قلت ما اخلصه واصوبه قال ان
العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا
لم يقبل حتي يكون خالصا صوابا والخالص اذا كان لله والصواب اذا كان
علي السنة وقال الحسن يعني ايكم ازهد في الدنيا واترك لها تركا وقال سهل
ايكم احسن توكلا علي الله المراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها علي العمل

وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الي اختيار العمل الحسن عن القبيح لان وراءه
البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت علي الحيوة لان احسن الناس عملا من
نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الي الغرض المسوق له الاية اهم وهو
العزيز وهو الغالب الذي يقهر ولا يقهر لا يعجزه من اساء العمل الغفور يصون
التايب من الاساءة عن ان يمسه العذاب الذي خلق سبع سموات طباقا فاطبق
علي طبق بعضها فوق بعض عن ابي جعفر عن الربيع عن كعب انه قال سماء
الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر
او قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين
السماء السابعة الي الحجب صحاري من نور واسم صاحب الحجب فيطاطروس
ما تري في خلق الرحمن من تفاوت من اعوجاج واختلاف وتناقض
وتباين بل هي مستوية مستقيمة وضع الظاهر موضع الضمير تعظيما
لخلقهن وتنبيها علي سبب سلامتهن من التفاوت والخطاب في ما تري
وفارجع لكل مخاطب والفاء للسببية يعني فارجع البصر حتي تستيقن صحة
ما ادعينا وتقدير الكلام انظر ثم ارجع هل تري من فطور فتوق وشقوق
ثم ارجع البصر اي كرر النظر كرتين مرتين امره بتكرير البصر فيهن متصفحا
متتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي يرجع
اليك البصر بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن
ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد ومعني
التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة بعضها في اثر
بعض ومعني قوله ثم ارجع اي لا تقنع بالرجعة الاولي بل توقف وعاود ثم عاود
الي ان يحسر بصرك من طول المعاودة حتي تعاين انه لا يعثر علي شي من
فطور وعيب وخلل ولقد زينا السماء الدنيا اي القربي منكم بمصابيح اي
لقد زينا سقف الدار التي جعلت مجتمع عبادي بسرج لا تواريها اضاءة
سرجهم التي يزينون بها مساجدهم ودورهم وجعلناها رجوما مراجم للشياطين

اعدائكم قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات
يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ومعرفة الاوقات فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف
ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض والسماء نجم ولكنهم يبتغون
الكهانة ويتخذون النجوم علة ومعنى كونها مرامي ان الشهب التي تنقض لرجم المسترقة
منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون الكواكب انفسها فانها قارة في الفلك وما ذاك الا كقبس
يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص قيل منهم من يقتله ومنهم من يخبله وقيل
معناه جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب
السعير في الآخرة وللذين كفروا بربهم ايضا عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها
شهيقا صوتا كصوت الحمار وهي تفور قال مجاهد تفور بهم كما تفور الحب القليل في الماء الكثير
تكاد تميز من الغيظ تفرق بعضها من بعض على اهلها غضبا وانتقاما لله كلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير مالك واعوانه تقريعا قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وجل ازاح عللهم ببعثة
الرسل وانزال الكتب وانذارهم ما وقعوا فيه كما مر في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا ان انتم اي ما كنتم في الدنيا الا في ضلال كبير في خطاء عظيم حيث كذبتم الرسل
مع العلامات الدالة في افعالهم واقوالهم واحوالهم على صدقهم وقالوا وهم في النار لو كنا نسمع
الانذار اي نقبله او نعقل قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به اي لو كنا نسمع
سماع الطالبين الحق ونعقل عقل المتأملين ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لاصحاب السعير فبعدا لهم وقال سعيد بن جبير هو واد في جهنم قال ابن عباس ان الرجل ليجر
الى النار فتنزوي وتنقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن ما لك قالت انه كان يستجير
مني فيقول ارسلوا عبدي وان الرجل ليجر الى النار فيشهق اليه النار شهيق البغلة
الى الشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف ان الذين يخشون ربهم نزلت في المشركين
كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فيه ونالوا منه
فيقول بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم بالغيب لهم مغفرة
واجر كبير واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بضمايرها قبل ان يترجم الالسنة

عنها الا يعلم من خلق اي الخالق مخلوقه وهو اللطيف العالم بدقايق الامور وغوامضها الخبير من
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا مقهورة منقادة تحت اقدامكم سهلة غير مستصعبة ولا ممتنعة
فامشوا في مناكبها جوانبها واطرافها وهو مثل لفرط التذلل لان المنكبين ابنا عضو عن الوطي
بالاقدام فاذا جعلها الحيث يوطئا بالاقدام فقد سخرها لكم غاية التسخير وكلوا من رزقه الحلال
الحاصل من الارض واليه النشور فلا تنسوا رجوعكم الى ربكم فتزودوا منها فان خير الزاد التقوى
وهو المقصود من تذليلها لكم وترددكم عليها والحاصل وايجاد رزقكم ءامنتم من في السماء
المأولون في تأويله وجوها احدها من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته ثانيها
انهم كانوا يعترفون بانه اله السماء ويزعمون ان الاصنام آلهة الارض والله تعالى اله السماء
في السماء فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم ان عصيتم من تزعمون انه في السماء والا فهو متعالى
ومنزه عن المكان وكانوا يدعون اليه من جهة السماء وينتظرون نزول امره بالرحمة
والسطوة منها ثالثها من فوق السماء كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها وفوقيته منزهة
عن مشابهة فوقية الاجسام رابعها ان في بمعنى على كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل
فمعناه انه مالكها القايم عليها كما يقال فلان على الحجاز والعراق وفلان على خراسان يعنون
انه واليها واميرها واعلم ان الآيات والاخبار الصحاح في هذا الباب كثيرة فطلبها الى العلوية
مشير ولا يدفعها الا ملحد جاحد وجاهل ومعاند والمراد بها والله اعلم تعظيمه وتوقيره
وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة دون ان يكون موصوفا بالاماكن
والجهات والحدود والحالات لانها صفات الاجسام وامارات الحدوث والله تعالى كان
ولا مكان فخلق المكان وهو الآن كما كان وانما ترفع الايدي نحو السماء عند الدعاء لانها مهبط الوحي
ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين المقربين من ملائكته واليها ترفع اعمال
عباده وفوقها جنته وعرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور
قال ابن كيسان يهوي بهم وقيل يدور بهم في قعرها والمور الجريان السريع ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا اي ريحا عاصفا ترمي بالحصباء وهي الحجارة اي امنتم ان يفعل بكم ما فعل
بقوم لوط وباصحاب الفيل فستعلمون اي اذا رايتم المنذر به تعلمون كيف نذير انذاري
حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي انكاري اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن ويتخذ منه القبض تارة بعد تارة

كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي
وبني اجسام على اشكال وخصايص حتى تاتي منها الجري في الجو انه بكل شي بصير يعلم
يعلم كيف يخترع وكيف يدبر العجايب ام من هذا الذي اي من يشار اليه ويقال هذا الذي
هو جند لكم ينصركم ان ارسل عذابه من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور ام من
يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا تمادوا في عتو ضلال ونفور
شراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى في الضلالة والجهالة
اعمى القلب لا يبصر يمينا ولا شمالا ويمشي في مطان غير مستو فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه
فحاله نقيض ام من يمشي سويا قايما سالما من العثور والخرور على صراط مستقيم يعني على
دين الاسلام وهو المطيع قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون
والشكر الامتثال بالاوامر والانتهاء عما نهى الله قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما
راوه اي العذاب زلفة قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اي سائت روية العذاب وجوههم
بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا كما يكون وجه من يقاد الى القتل
واسودت وقيل قال لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون تسالون وقال الحسن
تدعون ان لا جنة ولا نار قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم اي نحن مع ايماننا خايفون لان له ان ياخذنا ويعاقبنا
ويهلكنا لان حكمه جايز وامره نافذ وفعله واقع في ملكه فنحن مع ايماننا خايفون
من عذابه فمن يمنعكم من عذابه وانتم كافرون قاله ابن عباس واختاره عبد العزيز
وابن كيسان قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين نحن
ام انتم قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا غايرا ذاهبا في الارض فمن ياتيكم بماء معين طاهر
تناوله الايدي وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجي به الفوس والمعاول فذهب
ماء عينه نعوذ بالله من الجراة على الله وعلى اياته عن ابن عباس قال قال النبي عليه السلام
وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مومن وعن عبد الله بن مسعود قال اذا وضع
الميت في قبره يوتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة
تبارك الذي بيده الملك ويوتى من قبل راسه فيقول لسانه ليس لكم علي من سبيل لانه كان يقرا بي

سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب القبر بسم الله الرحمن الرحيم
ن قال اكثر المفسرين هو الحوت ويسمى لوتيا لما خلق الله الارض بعث تحتها ملكا فهبط حتى دخل
تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب باسطتين قابضتين
على الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدمه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من الفردوس
ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قايمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر
قدماه فاحدر الله تعالى ياقوتة حمراء من اعلى درجة الفردوس مسيرة خمسماية عام فوضعها
على سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة عن اقطار
الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا مد نفسه
جزر البحر فلم يكن لقوايم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء كغلظ سبع سموات وسبع
ارضين فاستقرت قوايم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة الاية
فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وساير
جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة يقل الدنيا كلها بما عليها
حرفان من كتاب الله عز وجل قال لها الجبار كوني فكانت وقال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل
الى الحوت الذي على ظهره الارض كلها فوسوس اليه وقال اتدري ما على ظهرك يا لوتيا
من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك اجمع قال فهم لوتيا
ان يفعل ذلك فبعث الله عز وجل دابة فدخلت منخره ودخلت الى دماغه فعج الحوت
الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب والذي نفسي بيده انه لينظر اليها وينظر اليه
ان هم بشي من ذلك عادت كما كانت وقيل هو اختتام اسمه الرحمن وهي رواية عكرمة
عن ابن عباس قال الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقال عطاء افتتاح اسمه
نور وناصر ونصير وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصرته المومنين بيانه قوله
كان حقا علينا نصر المومنين وقال الحسن وقتادة والضحاك هو الدواة وهو رواية
ثابت عن ابن عباس وقال معاوية بن قرة هي لوح من نور رفعه الى النبي عليه السلام
قال جعفر الصادق رضي الله عنه وهو نهر في الجنة والقلم هو الذي كتب به الذكر وهو قلم من

طوله ما بين السماء والارض وقيل اراد به الخط والكتابة قال ابن هيثم من جلالة
القلم انه لم يكتب الله عز وجل كتابا الا به لذلك اقسم الله تعالى به قيل الاقلام مطايا
الفطن ورسل الكرام وقيل القلم الطلسم الاكبر وقيل البيان اثنان بيان لسان
وبيان بنان ومن فضل بيان البنان ان ما يثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان
تدرسه الاعوام وانشد فيه واخرس ناطق بالمحكات وجثمانه صامتا اجوف
بمكة ينطق في خفية وبالشام منطقه يعرف وما يسطرون اي السفرة
وقيل الحفظة وقيل جميع الكتبة اقسم بالقلم تعظيما له لما فيه من الحكم العظيمة والمنافع
الجلية التي لا يحيط بها الوصف وبما يكتب من كتب ما انت بنعمة ربك بمجنون اي ما
انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة العقل والمعنى استبعاد ما كان ينسبه
اليه كفار مكة عداوة وحسدا وقيل معناه انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله سبحانه وتعالى
عليك بالنبوة والحكمة ويحتمل ان يكون المعنى ما انت بجاهل وغير عارف بنعمة ربك
بل اعداؤك هم المجانين لا يدركون اصلا انعم ربهم عليهم ويعبدون بغير المنعم عليهم والمربي
لهم ويعصون منعمهم ومربيهم ولا يشكرون له بل يكفرون ومن جملة النعم ارساله
اليهم وانزال القرآن عليهم وهذا كانه تعريض لهم ومبالغة في عدم ادراكهم واحساسهم
بذلك وان لك لاجرا غير ممنون غير مقطوع ولا منقوص على تحمل اذيتهم وتجرع
غصصهم ونسبتهم اياك بالجنون وانك لعلى خلق عظيم كان النبي صلى الله عليه وسلم
كثير الضراعة والابتهال دايم السوال ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق
وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات
الاخلاق فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل الله تعالى
عليه القرآن فادبه فكان خلقه القرآن قال سعيد بن هشام دخلت على عايشة رض
فسالتها عن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قالت اما تقرا القرآن قلت بلى
قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما ادبه بالقرآن بمثل
قوله تعالى خذ العفو الآية وبقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية

وبقوله

وبقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وبقوله ولمن صبر وغفر وبقوله
فاعف عنهم واصفح وبقوله وليعفوا وليصفحوا وبقوله ادفع بالتي هي احسن
وبقوله والكاظمين الغيظ وبقوله اجتنبوا كثيرا من الظن الآية وبقوله ليس لك
من الامر شيء وهو المقصود الاول من التاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور
على الكافة فانه ادب بالقرآن وادب الخلق به قال ابو هريرة قال النبي عليه السلام
بعثت ليتمم مكارم الاخلاق وفي رواية لاتمم مكارم الاخلاق ثم لما اكمل الله تعالى
خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه
انظر الى عميم فضله فكيف اعطى ثم اثنى وهو زينه بالخلق العظيم ثم اضاف اليه
ذلك وقال وانك لعلى خلق عظيم ثم بين صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله تعالى يحب مكارم
الاخلاق ويبغض سفسافها قال على رضي الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم
في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي
له ان يتسارع في مكارم الاخلاق فانها مما يدل على سبيل النجاة فقال له رجل سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما اوتي بسبايا طي وقعت
جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني
بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجايع ويطعم الطعام
ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جارية هذه المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها
كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة وقال
يا رسول الله ان الله يحب مكارم الاخلاق قال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة
الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة
واكرام الضيف ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة
المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاوره وتوقير

ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة
والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والباطل والغناء
والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب والغيبة والشح والجفاء والمكر
والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر
والاختيال والاستطالة والمزح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان
والظلم قال انس فلم يدع نصيحة جميلة الا قد دعانا اليها ولم يترك شرا الا قد حذرنا
ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الاية ان الله يامر بالعدل والاحسان قال معاذ اوصاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا معاذ اوصيك باتقاء الله وحسن الحديث والوفاء
بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الاخرة والجزع
من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حليما او تكذب صادقا او تطيع اثما او تعصي
اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند كل حجر ومدر وشجر وان تحدث
لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم
الى مكارم الاخلاق وكان عليه السلام احلم الناس واسخى الناس واعف الناس
واعدل الناس لم يمس قط يده امرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه
وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل
لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما اتاه الله تعالى الا قوت عامه فقط
لاهله من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئا الا اعطاه
ثم يعود الى قوت عامه فيؤثر منه وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة
اهله ويقطع اللحم معهن اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر
والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا ياكل
الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ
الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين

وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال
انا لا نستنصر بمشرك وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وياكل
ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون
خبز اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان
وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل
متكئا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة
ايام متوالية حتى لقي الله ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة
ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس
اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من
امور الدنيا ويلبس ما وجد يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه
مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا
حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة
يحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين
يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم يقبل
معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير
قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات
عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان
له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في ماكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت
في غير عمل الله تعالى او فيما لا بد منه من صلاح نفسه يخرج الى
بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب
ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا ما شتم احدا من
المؤمنين بشتيمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له
وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث
لعانا

وكان اذا سيل ان يدعو على احد مسلما او كافر عام او خاص عدل
عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب
بها في سبيل الله وما انتقم من شي صنع اليه قط الا ان ينتهك حرمة
الله وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه
اثم او قطيعة رحم وما كان حر او عبد يقيمه الا قام معه في حاجته
قال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شي كرهه قط لم فعلته
ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر
ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الارض وقد وصفه
الله تعالى في التورية في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي
المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابا وملكه بالشام
يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة القرآن والعلم ويتوضا
على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان من قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل
يده حتى يرسلها الاخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بداه بالمصافحة
واخذ يده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله
وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته واقبل عليه فقال
الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه
شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث
ما ينتهي به المجلس جلس وما روي قط مادا رجليه بين اصحابه وكان
اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما
بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه
وكان يوثر الداخل بالوسادة التي تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه
حتى يفعل

وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حيث كان يعطي كل من
جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه
للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال الله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الاية ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم
واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان
يكني ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم تلدن يبتدي لهن الكنى ويكني
الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان
اراف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن يرفع
في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل وكان
نزر الكلام سمح المقال وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه
بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن
الناس نغمة لا يتكلم من غير حاجة ولا يقول في الرضاء والغضب الا الحق ويعرض
عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه
ولا يتنازع عنده الحديث ويعظ بالجد والنصيحة وكان اكثر الناس تبسما في وجوه
اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخليطا لنفسه بهم وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
اقتداء به وتوقيرا له لم يكن يغضب الا لله واذا غضب لم يقم لغضبه شي وكان
اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرا من الحول والقوة واستنزل فيقول اللهم
ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان
يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ
رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي
الى صراط مستقيم وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف وكان يأكل خبز الشعير غير منخول
وما ذم طعاما قط وكان في بيته اشد حياء من العاتق وكان يقول لا يبلغني احد
بخير

منكم من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر وكان يركب الحمار
موكفا وكان اصحابه لا يقومون اليه لما عرفوا من كراهيته ذلك وكان يمر علي
الصبيان ويسلم عليهم واتي برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست
بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس مختلطا باصحابه
كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري ايهم يسال وكان لا يدعوه احد الا قال لبيك
قال جنيد سمي خلقه عظيما لانه لم يكن له همة سوي الله وقال الواسطي لانه
جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل عظم خلقه حيث صغر الاكوان في عينه بعد
مشاهدة مكونها فهذه قطرة من بحار محاسن اخلاقه قال عليه السلام
ادبني ربي فاحسن تاديبي عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قايم الليل صايم النهار وعن ابي الدرداء
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما شيء اثقل في الميزان من خلق حسن
وقال الفضيل قيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم
الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال
عليه السلام سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال عليه السلام
ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احسنكم اخلاقا وقال انس قال عليه السلام
ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد وقال اليمن حسن الخلق
وقال من سعادة المرء حسن الخلق وعن ام حبيبة قال عليه السلام ذهب حسن
الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال عليه السلام سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء
الظن خطيئة تفوح وعن انس بن مالك قال عليه السلام ان العبد ليبلغ بحسن
خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وقال انس
بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلي درجات الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء
خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد وسيل ابن عباس ما الكرم قال ما بين الله
بكتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا
وقد مر تحقيقه واقسامه واركانه

ما الكرم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

فلا نعيده فستبصر فستري يا محمد ويبصرون يعني الذين رموه بالجنون بايكم المفتون
اي المجنون لانه فتن اي محن بالجنون والمفتون مصدر كالمعقول والمجلود
اي باي الفريقين الجنون ومعناه باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين
ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل
والوليد بن المغيرة وامثالهما ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي بالمجانين
علي الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين بالعقلاء وهم المهتدون
او يكون وعدا ووعيدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم
علي معارضتهم وكانوا قد ارادوه ان يعبد الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه
غوايلهم ودوا لو تدهن لو ترخص فيدهنون فيترخصون ولا تطع كل حلاف
كثير الحلف في الحق والباطل وكفي به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالي
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم حكم الاية عام ومورده خاص يعني اخنس بن شريق
كما مر في تفسير قوله ويشهد الله علي ما في قلبه وقيل الوليد بن المغيرة وقيل
الاسود بن عبد يغوث وعن ابن عباس انه ابو جهل مهين حقير لان كثرة الحلف والكذب
من مهانة النفس وحقارته هماز عياب طعان مشاء بنميم نقال للحديث
من قوم الي قوم علي وجه السعاية والافساد بينهم مناع للخير بخيل او مناع الناس
عن الاسلام واحكامه معتد ظلوم اثيم فاجر فاسق عاص كثير الاثام عتل العتل الاخذ
بجامع الشيء لجره بقهر والعتل الاكول المنوع الذي يعتل الشيء عتلا عن ابن عمر العتل
الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك سبعين
الف دفعة وقال الحسن العتل السيء الخلق قال مقاتل الضخم بعد ذلك اي مع ذلك
وهو يعني ثم زنيم اي دعي قال الهمداني زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم
وعن عبد الرحمن بن غنم قال سيل النبي عليه السلام عن العتل الزنيم قال هو شديد
الخلق الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف
وعن شداد بن اوس قال قال النبي عليه السلام لا يدخل الجنة جواظ ولا
جعظري ولا عتل ولا زنيم قال فقلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجعظري

قال الفظ الغليظ قلت فما العتل الزنيم قال كل رحب الجوف وسيء الخلق اكول شروب
ظلوم غشوم وعن زيد بن اسلم في قوله تعالى زنيم قال عليه السلام يبكي السماء
من رجل اصح الله جسمه وارحب جوفه واعطي من الدنيا مقضيما وكان للناس ظلوما
فذلك العتل الزنيم قال ويبكي السماء من شيخ زان ما تكاد الارض تقله واكثر العلماء
علي ان الزنيم الدعي الشريري وانما قال بعد ذلك لان كونه جافيا فيادعيا اقبح معايبه
لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا علي كل معصية ونقيصة ولان الغالب
ان النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها حدثنا الحسين بن محمد الحسين بن عبد الله
المغربي ثنا محمد بن الحسن بن بشر ثنا ابن عتيق ثنا يوسف بن اسباط عن بني اسرائيل
عن فضيل بن عمر عن مجاهد عن ابن عمر عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير وعن ميمونة
زوج النبي صلي الله عليه وسلم يقول لا يزال امتي بخير مالم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشي فيهم
ولد الزنا فيوشك ان يعمهم الله بعقاب ان كان ذا مال وبنين اي لا تطع مع هذه المثالب
ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده علي معني لكونه ذا مال وبنين
طغي وكذب باياتنا ولم يقبل لان الانسان يطغي ان راه استغني اذا تتلي عليه اياتنا
قال اساطير الاولين سنسمه علي الخرطوم الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم
موضع في الوجه لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز وقالوا فلان شامخ بانفه وشامخ العرنين
وقالوا في الذل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم علي الخرطوم وبلفظ الخرطوم عن غاية
الاذلال والاهانة لان السمة علي الوجه شين واذلال فكيف بها علي اكرم موضع منه وهذا
وعيد لابي جهل ووعد وبشارة للمومنين وقد انجز الله وعده هذا يوم بدر مع
كثير من مواعيده وسنذكرها في قوله لنسفعا الاية ان كان المراد ابا جهل وان كان الوليد
فقد قاتل يوم بدر وخطم بالسيف في القتال وقال قتادة سنلحق به شينا لا يفارقه
في الدارين وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يتبين بها عن
ساير الكفرة كما عادي رسول الله صلي الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم انا بلوناهم يعني اهل
مكة بالقحط

٥

والجوع وغير ذلك كما بلونا اصحاب الجنة قال ابن عباس هي بستان باليمن يقال له الضروان
دون الصنعاء بفرسخين تطاه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلوة فكانت
لرجل كان يترك للمساكين ما تعداه الجذ فلم يجذه فاذا طرح من فوق النخل الي البساط
فكل شي يسقط الي البساط كان له وما تعداه فهو ايضا للمساكين واذا احصد زرعه
فكل شي تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوا كان لهم كل ما ينتثر ايضا في اسفل الاكداس
واذا قطفوا العنب كان للمساكين ما اخطاه القطاف ثم اذا فرغ كان يخرج العشر
من العنب ثم اذا يبس يخرج العشر من زبيبه ويخرج من دبسه واذا اتخذ منه
حلواء او فالوذجا يخرج عشره منها وكان يعطي العشر من القصيل ومن الحزم
ومن الحب ومن الدقيق ومن العجين ومن الخبز وكان يعطي العشر من الرطب
والتمر وكان يعشرها مرات كثيرة وكان يوصي اولاده بذلك فمات فورثه ثلثة
بنين له فلما ورثوا سفهوا راي ابيهم فقالوا انا لا نستطيع ان نفعل ذلك فتحالفوا
بينهم يوما ليغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا لم يقولوا
ان شاء الله فغدوا في السدف من الليل الي جنتهم ليصرموها فراوها مسودة وقد
طاف عليها من الليل طايف من عذاب اصابها فاحرقها فاصبحت كالصريم فذلك قوله
اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين قبل ان يعلم المساكين ولا يستثنون والا يقولون
ان شاء الله وانما يسمي هذا القول استثناء وان كان شرطا لتضمنه معني الاستثناء
اذ معني قولك لاخرجن ان شاء الله لا اخرج الا ان يشاء الله فطاف عليها طايف عذاب
من ربك ليلا ولا يكون الطايف الا بالليل وكان ذلك نارا انزلت من السماء فاحرقها
وهم نايمون فاصبحت كالصريم كالليل المظلم الاسود قال الحسن اي صرم عنها الخير
فليس فيها شي قال ابن كيسان كالحرة السوداء فتنادوا مصبحين ان اغدوا
علي حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون يقول بعضهم لبعض
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين كان ينهي بعضهم بعضا عن تمكين المسكين منه
اي لا تمكنوه من الدخول حتي يدخلها وغدوا علي حرد وهو المنع عن حدة وغضب
قادرين علي حرد وقال سفيان علي حنق وغضب وقيل معناه عزموا علي منعهم

وان لحرمونم وهم قادرون علي نفعهم فغدوا علي حرد اي فاقة وذهاب مال
لايقدرون فيها الا الحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان
وقيل معناه علي محاردة جنتهم وذهاب خيرها بدل كونهم قادرين علي اصابة
خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين علي الحرمان مكان الانتفاع ولما خبثت نيتهم
عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها ومنافعها فلم يغدوا علي حرث وانما
غدوا علي حرد وقادرين للتهكم علي هذا التقدير ويجي الحرد بمعني الحرد بالتحريك
اي لم يغدوا الا علي حنق وغضب بعضهم علي بعض كقوله يتلاومون ويجي بمعني
القصد والسرعة اي غدوا قاصدين الي جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند
انفسهم يقولون نحن نقدر علي صرامها وحرمان المساكين وقيل حرد علم الجنة
فلما راوها قالوا انا لضالون الطريق وليس هذا جنتنا فلما تاملوا وعرفوا
انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها بمنعنا المساكين وخبث نيتنا
وتركنا الاستثناء قال اوسطهم اعدلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون الله لولا
تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا
علي ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة
من فوركم وسارعوا الي حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم قالوا
سبحان ربنا انا كنا ظالمين ينزهونه عن ان يكون ظالما واقروا علي انفسهم بالظلم
في نيتهم منع المعروف وترك الاستثناء وقلة مبالاتهم واستحيائهم عن الله وكفران
نعمه فاقبل بعضهم علي بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من
زين ومنهم من قبل ومنهم من سكت ومنهم من امر بالكف وحذر ومنهم من
عصي الامر قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين قال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها
ولم نصنع ما صنع اباؤنا عسي ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الي ربنا راغبون
طالبون منه الخير راجعون بعفوه قال عبد الله بن مسعود بلغني ان القوم
اخلصوا وعرف الله عز وجل منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال بكر بن سهل الدمياطي حدثني

ولو تري اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون الاية

ابو

ابو خالد اليمامي انه راي تلك الجنة فقال رايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم
كذلك العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدي حدودنا وخالف امرنا ولعذاب
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم جنات ليس فيها الا
التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون
وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بما وعد الله المؤمنين
قالوا ان صح انا نبعث كما يزعمون لم يكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا ولم يزيدوا
علينا واقصي امرهم انهم يساوون فقال افنجعل الحيف في الحكم افنجعل المسلمين
كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتي تحكموا
فيه ما شئتم ام لكم كتاب من السماء فيه في ذلك الكتاب تدرسون وتقرؤون ان ما
تختارونه وتشتهونه ان لكم فيه لما تخيرون تخير الشي واختاره اذا اخذ خيره وافضله
ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ام لكم علينا بالغة يقال لفلان علي يمين بكذا اذا
ضمنه منه وحلف له علي الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية
في التوكيد ثابتة لكم علينا الي يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا اعطيناكم
ما تحكمون ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معني ام لكم علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك
الحكم زعيم اي قايم به كفيل بالاحتجاج بصحته ام لهم شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول
ويوافقونهم فليأتوا بشركائهم يشهدانهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم
هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم
به يوم نصب بفليأتوا او باضمار اذكر يكشف عن ساق وقري بالتاء علي بناء الفاعل
والمفعول جميعا والفعل للحال اي تشتد الحال وعلي قراءة الياء تقديره يشتد
الامر ويتفاقم وكشف الساق مثل في صعوبة الخطب وشدة الامر كما يقال
قامت الحرب علي ساقها فيكل اصله اذا اخرج رجل الفصيل من بطن امه يقال
كشف عن الساق ثم استعير لكل شدة والحق ان الاية من المتشابهات كما قال تعالي
منه ايات محكمات واخر متشابهات وحكمة الايمان به وترك التاويل وان وجد له

وجه في العربية عن ابي سعيد الخدري فيما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم يتجلى
الرب فيدعون الى السجود فيخرون سجدا ولا يبقى احد كان يسجد في الدنيا
سمعة ولا رياء ولا نفاقا الا صار ظهره طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه
وفيما رواه ابو هريرة فيكشف عنهم عن ساق ويتجلى لهم عن عظمة يعرفون انه
ربهم ويخرون سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ويجعل الله اصلابهم
كصياصي البقر ويدعون الى السجود توبيخا وتقريعا على تركهم السجود
في الدنيا مع الحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوه
فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وذكر ان المؤمنين يرفعون
رؤسهم ووجوههم اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين
والمرائين وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون اصحاء قال سعيد بن جبير
كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون قال كعب الاحبار والله ما نزلت
هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة وروي ان الربيع بن خثيم عرض له
الفالج فكان يهادى بين رجلين الى المسجد فقيل له يا ابا يزيد لو جلست فان لك
رخصة قال من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا فذرني اي كله الي فاني
اكفيه وخل بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق به فلا تشغل قلبك بشانه
وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين
ومن يكذب بهذا الحديث القرآن سنستدرجهم الدرج طي الكتاب والثوب مستدرج
اي سنطويهم طي الكتاب عبارة عن اغفالهم نحو ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
وقيل معناه ناخذهم درجة درجة وذلك اذا نام من المشي شيئا فشيئا كالمراقي والمنازل
في ارتقائه ونزوله استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه
فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوه وسيلة
الى العصيان والطغيان قال سفيان سنستدرجهم اي نسبغ عليهم النعم وننسيهم
الشكر وقال قتادة معناه لم نعاقبهم في وقت مخالفتهم فيستيقظوا بل امهلنا

ومدونا

ومددنا لهم في النعم حتى زال عنهم خاطر التذكير وكانوا منعمين في الظاهر مستدرجين
في الحقيقة وقيل معناه سنزيدهم حرمانا وخذلانا فيزدادون غضبا وطغيانا
من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام
عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم
امهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان
من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يتخذونه وسيلة وآلة
الى البطر والتكبر والعصيان والكفر والطغيان فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف
المنعم بالاستدراج قال الحسن كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من
مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه ان كيدي متين وسمى احسانه
وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في
الهلاك ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في السبب للهلاك ام تسئلهم اجرا اي
لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فهم من مغرم مثقلون فيثقل حمل الغرامات
في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه
ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب
الحوت وهو يونس وقد مر قصته في سورته اذ نادى في بطن الحوت وهو
مكظوم مختنق النفس مغموم وذكر قوله تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة
فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه ان رحمه وتاب عليه حين تاب لنبذ بالعراء
لطرح بالفضاء وهو مذموم مليم مجرم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين
نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم فاجتباه ربه اي جمعه اليه وقربه
بالتوبة عليه والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه
اياه بفيض الهي يتحصل له منه انواع من النعم بلا سعي من العبد وذلك للانبياء
وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء فجعله من الصالحين اي طهره من الآثم

تدارك: الحقه وبلغه وادركه

بسبب توبته وجعله من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه
في نفسه وقومه وان مخففة من المثقلة يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
يعني من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك
او يهلكونك وهذا كما يقال صرعني بطرفه وقتلني بعينه والكمي بنظره وقيل
كانت العين في بني اسد وكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شيء فيقول
فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه وقال الكلبي كان من العرب من يمكث يومين ولا ياكل
او ثلثة ايام ثم يرفع جانب خبائه فيمر به الابل والغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا
غنما احسن من هذه فما تذهب قريبا حتى يسقط منها طائفة وكان بعض
العيابين حتى ان كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر باحدهم فيعاينها
ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم من لحم هذه فما يبرح حتى يقع بالموت
فتنحر فارادوا جماعتهم اي يعينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصيبوه بالعين
فينظروا اليه وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه فعصمه الله وانزل هذه
الاية وعن الحسن دواء اصابة العين ان يقرا هذه الاية وقد قال رسول الله
العين حق وان العين ليدخل الرجل القبر والجمل القدر لما سمعوا الذكر اي القران
لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا
عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القران وما هو الا
ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله

بسم الله الرحمن الرحيم حسبي الله وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد

قوله تعالى الحاقة اي الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي اتية لا ريب فيها
حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب والتي تحق فيها الامور اي
تعرف على الحقيقة لان الله تعالى اخبر في الدنيا متتابعة في كتبه وعلى السنة
رسله بذكرها هو خفاء ووقتها فاذا اقامت القيامة وجدت كما اخبر عنه قبل
ذكره في الكتب المنزلة وفي السنة الرسل قال اهل المحشر هي الحاقة حقت كما كانت
تذكر وتسمى الآن

حاقة

حاقة على انها واقعة لا محالة ومن المفسرين من قال سميت بها لانها تحق كلا بعمله
من خير او شر اي تجعله حقيقا ومنهم من قال سميت بها لانه تحق فيها الامور فيظهر
احسان المحسن واساءة المسيء ويظهر ما يجب له وعليه من ثواب او عقاب في حاقة
على معنى ان الحق فيه كما يقال ليل نايم لما ان النوم يكون فيه وقال الحسن الحاقة معناها
التي تحق فيها الاقوام الجنة باعمالهم وتحق الاقوام النار باعمالهم ومنهم من قال حق على من يعقل
ان يخاف ذلك اليوم ويحذر عما يوجب المقت والبوار ويفر من الخزي في ذلك المشهد العظيم
وارتفاعها بالابتداء وخبرها ما الحاقة واصلها الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها
وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة اي وما
اعلمك يا محمد اي شيء فيها من الاهوال وشدايد احوال وهو تفخيم اخر وهو كقوله تعالى
وما ادريك ما سقر وما ادريك ما الحطمة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه
من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي
اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء كذبت ثمود وعاد بالقارعة سميت قارعة
لانها تقرع قلوب الناس هجومها عليهم بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار
كما قال تعالى اذا السماء انشقت وقال والسماء منفطر به وقال وانشقت السماء
وتقرع الارض والجبال بالدك والنسف كما قال تعالى فدكتا دكة واحدة وقال
كلا اذا دكت الارض دكا دكا وقال واذا الجبال نسفت وتقرع النجوم بالطمس
والانكدار كما قال تعالى واذا النجوم طمست وقال واذا النجوم انكدرت
ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى الفزع في الحاقة زيادة في وصف شدتها
ولما ذكرها اتبعه ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب عدم تصديقهم
تذكيرا لغيرهم وتخويفا من عاقبة ترك التصديق فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
قال ابن اسحق والسدي ووهب وكعب وغيرهم ان عادا لما اهلكت وتقضى امرها
عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض وكثروا وعمروا حتى جعل احدهم يبني
المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا

ثمود قوم صالح ع
عاد قوم هود وهم في حضرموت واليمن

فنحتوها وجابوها وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا وافسدوا في الارض
فبعث الله اليهم صالحا وكان شابا فدعاهم الى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم
الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف
سالوه ان يريهم اية تكون مصدقة لما يقول فقال لهم اي اية تريدون قالوا
تخرج معنا الى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون اليها فخرج معهم فقال جندع
وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة وكانت صخرة
منفردة رفيعة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء
فان فعلت صدقناك وامنا بك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني
ولتؤمنن بي قالوا نعم فصلى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء
وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا
مثلها فامن به جندع ورهط من قومه واراد اشراف ثمود ان يؤمنوا
به ويصدقوه فنهاهم ذواب بن عمرو والحباب ورباب وكانوا اشراف
ثمود وكان لجندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فاراد ان يسلم فنهاه
اولئك الرهط فاطاعهم فلما خرجت الناقة قال صالح هذه الناقة لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود ترعى الشجر
وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا واذا كان يومها وضعت راسها في بئر
من الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها فلا تدع قطرة
ماء فيها ثم رفع راسها فيحلبون ما شاءوا من لبن فيشربون ويدخرون
حتى يملؤا اوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي منه وردت ولا تقدر
على ان تصدر من حيث ترد وتضيق عنها فلا تخرج منه قال ابو موسى الاشعري
اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا حتى اذا كان
الغد كان يومهم فيشربون ما شاءوا من الماء ويدخرون ما شاءوا ليوم الناقة فهم في
ذلك

في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر ظهر الوادي فتهرب منها
اغنامهم ومواشيهم فتهبط الى بطن الوادي في حره وجدبه وذلك ان المواشي
تنفر منها اذا راتها وتشتو بطن الوادي اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر
الوادي في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم وكانت مراتعها الحباب والحسمى
كل ذلك ترعى مع وادي الحجر فكبر ذلك عليهم فعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر
الناقة واجمعوا على عقرها وكانت امراة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم تكنى
ام غنم وكانت امراة ذواب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات
بنات حسان وكانت ذات مال من ابل وبقر وغنم وامراة اخرى يقال
لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مال من ابل وبقر وغنم
وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح فكانتا تحتالان ان تعقر الناقة لما
ضرت بمواشيهما فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة
وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع
بن مهرج وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكان من احسن الناس واكثرهم
مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا
يزعمون انه كان بن زنية من رجل يقال له حسبان ولم يكن لسالف الذي يدعى
اليه ولكنه قد ولد على فراش سالف وقالوا اما شاء الفساد في بلاد الله وعباد الله
الا بكثرة اولاد الزنا ويقال ان كل شر وفساد وقع في العالم تجدوه واصله
وسببه الاول النساء فتامل قصة ادم وما وقع بعده من الفتن تجد اصل
كل ذلك ومبدؤه يرجع الى النساء والى اولاد الزنا بل في ذلك ايضا السبب النساء
العياذ بالله من شرهن ومكرهن وكيدهن العظيم قال الله تعالى حكاية
ان كيدكن عظيم وصف كيدهن بالعظمة كما وصف العرش بها فقالت عنيزة
لقدار اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا
في قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم انبعث لها رجل عزيز منيع في رهطه

مثل ابن زمعة فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود
فاجمعوا على عقر الناقة وقال السدي وغيره من المفسرين اوحى الله تعالى الى
صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقتك وقد احتالوا في ذلك فقال لهم ذلك فقالوا
ما كنا لنفعل فقال صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على
يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك
الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد العاشر فابى ابوه ان يذبح ابنه وكان لم يولد له شي
قبل ذلك وكان ذلك الولد ازرق اشقر احمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا امر بالتسعة
فراوه فقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح وكان
صالح لا ينام معهم في القرية كان في مسجد يقال له مسجد صالح فيه يبيت بالليل
فاذا اصبح اتاهم وعظهم وذكرهم اذا امسى خرج من المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما
دخلوا الغار ارادوا ان يخرجوا من الليل فسقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال
ممن قد اطلع على ذلك منهم فاذا هم قتلى تحت الحجارة فرجعوا وجعلوا يصيحون
في القرية اي عباد الله اما رضي صالح ان امرهم بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع
اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما كان بتقاسم التسعة على تبييت
صالح بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذكر ان التسعة الذين عقروا
الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا
قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطوا
على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا
به فقامت عشيرته ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه ابدا وقد وعدهم
ان العذاب نازل بكم في ثلث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان — دونه صح عنده
كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك وقال السدي
وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدارا كان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة
ويشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فارادوا

ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء
قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن باللبن لو كنا ناخذ هذا
الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه انعامنا وحروثنا كان فقال ابن العاشر هل
لكم في ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امراة يقال لها ملكا
كانت قد ملكت ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت
لامراة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامراة اخرى يقال لها قبال
كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون
الخمر فقالت لهما ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة
لاجل الناقة ولاجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها اطعناكما فلما
اتيا هما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نكون من وراء عقرها قال ابن اسحق وغيره
فانطلق قدار ومصدع واصحابهما على طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت
على مصدع فرمى بسهم فاصاب عضلة ساقها فخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت
من احسن الناس فاسفرت لقدار فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت
ورغت رغدة واحدة تحذر سقبها ثم طعن لبتها وخرج اهل البلدة واقتسموا لحمها
وطبخوه فلما راى سقبها ذلك انطلق حتى اتى جبلا شيعا يقال له صنو وقيل اسمه قارة
واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون
اليه يا نبي الله انما عقرها فلان فلا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها
فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما راوه على الجبل ذهبوا
لياخذوه فاوحى الله تعالى الى الجبل فتطاول في السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح
فلما راه الفصيل بكا حتى سالت دموعه ثم رغا ثلثا وانفجرت الصخرة فدخلها
فقال صالح لكل رغدة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب
وقال ابن اسحق اتبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة
وفيهم مصدع واخوه فرماه مصدع بسهم فقطع قلبه ثم سقط ثم جر برجله فانزله فالقوا
لحمه مع لحم امه

وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له
وهم يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء
فقال لهم صالح تصبحون غداة مونس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة
وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم
الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم
ذكورهم واناثهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج
صالح هاربا منهم حتى لجا الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم ويكنى باهدب فنزل على سيدهم
رجل منهم يقال له نفيل فغيبه فلم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح يعذبونهم
ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له ميدع يا نبي الله انهم ليعذبوننا
لندلهم عليك افندلهم قال نعم فدلهم عليه ميدع فاتوا ابا هدب وكلموه في ذلك قال
نعم عندي صالح وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما انزل
الله بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا
باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما
خضبت بالدماء فصاحوا وضجوا باجمعهم وبكوا وعرفوا انه العذاب فلما امسوا
صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم
الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب
فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام
فنزل رملة فلسطين فلما اصبح القوم تكفنوا وتحنطوا ثم القوا انفسهم بالارض
فجعلوا يقلبوا ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب
فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت
كل شي له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير
الا هلك كما قال تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين الا جارية مقعدة يقال لها
ذريعة وكانت شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت
العذاب اجمع

فخر

فخرجت كاسرع ما يرى شي قط حتى اتت قرح وهو وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من
العذاب وما اصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت وعن جابر بن
عبد الله قال مر النبي عليه السلام بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن منكم القرية
ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هولاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل
الذي اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسئلوا رسولكم الايات هولاء قوم صالح سالوا رسولهم الاية
فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم
ورودها واراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فلما عقروا فاهلكوا اهلك الله من تحت اديم
السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا يقال له ابو رغال وهو ثقيف كان في حرم الله
فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصابهم فدفن ودفن معه غصن من ذهب
واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروا باسيافهم فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي ومنهم من قال
توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة ومنهم من قال
عمر اكثر من ذلك ودعى الناس الى الله واقام فيهم ثلثين سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يا علي اتدري من اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال تلك قوله تعالى
فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة عن ابن عباس بالصاعقة قال قتادة
بالصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح فاهلكتهم ومن المفسرين من قال كان
صالح رجلا احمر يضرب الى البياض وكان اعز قومه نفرا فحماه الله به وشد ظهره وكذلك الانبياء
بعثهم الله في اشرف قوم واعزهم وكان يدعو قومه الى الهدى ويبالغ في ذلك فكان يدخل عليهم
في بيوتهم ويقوم عليهم في مجالسهم وافنيتهم ويقعد عليهم قوارع الطريق ويقصد جماعتهم ويهجم
عليهم في انديتهم واعيادهم وكذلك كان الانبياء قبله وبعده وكذلك ينبغي ان يكون العلماء لانهم
ورثة الانبياء فعلى العالم يجب ان يعرف الجهال ما جهلوا وذكر بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة
او محلة او مسجد فيعلم اهله ويفهم ويبين ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم
ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسال عنه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبياء

وقال علماء امتي كانبياء بني اسرائيل والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ما كانوا يصبرون
الي ان يسألون بل كانوا يبادرون ويسارعون الي التعليم فيجب علي العالم ان يتصدي
لدعوة الناس فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس علي جهلهم بل كانوا ينادونهم
في مجامعهم ويدورون علي ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا
فيرشدونهم فان مرض القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر علي وجهه
مرض ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره فهذا فرض عين
علي العلماء كافة وعلي السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة عالما
متدينا يعلم الناس دينهم فان الناس لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة
اليهم ومن التعليم والارشاد فالدنيا دار المرضي اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا
علي ظهرها الا سقيم ومرض القلب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين في مرض القلب
قوام دار المرضي فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم سلم الي السلطان
ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الي
القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن ساير الناس وانما صار مرض
القلوب اكثر من مرض الابدان لثلث علل احديها ان صاحب المريض لا يدري انه مريض
والثاني ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته
موت مشاهد تنفر الطباع عنه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن
الذنوب وان علمها مرتكبها فتراه يتكل علي فضل الله في مرض القلب ويجتهد في
علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب
فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذا العصر مرضا شديدا عجزوا عن
علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتي لا يظهر نقصانهم فاضطروا علي
اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب
هذا علي الاطباء فلم يقدروا علي تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما
بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع

الدواء وهلك الخلق من فقد الاطباء وهم العلماء ورثة الانبياء بل اشتغل الاطباء بفنون
الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا ولم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم
اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يروق عند العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الي
ذلك الا بالارجاء لان ذكر الذي في الاسماع واخف علي الطباع وينصرف الخلق من مجالس
العلم والوعظ وقد استفاد وامزيد جرأة علي المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله علي اعطاء
الحور العين وانواع النعم في الجنة وعلي ترك تعذيبه بسبب معاصيه وليس له
ثقة في لقمة وكسوة وضيعة بل يجتهد ليلا ونهارا في تحصيل ذلك ولا يجتهد في كسب انواع
الطاعات والاجتناب عن انواع السيئات ومهما كان الطبيب جاهلا وخاينا اهلك بالمعالجة
والدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين
متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتي هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا
يطيق وضيق العيش علي نفسه بالكلية فيكسر سورة اسرافه في الخوف بالارجاء
ليعود الي الاعتدال وكذلك المصر علي الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط
واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج ايضا بالرجاء حتي يطمع في قبول التوبة
فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بالارجاء يضاهي معالجة المحرور
بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والاغبياء ولهذا السبب اكثر الخلق من
الطايف المبتدعة التي تسمي بالمرجئة فصار الناس يجتهدون ويشمرون في تحصيل سعادة
الدنيا ونعمها ولا يتوكلون ولا يرجون من الله ولا يثقون بفضل الله تعالي فيسافرون
وينتجعون في اطراف البلاد في الحر والبرد ويركبون البحار ويتحملون انواع المخاوف
من الافرنج والحبشة والهنود والمرتدين وساير قطاع الطريق ويجمعون انواع الجواهر
والمخاوف ويتكاسلون ويضعفون ويجبنون في تحصيل سعادة الآخرة ونعمها نعوذ
بالله من ذلك فان ذلك من سبب فقد الاطباء وهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء ثم ان
ثمود قالوا لصالح فان شئت ان نؤمن لك ونتبعك ارنا آية قال ان اريتم آية فلم تؤمنوا بها
نزل بكم العذاب فقالوا له ان آية ما بيننا وبينك ان تدعو ربك فيخرج لنا من هذه الصخرة

ناقة من الابل عشرآء سودآء ذات عرف وناصية وشعر ووبر عشرآء نتوجا فان
فعلت صدقناك واتبعناك وان عجزت عن ذلك فاكفف عنا فلما سمع قولهم ضاق بهم ذرعا
وخاف ان لا يكون فاعظم الله واجله ان يسأله ذلك او يتمنى عليه ذلك فلم يبرحوا من مجلسهم
الذي سألوا فيه ذلك حتى زلزلت الصخرة فنظروا اليها فتمخض وتزحر كما يفعل الانثى
للولادة فلم يلبثوا ان تفرجت عن امنيتهم التي سألوها بعينها لم تغادر قليلا ولا كثيرا فجائت
بناقة عشرآء سودآء ذات شعر ووبر وعرف وناصية عشرآء سعة ما بين جنبيها مائة واثنان
وعشرون ذراعا ثم اقبلت تمشي حتى توسطتهم ثم بركت للنتاج فلم تقم حتى وضعت سقبا
قريبا منها في العظم وليس مثلها في العظم ثم انبعث فطلب الكلا فشاركتهم في الماء والشجر
ورعت السهل والجبل ورعت المشتى والمصيف وكانت ترد الماء غبا فتستوعب الماء
يوم وردها فتسلك الفج واردة فيسعها ثم ترجع فيه صادرة حتى تملأت من الماء فيضيق
عنها الفج ثم ترد فتصدر واحلامها تشخب لبنا فيتلقى بالمحالب والانية والاسقية
فتفرغ لهم من اللبن مثل ما شربت من الماء وكان لهم ركي عميق في الارض فاذا جم ارتفع
الماء حتى يبلغ راسه فتشرع فيه وهو ممتلي تفيض فلا يزال تشرب به وتدلي فيه راسه
راسها وعنقها حتى يغيب حتى تستوعبه وطول الجب عشرون قامة وكان الشرب
مقسوما بينهم وبين الناقة لهم يوم ولها يوم وكانوا يشربون يوم الناقة من رؤس
الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم ولو صبروا لفجر الله لهم العيون والانهار ولكنهم
استعجلوا وعصوا ربهم وكانوا يكتفون من الماء بما يصيبون منه في يومهم الذي
كان لهم فيه الشرب وانما حملهم على ما صنعوا الحسد والبغي والبغض لناقة الله
ولرسوله فلبثت بين اظهرهم زمانا وكسر حدهم وما يرون فيها من العجب وفطم
السنتهم وهي عشرآء وبرآء يتحات عنها الوبر اذا اصافت فتوسعهم لحفا ويتحات
عنها الشعر اذا اشتت فتوسعهم بيوتا فلبثت ما شآء الله وكانت الناقة تصيف
في الجبل فتهرب منها المواشي فتهبط الى بطن الوادي في حرة وجدوبة وكانت تشتو
في السهل فتهرب منها المواشي الى الجبل فاضر ذلك بمواشيهم وكان في ثمود امرأتان من ثمود ممن كان
بجمال فايق

غنيتان لهما مال كثير من الشآء والبقر والغنم والابل احديهما يقال لها صدوف والاخرى
يقال لها عنيزة وكان بهما خطيبان من قومهما يألفانهما ويتحدثان اليهما احدهما يقال
له قدار بن سالف والاخر يقال له مصدع بن مهرج وكان قدار رجلا احمر امعر اشقر
ازرق سناطا قصيرا وهو خطب صدوف وكان مصدع عزيزا منيعا في قومه وكان
رجلا نحيفا طويلا اهوج مضطربا وهو خطب عنيزة وكانت هاتان المراتان اشد
قومهما عداوة لصالح واعظمهم كفرا بما جاء به من الله وكانتا تحرضان قومهما على عقر
الناقة لما قد ضرت بهما في المواشي ثم ان خطيبيهما زاراهما يوما من الايام فقالت صدوف لو كان
لنا مزاج لا وسعنا كما خمرا ولكن هذا يوم ورد الناقة فلا سبيل الى الماء قالت عنيزة بلى
والله ان الى الماء سبيلا واسعا لو كانت رجالنا رجالا وهل هذه الناقة الا واحدة ولكن
لا رجال في الوادي قال قدار فما ذا الي عليك يا صدوف ان انا فعلت ما قالت عنيزة فكفيتك
الناقة اليوم وخلا لك الماء فاوردت ماشيتك وترويت واصبت من الماء حاجتك قالت
لك اذا نفسي وسفرت عن وجهها فاذا احسن الناس النسآء ولما سمع مصدع قولهما طمع
في صاحبته فقال يا عنيزة ان انا شاركت قدار فيما قال فشاركت في الماء صاحبتك
فقالت لك اذا نفسي وسفرت عن وجهها ووجوه بناتها فقالت اختر فينا فاذا احسن
لا يعلمه الا الله قالا فان كنتما تريدان ذلك فاميلا علينا الخمر فامالتا عليهما الخمر صرفا
بغير مزاج حتى سكرا خرجا الى اخدان لهما من سفهاء ثمود فاستغووهم فاجابهما سبعة منهم
وكانوا تسعة منها قدار بن سالف ومصدع بن مهرج ورباب بن مهرج والهذيل
بن عتروك وغيرهم ثم انطلقوا ومعهم النبل والسيوف حتى قعدوا للناقة على باب
الفج فلما وردت حملوا عليها ليضربوا بسيوفهم فشدت عليهم فانهزموا ولكن قدار
من خلفها فتعاطى عرقوبها الايمن بالسيف فعقرها وضرب مصدع عرقوبها الايسر
بسهم فخرت عقيرة ووجاء قدار ولبتها بالسيف فنحرها فلما راى الفصيل ما فعل بامه
ولى هاربا منهم حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطعت منه قلوب القوم ولما سمع الناس
بذلك تبادروا اليها فاقتسموا لحمها وصالح نازح في دار قومه لا علم له بها حتى بلغه
الخبر

وقيل له هل علمت ان ناقة ربك قد عقرت وتقسمت وغلت بلحمها المراجل
فخرج نحوها سريعا في عصبة من قومه فوجدها كذلك فاوعدهم العذاب
وشتموه وتفاقم الشر بينهم ونشبت العداوة وقال لهم صالح التمسوا الفصيل فان انتم
وجدتموه والا فاعلموا ان العذاب نازل بكم فانطلقوا يطلبون الفصيل في الجبل
وكلما ارادوا ان يصعدوا الي الجبل ازداد الجبل طولا في السما فلم يقدروا عليه فلما
راوا ذلك ايقنوا بالعذاب وقال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب
وذلك عند مسا يوم الاربعا وباقي قصتهم كما ذكر قبل ذلك قال النبي صلي الله عليه وسلم
تحشر صالح يوم القيامة علي ناقته وقال صالح يا قوم ان هذه دار قد سخط الله عليها
وعلي اهلها فاظعنوا عنها فانها ليست لكم بدار قالوا ارينا الراي نتبعه نحو نا نفعل قال تلحقون
بحرم الله وامنه لا اري لكم قرارا دونه فاهلوا من ساعتهم بالحج واحرموا في العبا
وارتحلوا قلاصا حمرا مخطمة بحبال من ليف ثم انطلقوا يلبون امين حرم الله حتي
وردوا مكة فلم يزالوا بها حتي ماتوا فتلك قبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة
والحجر قال الله تعالي فتولي عنهم اي اعرض عنهم وفارقهم وقال فراقهم يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ويثقل النصح علي من
اتبع الهوي واجتنب الهدي قال الطبي فتولي عنهم صالح اي خرج هو ومن امن معه
من بينهم قبل نزول العذاب وهم مائة وعشرة وهو يبكي فالتفت فابصر الدخان
ساطعا فعرف ان القوم هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار فلما هلكوا رجع صالح ومن
امن معه فسكنوا الديار حتي توالدوا وتناسلوا وماتوا فيها وقال مقاتل كان
مؤمنوا قوم صالح سبعين رجلا ومؤمنوا قوم هود كذلك فتفرقوا بعد
موت صالح وهود فوقع مؤمنوا قوم صالح بجابلقا ومؤمنوا قوم هود بجابلسا
فهم فيهما احديهما بالمشرق والاخري بالمغرب واهل هاتين المدينتين اكثر من
ياجوج وماجوج وان ياجوج وماجوج سبعة اضعاف اهل الدنيا واهل
هاتين المدينتين سبعة اضعاف ياجوج وماجوج ووراهما تارس ومنسك وهما

او لتحلوا

من ولد

من ولد يافث وهما سبعة اضعاف جابلقا وجابلسا وكلهم اهل النار الا ما كان
من بقية قوم صالح وهم في هاتين المدينتين وعلي كل باب من هاتين المدينتين
الف باب من باب الي باب فرسخ تحرس كل ليلة علي كل باب سبعون الفا
لا تصل التوبة اليهم ولولا بقية مؤمني قوم هود وقوم صالح ما انظرهم الله
طرفة عين فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة عن ابن عباس
بالصاعقة قال قتادة بالصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح فاهمدتهم
قوله تعالي واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة باردة محرقة
لشدة بردها لها صوت عاتية عتت علي خزانها فلم تطعهم وجاوزت المقدار
غضبا لله تعالي عن ابن عباس قال قال النبي صلي الله عليه وسلم ما ارسل سفة
من ريح الا بمكيال ولا قطرة مطر من ماء الا بمكيال الا يوم نوح ويوم عاد فان
الماء يوم نوح طغي علي الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغي الماء حملناكم في الجارية
فان الريح يوم عاد عتت علي الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر
عاتية ومنهم من قال لانها عتت علي عاد فما قدروا علي ردها بحيلة من
استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مطامنهم
وتهلكهم سخرها عليهم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية ايام قال وهب
هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد ورياح شديدة وانما سميت
هذه الايام عجوزا لان عجوزا دخلت سربا فانتزعتها الريح في اليوم الثامن
فاهلكتها حسوما اي متتابعة ليس لها فترة وقال عطية حسوما حسمت
الخير عن اهلها ومعناه حسمت كل خير واستاصلت كل بركة والحسم
القطع ومنهم من قال فقطعتهم واهلكتهم فتري القوم فيها اي في تلك الايام
والليالي صرعي هلكي جمع صريع كانهم اعجاز نخل خاوية اي اصول نخل
ساقطة كقوله فهي خاوية علي عروشها فهل تري لهم من باقية اي بقية
ومنهم من قال من نفس باقية وقيل بقاء قال ابن اسحق والسدي وغيرهما

من الرواة والمفسرين ان عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالاحقاف
وهي رمال يقال لها رمل عالج وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض كلها وقهروا
اهلها بفضل قوتهم التي اتاهم الله فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من اوسطهم
نسبا وافضلهم حسبا فلم يطيعوه وقالوا من اشد منا قوة فتجبروا فامسك
الله عنهم المطر ثلث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل
بهم بلاء وجهد فطلبوا الي الله الفرج منه كانت طلبتهم الي الله عند بيته الحرام
بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة عارف
لحرمتها ومكانها من الله واهل المكة يومئذ العمالقة وانما سموا العماليق لان
اباهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجل يقال له
معاوية بن بكر وكانت ام معاوية من عاد فلما قحط المطر عن عاد قالوا جهزوا
منكم وفدا الي مكة فيستسقوا لكم فبعثوا قيل بن عتر ولقيم بن هزال ومرثد بن
سعد وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة خال معاوية بن بكر ثم بعثوا لقمان بن
عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد هؤلاء
سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا علي معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من
الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر
ويغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما راى
معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي اصابهم شق ذلك
عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما ادري
كيف اصنع بهم استحيي ان امرهم بالخروج الي ما بعثوا له فيظنون انه ضيق مني بمقامهم
عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من امرهم الي قينتيه
الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال
معاوية بن بكر شعر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يرزقنا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما

به الشيخ الكبير ولا الغلاما فقد كانت نساؤهم بخير فقد امست نساؤهم عياما
وان الوحش يأتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما وانتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم
قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم
فاستسقوا لقومكم وكان ذلك بين رفع البيت المعمور الي السماء وبين بناء بيت
الكعبة فقال مرثد بن سعد وقد كان امن بهود سرا انكم لا تسقون والله بدعائكم
ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم اليه سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة خال معاوية
حين سمع قوله وعرف انه قد اتبع دين هود عليه السلام ابا سعد فانك من قبيل ذوي كرم
وامك من ثمود فانا لن نطيعك ما بقينا ولسنا فاعلين لما تريد اتترك دين اباء
كرام ذوي راي وتتبع دين هود ثم قال لمعاوية وكان حينئذ شيخا كبيرا احبس عنا
مرثد بن سعد فلا تقدمن فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الي مكة يستسقون
بها لعاد فلما دخلوا الحرم خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى ادركهم بها قبل
ان يدعوا الله بشيء مما خرجوا له فلما انتهي قام يدعو الله وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون
فقال اللهم اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل
راس وفد عاد وقال وفد عاد اللهم اعط قيلا ما سالك واجعل سؤلنا مع سؤله
وقد كان تخلف عن وفد عاد حين دعا لقمن بن عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام فقال
اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي وسال الله طول العمر فعمر عمر سبعة انسر
وقال قيل بن عتر الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا وقال اللهم اني
لم اجئ لمريض فاداويه ولا لاسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه فانشا الله له
سحايب ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك
من هذا السحاب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه
مناد اخترت رمادا رمددا لا يبقي من ال عاد احدا لا والدا يترك ولا ولدا الا جعلتهم همدا الا
بنو اللوذية المهدي وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة

الي عاد حتي خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا
هذا عارض ممطرنا قال الله تعالي بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر
كل شي بامر ربها وكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح امرأة من عاد يقال
لها مهدد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما افاقت قالوا ما ذا رايت قالت
رايت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما قرب راوها تحمل الجمال
والدواب والرجال تطير بهم في السماء والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا الابواب عليهم فقلعت
الريح الابواب اخرجتهم من البيوت فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي دائمة
فلم تدع من عاد احدا الا اهلكت واعتزل هود ومن معه من المومنين في حظيرة ما
يصيبه ومن معه الا ما يلين عليهم الجلود وتلتذ الانفس وانها لتمر قوم عاد فترفعهم
ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة فلما اهلكهم الله ارسل عليهم ريحا سوداء فالقتهم
في البحر وذلك بعد ان امر الله الريح فامالت عليهم الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين
تحت الرمل ثم كشفت عنهم الرمال ثم رمت في البحر ومن المفسرين من قال ان هودا كان
من اوسطهم نسبا واشرفهم نفسا واصبحهم وجها وكان ابيض جعدا بادي العنفقة طويل
اللحية وكان صدوقا امينا عندهم قال مقاتل كان كل واحد من قوم عاد اثني عشر ذراعا
وقال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقال ابن القطامي كان
عاد يتكلمون بالعربية وكان الله اعطاهم بسطة في الخلق لم يعط غيرهم كان رجل منهم
ستين ذراعا وهذا اطولهم وكان اقصرهم ستة عشر ذراعا وقالوا من اشد منا
قوة وكان لهم اموال جمة وعن محمد بن اسحق اوحى الله تعالي الي الريح العقيم وهي في
الارض الرابعة فخرجت بغير كيل علي قدر منخر الثور حتي رجفت الارض ما بين
المشرق والمغرب وقال الخزان يا رب لن نطيقها ولو خرجت علي حالها لاهلكت
الارض فاوحى الله اليها ان ارجعي فرجعت علي قدر خرق الخاتم فاوحى الله الي
هود ان يعتزل بمن معه من المومنين في حظيرة فاعتزلوا وخط عليهم خطا واقبلت
الريح وكانت لا تدخل حظيرة هود ولا تجاوز الخط وانما تدخل عليهم منها ما تلذ به انفسهم

واوحى الله

واوحى الله الي الحيات والعقارب بان تاخذوا عليهم الطرق فلم تدع عاديا يجاوزها
وكانت الريح تحمل الماشية برعاتها فتقذفها في البحر وكانت تدمغهم بالحجارة
فلما عاينوا ما تصنع بهم الريح حازوا اهاليهم واموالهم واولادهم ومواشيهم في شعب
بين جبلين ثم اقام منهم رجال لهم شرف فتوامروا علي حبس الريح ان تصل الي
داخل الشعب وتحالفوا علي ان لا يفتر قوا حتي يموتوا وان لا يفادوا دين قومهم
واستيقنوا بالعذاب وكانوا اول ذلك يوم الاربعاء فهبت عليهم الي اليوم الثامن
ولم يبق من رؤساء القوم الا الخلجان وهو رئيسهم واتاه هود عليه السلام وقال
يا خلجان انه لم يبق من اصحابك غيرك وقد رايت ما صنع الله بمن اطاعك وعصاه
والتوبة مقبولة منك يدفع الله بها عن بقية قومك فقال كيف بمن مضي منهم وهلكوا
فقال يعقبك الله مكان كل رجل هلك مائة رجل فقال خلجان لا وابيك يا هود لا تجدني
ربك اضعف اصحابي ثم قال يا هود اخبرني عن هذه الابل التي تاتينا في الريح قال تلك الملائكة
يوكلها الله بمن شاء فقال الخلجان تلك التي تفعل بنا الافاعيل ثم قال هل ربك مقيدنا
منهم ان تابعناك قال هود وكيف يقيد الله من اهل الطاعات لاهل المعصية ولكنه
معقب من بقي منكم كل رجل هلك منكم مائة رجل فقال الخلجان اكلهم بعدد انا منهم لم افعل فلما
سمع هود قوله انصرف عنه واقبلت الريح والخلجان قائم وحده علي فم الشعب اخذ بجانبيه
وهو يقول لا خير في شي اصيب نفسه يا لك من يوم دهاني امسه فانتهت الريح فقلبت
علي وجهه فطرحته ميتا كان لم يكن شيئا وقال الضحاك صفوا صفا وحفروا لارجلهم
الي الركب واوثقوها بالثرى كيلا تزيلهم الريح وقالوا من اشد منا قوة فامهلهم الله ثمانية
ايام ليعتبر عباده وكانت الريح تقصفهم وتضرب بعضهم علي بعض ولا تلقيهم فلما كان في اليوم
الثامن دخل من تحت ارجلهم فاحتملتهم فضربت بهم الارض وذكر قوله بريح صرصر اي باردة
كانت تقع علي الجلد فتحرقه بردا حتي تنكشف عن اللحم كقطع النار ونجي الله هودا واصحابه
علي احسن ما كانوا عليه من الخصب واتاهم مرثد بن سعد فاخبرهم خبر الوفد بكل شي
كان من امرهم من مسيرهم وما كان من امر السحاب فزاد المومنين ايمانا ويقينا وحمدوا الله
علي ما اكرمهم

قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرأ ابن عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح
الباء معناه ومن عنده ومن معه من جنوده واتباعه والباقون بفتح القاف وسكون
الباء معناه ومن تقدمه من القرون الخالية والمؤتفكات وهي قرى قوم لوط
بالخاطئة بالافعال ذات الخطاء العظيم فعصوا رسول ربهم اي فنهاهم فعصوا
رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية شديدة زايدة في الشدة كما زادت قبايحهم
في القبح وقيل نامية عالية غالبة وقيل زايدة على عذاب الامم فرعون هو الوليد
بن مصعب بن ريان وكنيته ابو مرة وقال اهل التورية والانجيل اسمه قابوس مصعب بن ريان
بالسريانية وكان من القبط وعمر اكثر من اربعمائة سنة وقيل كان الوليد هو فرعون
الذي آمن بيوسف وكان من العمالقة وجلس مكانه فرعون آخر اسمه قابوس وكان
قريبا للوليد في النسب وكان ايضا من العمالقة وكان اهل مصر بعضهم من اولاد القبط
وبعضهم من اولاد يوسف واخوته وكانت القبطي اغلب من الاسرايلي وكان قابوس
اظلم واغشم واضل واخبث من الفراعنة التي كانت قبله فدعا اهل مصر كلهم الى عبادة
الاوثان والى ترك دين يوسف عليه السلام فاجابته القبط فرجعوا عن دين يوسف عليه السلام
ولم تجب بنو اسرائيل ولم يتركوا دين الاسلام فغضب عليهم وقهرهم وامر القبط
ان يحقروهم ويستسخروهم بالاعمال الشاقة والقذرة ووضع عليهم الجزية وكانوا
يستخدمون الرجال والنساء ويضربونهم ويشتمونهم ثم مات قابوس فجلس اخوه
مكانه وكان اسمه الوليد بن مصعب وهذا هو فرعون موسى وكان يعادي
بني اسرائيل اكثر ممن كان قبله من الفراعنة وكان وثنيا طالما غاشما متجاوزا
عن الوصف في الطغيان والتمرد على الله تعالى وكان بغيضا لبني اسرائيل اشد ممن كان
قبله فلما راى الناس يجيبون الى كل ما دعا اليه وامر ادعى الربوبية فقال انا ربكم الاعلى
وقال ما علمت لكم من اله غيري وكان الملك في ذلك الزمان في غير دياره منوجهر الملك وكان مصر صح
الشام واليمن والعرب والعجم كلهم تحت يده وكان المصر في يد العمالقة وكان منوجهر
ملكا صالحا وله خطبته لابد للملوك من معرفتها وقال ابن عباس ان فرعون موسى ملك
مصر

و

واستعبد بني اسرائيل اربعمائة سنة وذلك بعد يوسف بن يعقوب وبدؤه دخول
بني اسرائيل مصر حين ملك يوسف مصر وضم اليه ابويه واخوته فمكثوا بمصر
فلما قبض الله يوسف هلك ذلك الملك الذي كان يوسف معه وهو الريان بن الوليد
توارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر فرعون بعد فرعون وقال
محمد بن اسحق ملك فرعون مصر وهو شاب اخضر الشارب ومكث اربعمائة سنة
لا يصدع له راس ولا يصيبه هم ولا ينازعه عدو وسلطانه فيهم ماض وامره جايز قال
وهب راى فرعون في المنام ان الله واهب لعبد من عبيدك غلاما يسلبك ملكك ويخرجك
من ارضك ويبدل عليك نعمتك ثم يغرقك الله وجنودك حتى تكون للخلايق حديثا فلما استيقظ
عظمت عليه رؤياه فاخبر عظماءه الذين حوله فبكوا بكاء شديدا وقالوا سيدنا احلام باطل
عشت دهرا طويلا ولا ينالك عدو ولا ينالك هم فارسل الى كهنتك ومنجميك فاخل بهم وعدهم
الخير من نفسك ثم قص رؤياك هذه لهم فيخبروك بتاويلها وكان لفرعون الف كاهن والف منجم والف
ساحر لا يموت منهم احد الا استبدل مكانه غيره فارسل اليهم وخلا بهم ووعدهم الخير ثم قص عليهم
رؤياه واخبرهم انه امتنع من الطعام والشراب والنوم لذلك فسجدوا له وقالوا علينا تاويل
ما رايت فلا يهولنك شيء ولكن اجلنا اجلا ننظر في نجم هذا المولود فاجلهم اربعين يوما فخرجوا
وصعدوا الجبل ونزعوا ثيابهم ولبسوا الشعر والكواخز الشعير ينامون على الرماد ويتضرعون
الى شياطينهم ان تخبروهم برؤيا الملك فاوحى الله تعالى الى حملة العرش اني خالق مولودا في بني اسرائيل
يولد في اسكندرية وكان ذلك الزمان يسمى مصر وحواليه بالاسكندرية تحمل به امه ليلة الجمعة
في شهر كذى في ثلث ساعات يذهبن من اول الليل فانطلق به حملة العرش الى السفرة الكرام
البررة يؤدون الكتاب الى الموكلين ببني آدم فانطلق به الموكلون وهم الحفظة الى سكان
السموات ان الله خالق بشرا في بني اسرائيل الى آخر ما ذكرنا وكانت عفاريت
الجن والانس يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكان الجن
يصعدون الى السماء ويستمعون كلام الملايكة ويسترقون السمع
ويلقون الى اهل الارض على السنة الكهنة فلما سمع الجن ذكر من
الملايكة

هبطوا به الي الكهنة فاخبروهم بامر موسي كله ففشي ذلك ووصل الي السحرة والكهنة
والمنجمين لتمام اربعين يوما فجاؤا فرعون وقالوا يا سيدنا قد اتيناك بتاويل
رؤياك هو عبد من عبيدك يولد له ولد في شهر كذا في ليلة الجمعة لثلث ساعات يذهبن
من اولها قال فما الحيلة حتي نعرف امه فنقتلها فلا تحمل به ولا تلده قالوا بيننا وبين
الوقت الذي تحمله هذا الشهر فلم يات علي فرعون شهر اشد عليه منه ذاب جسمه فيه
وغلب كربه فلما عيل صبره ادخل منجميه وكهنته وقال اما عندكم حيلة ان لا تحمل امه
قالوا نعم فعزل النساء عن الرجال فلا يقرب رجل امراته وقال وكيف الحيلة في ذلك
قالوا مر فليخرج منبرك الي الصحراء ومر مناديك فلينادي في عبيدك ان يجتمعوا اليك
فان عبيدك لم يروك ولم ينظروا الي وجهك قال كعب وكان الخبيث لا يظهر لاحد
من بني اسرائيل وجهه وكان اذا اراد الركوب نادي مناديه حتي يدخلوا بيوتهم ومن
يلقاه في مسيره امره بان يضع وجهه بالارض قال وهب فلما قالت الكهنة له ذلك
قال جئتموني بامر اشد من ذلك علي قالوا اذا اخرجت منبرك وابرزت لهم وجهك
فاحسن اليهم القول وبشرهم بالخير وافتح لهم خزاينك واخرج لهم من اصناف الاموال
ثم ابذلها فانهم اذا فعلت لهم ذلك طمعوا فيما عندك واجتمعوا اليك حتي لا يتخلف
احد منهم فقم علي المنبر وقل لهم اني قد رضيت عنكم وعرفت نصحكم ورفعت عنكم الجزية
والبلاء ولذلك ابرزت لكم وجهي وفتحت لكم بابي وبذلت لكم خزايني ورايتكم له اهلا
فاعرفوا ابذلكم رضاي عنكم فابشروا واخر ذلك الي الغروب ثم قال اني احب ان
تبيتوا هذه الليلة عندي فاصبحوا انصرفتم فانك اذا فعلت ذلك بهم اجابوك فاذا
باتوا عطاهم كنت حبستهم من اتيان النساء فظفرت حاجتك فارسل فرعون مناديه
في بني اسرائيل ان اجيبوا فرعون الملك فانه نصب لكم منبره واظهر لكم وجهه وهو
يريد بكم الكرامة وقد امر باخراج خزاينه ليعطيكم منها ما لم تكونوا تاملونه فاسرعت
بنو اسرائيل الاجابة فخرجوا جميعا فخرج فرعون فخطبهم ولين لهم القول ووعدهم
الجميل واعطاهم المال الجزيل من الجواهر والنقود والكسوة وانواع الخلع علي مراتب الناس

وفرحوا

وفرحوا به فرحا شديدا فلما امسوا قال فرعون احب ان اصنع لكم افضل من هذا غدا
بيتوا مطانكم حتي تصبحوا فتنصرفوا فقالوا لو كلفتنا ان لا نبرح شهرا لفعلنا فباتوا ثمه ودعا
فرعون بدابته فركبها ليدخل المدينة فركب معه هامان وعظماؤه حتي اذا دني من
باب الاسكندرية امر هامان والملا ان يرجعوا الي عسكر بني اسرائيل ويبيتوا معهم ويحرسونهم
لئلا ينصرف احد وكانت مفاتيح ابواب المدينة حينئذ مع عمران والد موسي فدعاه لياخذ
المفاتيح منه ويخرجه من المدينة ويغلق ابواب المدينة دونه وكان منزل عمران في البلد
قال عمران يا سيدي لا تدخل البلد وحدك فلعل عدوا بك بعض من يطمع في ملكك قال نعم ما هذا باول
نصحك يا عمران فادخل معي فانت اوثق عندي من غيرك فادخل واغلق الباب وكان ذلك
لطفا من الله لما اراد من امر موسي فدخل مع فرعون وغلق الابواب وبات جميع بني اسرائيل
في الصحراء ومعهم جند فرعون وقال فرعون لعمران لا تبرح عن عتبة بابي ولا تنزع عنك
ثيابك قال نعم يا سيدي فدخل فرعون منزله واغلق عمران الباب دونه ووضع عمران
راسه علي عتبة الباب وعليه ثيابه وجعل سيفه بين فخذيه فنام حتي اذا ذهب
ثلث ساعات من الليل وذلك ليلة الجمعة وكان بلغ امراة عمران ان فرعون قد دخل
المدينة ومعه عمران فلما احتبس عنها عمران خرجت نحو باب فرعون في طلبه
فلما دنت من الباب ابصرت عمران نايما فوقعت عليه تقبله فوثب عمران فاذا هو بها
فقال ما جاء بك قالت سمعت انك دخلت المدينة فلما احتبست علي خفت عليك سطوة
هذا الجبار فاتيتك فضمها عمران الي نفسه فلم يتمالكا ان واقعها فحملت منها بموسي فقال
لها عمران اعلمي اني اظن الامر الذي يطلبه فرعون وهذا المولود الذي يخافه ليس بنا الا من
اجتماعنا الليلة فاكتمي هذا حتي ننظر ماذا يظهر ولما حملت بموسي طلع نجمه في السماء ولا يولد
نبي الا طلع له في السماء نجم ونظرت السحرة والكهنة والمنجمين من الليل فاذا هم بنجم موسي
قد طلع وكانت ليلة الجمعة فقاموا فخمشوا وجوههم وخدشوا لحومهم ومزقوا ثيابهم
ونتفوا شعورهم وبكوا وناحوا جميعا وصاحوا بصوت شديد حتي رجت المدينة
من اصواتهم فسمع فرعون ذلك فذعر ثم اسرع الي الباب وقال لعمران ما هذا قال يا سيدي

ذعرو

هذه اصوات بني اسرائيل فرحوا بما اعطيتهم واكرمتهم بالقبايل وبطلامل فقال لعله كما تقول
ولم يزل تختلف ليلته مقبلا ومدبرا كالتي اخذها المخاض فلما اصبح قال يا عمران اخرج
فانظر ما بال صياحهم الليلة فخرج عمران وتوجه نحو الميدان فاقبل الكهنة والمنجمون
نحوه حاسري الراس مشققي الثياب كانهم اهل العزاء يبكون وينوحون وينتفون
روسهم واشعارهم يقشعرون من الخوف فقال عمران ما بال صياحكم الليلة ما نام الملك
من الفزع فقالوا ما نفع مكرنا وحيلتنا وكيدنا قد غلب مكر عدونا مكرنا ومكر
سيدنا وحمل بذلك المولود البارحة ونظر الي ما فعلوا بانفسهم فهاله ذلك وعمران
كاد يطير من الفرح والسرور ولكن يظهر للناس الحزن والغضب وقال ويلكم غررتم
سيدي حتى اظهر للناس وجهه وفرق فيهم خزاينه واهرقتم ماء وجهه افضحتم بين
الخلايق وقد ضمنتم واظهرتم الدعاوي واين ما ادعيتم ايها الاشقياء والارذال ما انتم
الا المجانين والسفهاء نقتلكم اليوم كقتل الطلاب ثم حشرهم عمران الي فرعون وهو
يسر في نفسه ما علم مما كان منهم من امرئه فلما دخلوا علي فرعون فراهم علي تلك الصفة
وقد جعلوا الرماد والتراب علي روسهم وعمران يشتمهم ويدفعهم ويضربهم ويوجعهم ويعاقبهم
من خلفهم فهاله ذلك فقال ويلكم ما لكم فخروا له سجدا وقالوا سيدنا عشت دهر الداهر
قد غلب مكر عدونا وحمل بذلك المولود البارحة وطلع نجمه في السماء فقال قد استوجبتم
عقوبتي ولاصلبنكم اجمعين ولاحرقنكم بالنار غررتموني وفضحتموني واستهزاتم بي
قالوا لا تقتلنا فان غلبنا حمله لا يغلبنا مولده نعرفه بعلامته فنقتله فان فعلنا ذلك
والا فاصلبنا واحرقنا فانظرهم الي مولد موسي فلم يات عليه اطول ولا اكثر حزنا منها
فلما ولد وابصر المنجمون الي كوكبه يزهر قالوا له قد ولد فلما سمع ذلك طارت روحه
وتغير لونه وطاش عقله وقال ما الحيلة قالوا امر عسكرك حتى يخرج الي ذلك الموضع
ثم مر مناديك ينادون ان لا يبقي امرءة من بني اسرائيل ولدت ولدا منذ شهر الا جاءت
الي الملك فانه يريد ان يكرموهن كما اكرم ازواجهن ويعطيهن الحلي والحلل والذهب
والفضة والجواهر فانهن يطمعن ويخرجن فاذا جئنك باولادهن فاعطهن ولين لهن الكلام

ثم اجعلهن في بعض مداينكم ثم مرهن فلتخرج امرءة فانتزع منها ما اعطيتها ومر ان
ياخذ ولدها فان كان ذكرا اذبح فاذا فعلت ذلك ظفرت بعدوك ورجع اليك ملكك قال
ابن عباس لما تقارب ولادة ام موسي وكانت القوابل وكلن بالحبالي بني اسرائيل فلما
ولدت راي نورا بين عينيه ودخلت القوابل عليها فقالت اخته يا اماه لفيه في خرقة فلفته
ووضعته في التنور وهو مسجور فدخلن القوابل فلم يرين اثرا فخرجن فبطل الصبي
وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فالح فرعون في طلب الولدان فقذفها الله في
نفسها ان تتخذ له صندوقا وتقذف به في النيل وكان لفرعون بنت برصاء اعيت
الاطباء وكان فرعون يقضي لها كل يوم ثلث حاجات فقال الاطباء والسحرة لا تبرئ
الا من قبل البحر يوجد منه شبه الانسان فيوخذ من ريقه ويلطخ برصها فتبرئ
فقعد فرعون علي شفير النيل ومعه اسية امرءته فاذا بالصندوق ففتحوه
فلم يطيقوا فتحه ولا كسره فدنت اسية فرات في جوف التابوت نورا لم يره
غيرها الذي اراده الله تعالي ان يكرمها ففتحته فاذا الصبي بين عينيه نور
قد جعل الله تعالي رزقه في ابهامه يمصه لبنا فاحبته اسية وفرعون قال
الله تعالي والقيت عليك محبة مني اي احببتك وحببتك الي عبادي قال قتادة
جعل الله في عيني موسي ملاحة ما راه احد الا علق بقلبه حبه وكان ذلك سببا لحب
امرءة فرعون له ثم حب فرعون وهو كما يقال البسه الله جمالا والقي عليه حسنا
قالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله ان الله تعالي اكثر ذكر موسي في القرآن
فقال يا عايشة من احب شيا اكثر ذكره اشار الي قوله والقيت عليك محبة مني
ثم لطخوا بنت فرعون برصها بريقه فبرات فقبلته وضمته الي صدرها فقال
الغواة من قوم فرعون نظن هذا المولود الذي تحذر منه فهم فرعون
بقتله فاستوهبته من فرعون فوهبه لها قال مقاتل لما رات التابوت
بين الامواج خشيت الغرق فكادت تصيح روي انه قال له الشيطان يا ام
موسي كرهت ان تقتل فرعون موسي وغرقتيه ولما بلغها انه وقع في يد فرعون

فانسا ها عظم البلاء قول الله تعالى ووعده واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين وكانت ام موسى بنت لاوي بن يعقوب يعني من نسله فسمت آسية
موسى لوجدانه في الشجر والماء وشا هو الشجر وموسى هو موسى بن عمران بن
قاهب بن لاوي بن يعقوب وقالت ام موسى لاخته اقتفي اثره لتعلمي خبره وكانت
اسم اخت موسى مريم وقيل كلثم فاقتفي فبصرت عن بعد فلما سمعت بان آل فرعون
التقطوا التابوت قالت لاخته قصيه تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا
يفعلون فخرجت تقصه ودخلت مع القوابل على آسية فلما رات وجدهم وجهم
اياه ورقتهم عليه وقد دعوا بالمراضع وكان لا يقبل الرضاع ولا يسكن بكاؤه ولا ينام
حتى شق ذلك على فرعون واحزنه وذلك لسبب ما اراد الله تعالى بموسى قال
الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه من ان يرتضع قبل حضور
اخته قالت هل لكم حاجة الى ان ارشدكم الى اهل بيت يكفلون يضمنون الى انفسهم ادساكه ويضمونهم
للتربية والارضاع وهم له ناصحون قالت آسية قالت ان جئت امراة عمران قد ولدت
غلاما وامر الملك بذبحه وهي غزيرة اللبن طيبة النفس بان ترضع لكم هذا الغلام
لحزنها على ابنها فدلتهم على ام موسى فبعث اليها فرعون فلما دخلت عليه ناولها
فرعون الابن فسكن بكاؤه فلما وضعته في حجرها ووجد ريحها التقم ثديها فرضع
حتى شبع ونام وقال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها جميع الناس فلم يطلع
على حملها احد وكان فرعون بعث القوابل يفتشن النساء ولم ينفخ بطن ام موسى
ولم يتغير لونها وكان لا يعتاض لها فولدته ليلا ولا رقيب عليها فلم يطلع عليها احد
الا ابنتها مريم وكانت اسن من هارون وكان هارون اكبر من موسى بثلث
سنين وكانت مريم تحت كالب بن يوقنا فاوحى الله اليها ان ارضعيه الاية وكتمته
امه ثلثة اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له صندوق
على عمل سفن البحر خمسة اشبار فاقبلت التابوت يطوف على الماء فالقى البحر التابوت
في الساحل

في جوف الليل فلما اصبح فرعون وجلس في مجلسه على شاطي النيل فبصر في التابوت
فقال لمن حوله ايتوني هذا التابوت فاتوه به وقال فرمقه واستحياه والقى الله
عليه محبته ورافته وقال لآسية عسى ان ينفعك واما انا فلا اريد نفعه قال ابن عباس
لو ان فرعون قال في موسى كما قالت آسية لنفعه الله به ولكنه ابى ذلك للشقاء الذي كتبه
الله عليه فاحبه فرعون وآسية وبنت فرعون فقالت آسية لامه خذي هذا الولد واحسن
اليه وانا احسن اليك كما تحب وترضى فاحسنت آسية الى ام موسى واعطت لها عطاء
جزيلا ثم قالت آسية اسكني معي في داري احسن اليك فانقبضت ام موسى عن ذلك لتيقنه بوعد
الله وهو قوله تعالى انا رادوه اليك واراد ان يذهب الشك عن قلوبهم وكان لهم شك ووهم
وانها امه فقالت ان لي اهل واولاد ونعمة ومتاع لا اقدر ان اسكن لاجله ان شئت اذهب
به الى بيتي واربيه لك واجيء به متى ارسلت الي وان لم ترضي بذلك فهذا ولدك وقد ارضعته
ونومته فقالت آسية رضيت بذلك يكون معك في بيتك فجاءت به الى بيته وكانت قد القته
في اليم وقت السحر فرجعه الله الى امه في ذلك اليوم قبل ان تسقط الشمس للغروب كي
تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق وكانت تاتي بموسى في كل اسبوع مرة الى
آسية وكانت تقبله وتشمه وترفعه وتضمه الى صدرها حباله وكانت بنت فرعون تفعل
كذلك وكان فرعون ياخذه ويحبه حبا شديدا وكان يوما في حجره فاخذ لحيته ونتف منه
شعرات فاخذ فرعون يد موسى وقال هذا المولود هو الذي اخاف منه فاقتله فقالت
آسية ما فعل هذا من العداوة ولكنه صبي ليس له ادراك فان شئت امتحنه فان
فعل هذا عن معرفة فافعل به ما شئت والا فهو صبي معذور كلما يفعل فامرت
فملاوا طبقا بالياقوت الاحمر وطبقا بالجمرات فاجلسوا موسى بين الطبقين فلما مد
يده ليقبض على الياقوت قبض الملك الموكل به على يده فردها الى الجمرة فقبض
عليها موسى فالقاها في فمه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت آسية الم اقل لك
انه لا يعقل شيئا فصدقها فرعون وترك قتله فيقال ان عقدة التي كانت في لسانه
اثر تلك الجمرة وهي التي قال موسى واحلل عقدة من لساني فازال الله تعالى تلك الرتة العقدة
عن لسانه

وعن بعض المفسرين ان سبب هم فرعون بقتل موسى بعد ما تبناه ما روي عن وهب
انه قال وكان من لطف الله تعالى ان عطف الله فرعون على موسى فبينا هو يلعب
بين يدي فرعون يوما ويعدو وبيده قضيب خفيف صغير يلعب به اذ رفع القضيب
وضرب رأس فرعون فغضب فرعون وتطير من ضربه وقال لآسية الا
ترين الى هذا الغلام يضربني بالقضيب وقد كنت كم من الاعداء فاراد قتله فقالت
فانه صبي صغير لا يعقل شيئا وليس ينبغي للملك ان يغضب من مثل هذا فجربه ان
شئت فاجعل في هذا الطشت جمرة وذهبا فانظر على ايهما يقبض فامر فرعون
بجمر وذهب فوضعهما بين يديه في طشت والباقي من القصة كما مر فمكث عند امه
الى ان فطمته ثم ردته فتبناه فرعون وآسية واتخذاه ولدا فامن من جانب الولد
ولم يامن من خوفه على نفسه من جانب موسى فامر يوما باخراج منبره الى مدائنه
وامر مناديه فنادوا ان لا يبقى امرأة لها ولد فلتخرج فان الملك يريد ان يكرمهن ويكرم
اولادهن بالعطايا والصلات فخرج اللعين وصعد منبره وخرجت النسوة خوفا
وطمعا فلين لهن القول واعطى اموالا كثيرة وثيابا فاخرجهن فامر بخروجهن فمن
كان ولدها ذكرا تخرج ويؤخذ ما اعطاها فرعون وولدها فيذبح ولدها بمرأى من امه
وهي تصرخ وتبكي وتنوح ولا تقدر على الدفع فقتل اللعين يومئذ تسعين الف
ولد ولما بلغ اشده قال ابن عباس معناه بلغ مبلغ الرجال قيل هو اثني عشر سنة
وقيل ثماني عشرة سنة قال الطيبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين
سنة وقال قتادة وهو قول اكثر المفسرين بلغ اشده اي ثلثا وثلثين سنة
واستوى اي بلغ اربعين سنة وذلك حين اوحي اليه وقد راى النار من جانب
الطور اتيناه حكما وعلما قال محمد ابن اسحق فقها في دينه وعلما بشرايع دينه
فكانت له في بني اسرائيل جماعة كثيرة يستمعون من موسى ويطيعونه فلما
عرف ذلك راى ان مفارقة فرعون وقومه حق عليه في دينه فتكلم وعابهم
عليه حتى اشتهر ذلك منه فاخافوه وخاف حتى كان لا يدخل مدينة فرعون الا
خايفا مستخفيا

قال الله تعالى وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي كل من احسن عمله لنا وصبر على طاعتنا
كما فعل موسى من مفارقتهم وعيب آلهتهم فعل ذلك فآتينا ما آتيناه على احسانه وقالوا اخرج موسى
من مصر الى مدين وهو ابن اثني عشرة سنة وكان عند شعيب ثماني عشرين سنة وخرج
باهله الى مصر وهو ابن اربعين سنة حتى اوحي اليه وراى من الشجر الاخضر نارا ونودي روي
ان فرعون لما راى اعزاز بني اسرائيل موسى واستماعهم منه واجتماعهم وعيب آلهتهم وذكر
ضربه على راسه بالقضيب اخرجه من البلد خوفا منه فدخل مدينة عين الشمس وهي
على فرسخين من مصر وكان اهلها غافلين عن موسى وقيل كان سبب دخوله ان فرعون
كان يلبس موسى من ثيابه ويركب من دوابه فلبس يوما وركب ولبس موسى نحاضر
من مصر وكان اهلها غافلين عن موسى وذهب الى تلك المدينة ودخل فلما جاء موسى
اخبر ان فرعون قد ركب فركب في اثره وجاء تلك المدينة التي نزلها فرعون على غفلة
من اهلها وكان ذلك اليوم يوم عيدهم قد اشتغلوا بلهوهم فوجد فيها سبطيا وقبطيا
يقتتلان وكان القبطي طباخ فرعون وقيل كان السبطي السامري فاستغاثه الاسرائيلي
على الفرعوني فغضب موسى فقال للفرعوني خله فقال انما اخذه ليحمل الحطب الى
مطبخ ابيك لقد هممت ان احمله عليك وكان قد سمع تغير فرعون على موسى فجمع موسى
كفه فضربه ولم يتعمد قتله وكان موسى ذا قوة وبطش فقتله وهو غير عامد قتله
فندم فقال هذا من عمل الشيطان انما اغراني بهذا الفعل الشيطان وهيج غضبي حتى ضربت
ان الشيطان عدو مضل مبين قاصد الى الاضلال والافساد مبين ظاهر العداوة
ثم استغفر ربه فقال اني ظلمت نفسي بفعل صار قتلا من غير امرك فاغفر لي تبت
اليك فلن اكون بعد ذلك من المذنبين ولا ظهيرا لهم ومعاونا رب مما انعمت على من القوة
وكانت له قوة اربعين رجلا فلن اكون ظهيرا للمجرمين لا الاسرائيلي ولا القبطي ولا الغير مما
من الظلمة قال ابن عباس فلم يستثن فابتلي في اليوم الثاني وعن بعض المفسرين معناه
بما انعمت علي من القوة والبطش الشديد فلن استعملها الا مظاهرة اوليائك واهل طاعتك
والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل وقال سلمة بعث بعض الامراء وهو عبد الرحمن
بن مسلم

الي الضحاك بعطاء اهل بخاري وقال اعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتي اعفاه
فقيل له ما عليك ان تعطيهم انت قال لا احب ان اعين الظلمة علي شي من امرهم قال
عبد الله بن الوليد قلت لعطاء ان لي اخا ياخذ بعلمه وانما يكتب ما يدخل ويخرج
وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وادان فقال فمن الراس يعني من الذي يكتب اخوك
له قال خالد بن عبد الله القسري قال اما يقرا ما قال العبد الصالح رب بما انعمت
علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين تجوز ان يكون معناه اقسم بانعامك علي بالقوة والبطش
فلن اكون ظهيرا للمجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان
يركب كالولد مع الوالد وكان يسمي ابن فرعون واراد مظاهرة من ادت مظاهرته
الي الجرم والظلم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الي القتل الذي لم تحل له وانما جعل قتل
الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل وعن
ابن جريج انه قال ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر وفي الخبر ينادي مناد يوم القيامة اين
الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتي من لاق لهم دواة وبري لهم قلما فيجمعون
في صندوق من حديد فيرمي به في النار فاصبح في تلك المدينة التي قتل فيها القبطي خايفا
علي نفسه يترقب وينتظر سوء ومكروها وعن بعضهم خايفا علي نفسه يترقب نصر
ربه وعن بعضهم خايفا مستوحشا يترقب مونسا يانس به وعن بعضهم خايفا من
ربه يترقب اوان الاعتذار فاذا الذي استنصره علي القبطي بالامس يستصرخه ويستغيثه
علي قبطي اخر وذلك ان القبط قالوا الفرعون قتل منا بنو اسرائيل قتيلا فخذ حقنا
فقال لولي الدم من قاتله ومن يشهد لكم بذلك فانا لا احكم بغير بينة فبيناهم يطوفون يطلبونه
شاهدا او قاتله اذ مر موسي من الغد وقد راي الاسرائيلي الذي اعانه بالامس يقاتل
قبطيا اخر فاستغاثه علي ذلك القبطي وكان موسي قد ندم علي قتل القبطي
فقال له انك لغوي مبين قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم اخر
وتستغيثني عليه وعن بعضهم ان موسي قال للقبطي انك لغوي مبين ولما راي ضعفه
ادركته عليه رقة فاراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما فلما راي الاسرائيلي شدة وغضب موسي

قصده

قصده نحوه قايلا انك لغوي مبين ظن الاسرائيلي انه يريد قتله فقال ظننا يا موسي
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ما تريد الا ان تكون جبارا يفعل ما يريد من الضرب
والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وما تريد ان تكون من
المصلحين الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر فلما سمع القبطي ذلك
ما قاله الاسرائيلي وكلام موسي علم ان موسي هو الذي قتل القبطي بالامس
فذهب وافشي علي موسي فانتشر الحديث في المدينة ورقي الي فرعون فامر
فرعون بقتل موسي فجاوا يطلبون موسي ليقتلوه وجاء رجل الذي امن
من قوم فرعون من المدينة يسعي يمشي بسرعة حتي سبق اعوان فرعون الي موسي
قال يا موسي ان الملا يتشاورون في قتلك ويامر بعضهم بعضا بك ليقتلوك
فاخرج من المدينة اني لك لمن الناصحين في الامر في الخروج فخرج من مصر خايفا
يترقب اي ينتظر الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين الكافرين ولما بلغ فرعون
هرب موسي ارسل في طلبه جماعة واخذ الطرق كله وقال انه لا يعرف الطرق
فتوجه تلقاء مدين قال المفسرون خرج موسي من مصر الي مدين وبيده
عنزة بلا زاد ولا درهم ولا ظهر ولا حذاء وبينهما مسيرة ثمان ليال ولم يكن له طعام
الا اوراق الشجر وروي ان ملكا جاءه علي فرس بيده عنزة فانطلق به الي
مدين قال ابن عباس رضي الله عنه خرج وليس له علم بالطريق الا حسن
ظنه بربه فما وصل حتي سقط خف قدميه ومدين هذه قرية مدين ابن
ابرهيم ولم يكن في سلطان فرعون وحكمه وكان لابرهيم اربعة بنين اسمعيل
واسحق ومدين ومداين ومدين اسم جد شعيب واليهما نسبت بلدتان
مدين ومداين هذا قول ابن عباس والضحاك ومجاهد والسدي وكان يري
خضرة الاوراق في بطنه من ظاهره قال ابن عباس هو اول ابتلاء الله تعالي موسي
يعني بالشدايد اشد البلاء علي الانبياء الحديث قال جعفر توجه موسي بوجهه الي
نحو مدين وبقلبه الي ربه طلبا منه سبيل الهداية فاكرمه بالكلام وكل من اقبل الي الله
لي حي

بالكلية فان الله يبلغه ما يريد ولما ورد ووصل ماء مدين وكان بئرا يسقون
منها مواشيهم وجد جماعة على جانب البئر يسقون مواشيهم ومن المفسرين
من قال ورد في الظاهر ماء مدين وفي الحقيقة على مالك مياه الانس وبساتين
المعرفة فوجد عليه امة اي خواصا من العبادين يتعون في تلك الميادين فانس بهم
وشرب معهم من تلك المياه شربة فاورث ذلك مخاطبة الحق واورثته تلك الشربة
الثبات في حال المخاطبة ووجد من دونهم سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة
وقيل في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تردان غنم الناس عن غنمهما
وعن بعض المفسرين تردان ماشيتهما عن الماء لئلا تختلط بغنم غيرهما وعن بعضهم
كان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة وقيل
تذودان النظر الى وجههما حياء وتسترا فسأل موسى عنهما فقال ما خطبكما اي ما شانكما وحقيقته عن صح
ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد قالتا لا نسقي لا نقدر على السقي حتى يرجع الرعاء
وينصرفوا الا انا نستحيي ولا نطيق المزاحمة والاستقاء فنرد غنمنا عن الماء حتى تذهب عنه الناس
فاذا ذهبوا جئنا فسقينا غنمنا من فضل ما بقي من غنمهم في الحياض ان بقي منهم فضل ماء
فلما سمع موسى ذلك اصابته الرحمة لهما فقام وسقى غنمهما وكانوا يضعون على راس البئر غنمهما
حجرا لا يقله الا سبعة رجال وعن بعضهم اربعين وعن المفسرين مائة فاقله وحده
وعن بعضهم انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا
اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعى بالبركة وروي غنمهما واصدرهما اي ردهما
الى طريقهما وعن بعضهم كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة العظيمة التي لا يقلها الا مائة
رجل فرفع الحجر عن راس البئر وحده فسقى لهما وقال مجاهد وكان الحجر لا يقله الا مائة
رجل وكان الدلو لا ينزعها الا اربعون رجلا فرفع الحجر بنفسه ونزع الدلو بنفسه وانما فعل
ذلك رغبة للمعروف واغاثة للملهوف والمعنى ان موسى وصل الى ذلك البئر وقد
ازدحمت عليها امة من الناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين من
ورائهم مع غنمهما مترقبين لفراغهم فما تركت همته في دين الله وصلابته فيه وقوة
معرفته

تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم وغاية الجوع ولكنه
رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده
وبما آتاه الله تعالى من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع انتهاز
فرصة الخير ترغيب في الخير وفي انتهاز فرصة وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين
والاخذ بسيرهم ومذاهبهم ومن المفسرين من قال فان قلت كيف طبق جوابهما سؤال
موسى قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا انما السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان
مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما
لنا رجل من اجير وقريب او جار يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح
للقيام به عذرهما في توليهما السقي بانفسهما ثم توجه موسى بعد السقي الى ظل شجرة
قيل كانت سمرة وقيل كان ظل حايط والبئر كانت في الشمس فجلس وقال رب اني
لما انزلت الي من خير فقير قال القشيري لما اخبر موسى من نفسه قوة مائة نفر خاف
العجب على نفسه وقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فادى فقره وفاقته اي وان
تعاطيت بما بي من القوة واني فقير اليك والى رحمتك اي لم اعمل الا بقوتك التي اعطيتني ما خاطبكما صح
اياها ولما سقى موسى غنمهما قبل سقي الناس اسرعتا الرجوع الى ابيهما فقال ما لكما
اسرعتما الرجوع فقالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا وسقى لنا قال فهلا جئتماني به
ثم قال لاحدى بناته اذهبي فادعيه فاتت موسى وهي مستحيية منه وقد وضعت
درعها على وجهها حياء كما هو عادة بنات العرب فدعته ولما سمع كلامها اراد ان لا
يذهب فذكر ثواب اجابة الدعوة فقصد الذهاب لئلا يمتنع من اجابة الدعوة ولئلا
تخيب قصدها وللقاصد حرمة سيما هي حرمة ولانه في اجابة الدعوة عدم تخييب القاصد
جبر القلوب وجبر القلوب من اخلاق الانبياء والصديقين وفيها هضم النفس فاجابها
فمشت بين يديه نحو البيت كما هو عادة الدليل فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف جسدها
فكره موسى ذلك فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما اتاه وقص عليه قصته واخبره
بجميع ما جرى له منذ ولد الى وقت مصيره اليه قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين

فلا سلطان لفرعون بارضنا قال بعض المفسرين رحمه الله فان قلت كيف ساغ
موسي عليه السلام ان يعمل لامرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة
فكما يعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثي في الاخبار جاز وما كانت
الا مخبرة عن ابيها فانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية فلا باس في
نظاير تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجرة علي البر
والمعروف وقيل اطعام شعيب واحسانه علي سبيل اخذ الاجرة ولكن علي سبيل
التقبل لمعروف مبتدا، قد روي ما يعضد ذلك روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك
ولما ذهب ودخل البيت وقدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع دينا
بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ علي المعروف ثمنا حتي قال شعيب هذه عادتنا مع كل
من ينزل بنا وعن بعض المفسرين ولما دخل منزل شعيب اذ هو بالعشاء فقال
اجلس يا شاب فتعش فقال معاذ الله فقال شعيب ولم ذلك الست بجايع قال نعم
ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا مما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نطلب علي عمل من
اعمال الاخرة عوضا من الدنيا فقال شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة
ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسي فاكل وهذا يدل علي ان موسي
لم يذهب لشدة ما به من الجوع خلافا لما قاله بعض المفسرين فلما اكل قالت احديهما
يا ابت استاجره اي اتخذه اجيرا يرعي غنمنا ويسقي ان خير من استاجرت القوي الامين
فقال شعيب وما علمك بقوته وامانته فقالت اما قوته فانه رفع حجرا عن راس
البير لا يرفعه الا عشرة او اربعون رجلا واما امانته فانه امرني بالمشي خلفه
لئلا يطلع علي شيء مني قال ابن عطاء المراد القوي في دينه الامين في جوارحه فلما
سمع مقالتها رغب في تزويجها اياه اذ الدين عماد الدنيا والاخرة ثم قال اريد ان
انكحك احدي ابنتي هاتين علي ان تاجرني ثماني حجج قوله هاتين فيه دليل علي انه
كانت له غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت
له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزيتهم رسول الله صلي الله عليه وسلم

آجركم الله

آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج قيل كيف صح ان ينكحه
احدي ابنتيه من غير تمييز واجيب بانه لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن كان مواعدة
ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد
ان انكحك قيل كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم
ما هو مال الا يري ان ابا حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج حر امرأة بان
يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان تخدمها عبده سنة او يسكنها دارها
سنة لان في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد
والدار اجيب بان الامر علي مذهب ابي حنيفة علي ما ذكرت واما الشافعي
فقد جوز التزوج علي ذلك ولعل ذلك كان جايزا في تلك الشريعة او كان المهر شيئا
اخر وانما اراد ان يكون الراعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه احدي ابنته
فذكر المرادين وعلق الانكاح بالرعية علي معني اني افعل هذا اذا فعلت ذلك علي
وجه المعاهدة لا علي وجه المعاقدة او استاجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم
ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به وتجعل قوله علي ان تاجرني ثماني حجج عبارة
عما جري بينهما فان اتممت عمل عشر حجج فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه
ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد
ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه وعن بعضهم ان وعده المساهلة والمسامحة
من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل
المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة
في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان
الانبياء عليهم السلام اخذين بالاسمح في معاملات الناس وقوله ستجدني ان
شاء الله من الصالحين يدل علي ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق
ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح علي العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد
باشتراط مشية الله تعالي فيما وعد من الصلاح الاتكال علي توفيقه فيه ومعونته

لانه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه قال موسى ذلك بيني وبينك
اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قايم بيننا جميعا لا نخرج لا انا عنه
لا انا عما شرطت ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين
اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي فلا يعتدى علي في
طلب الزيادة عليه والله على ما نقول وكيل اي على ما نقول من الشروط والعهود شهيد
وحفيظ عن ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما
واذا سيلت اي المراتين تزوج موسى فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت الى موسى
قال ابن عباس قضى اي الاجلين اطيبهما فزوجه الصغرى قال وهب زوجه الكبرى
روي ان شعيبا بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فقال الله
ما هذا البكاء اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقايك فاوحى الله
ان يكون ذلك وهنيئا لك لقائي يا شعيب فلذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تعاهدا هذا
العهد وتعاقدا عليه قال شعيب لموسى ادخل هذا البيت لبيت عنده فيه عصي الانبياء
فخذ منه عصى تطرد بها السباع عن غنمك وكان ليلا فاخذ عصا كان قد هبط بها ادم
من الجنة وتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب وكان مكفوفا فمسها فقال لموسى
خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم شعيب ان له شانا وعن بعضهم ان
جبريل جاء بتلك العصى بعد موت ادم عليه السلام وكانت عنده حتى لقي بها موسى وعن
بعض المفسرين ان ملكا جاء شعيبا في صورة انسان فاودعه هذه العصا فامر شعيب
ابنته بان تدفع الى موسى عصاه فلم يقع في يدها الا هذه سبع مرات فدفعها الى موسى ثم ندم على
ذلك لانها كانت وديعة عنده فخرج به موسى فتبعه شعيب فقال رد العصا فقال هي عصاي
فاختصما الى اول قادم يقدم عليهما فقدم عليهما ملك في صورة ادمي فقال لموسى
الق عصا فمن اخذها منكما فهي له فالقاها فعالجها شعيب فلم يطقها فاخذها
موسى فعلم شعيب انها له ثم قال له اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ عن يمينك فان
ثمة تنينا اخافه عليك وعلى غنمك فاخذت الغنم في ذلك الموضع بغير اختيار موسى فجاء

فراه

ارسم العصاء

فراه كثير الكلاء فنام موسى فجاء التنين فقاتلته ثم عادت مكانها فاستيقظ موسى
وراى العصا دامية والتنين مقتولا فارتاح لذلك ولما اخبر شعيبا بذلك ففرح وعلم
ان لموسى وللعصا شانا فقال له اني وهبت من نتاج غنمي ابلق وبلقاء تلده غنمه
وذلك لحسن رعيه وصلة لبنته فاوحى الله تعالى الى موسى ان اضرب بعصاك الماء
الذي تشرب منه الغنم ففعل فولدت جميعها ادرعا ودرعا فاخذه موسى وابنة
شعيب وعلم شعيب انه رزق رزقهما الله تعالى وعن بعض المفسرين فنام موسى
فخرج التنين فقامت العصا فصارت شعبتاها حديدا وحاربت التنين حتى قتله
وعادت الى موسى فانتبه موسى رای العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فارتاح
لذلك وعاد الى شعيب فمس الاغنام فاذا هي املى حالا فساله عن القصة فاخبره بها ففرح
بذلك شعيب واراد ان تجزى موسى عليها فقال له كل ما ولده الاغنام في هذه السنة
سود من اولاد فهو لك فكانت الاولاد في تلك السنة كلها سودا فحازها كلها وفي السنة الثانية
شرط ذلك في البيض فولدت كلها بيضا فحازها وفي السنة الثالثة قال كل ولد له لونان
سود وبياض فهو لك فكان الكل كذلك فحازها كلها فعلم شعيب ان له عند الله منزلة فلما قضى
موسى الاجل اي اتمه وفرغ منه وسار باهله وقال مجاهد لما قضى موسى الاجل مكث
بعد ذلك عند صهره عشرا اخرى فاقام عنده عشرين سنة ثم استاذنه
في العود الى مصر فاذن له فخرج باهله الى جانب مصر انا لما طغى الماء حملناكم في
الجارية حملنا اباءكم لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل ابايهم منة
عليهم فكانهم هم المحمولين لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة
المؤمنين واغراق الكفرة لكم تذكرة عظة وعبرة وتعيها اذن واعية من شانها
ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل عن عبد الله بن الحسن قال
حين نزلت هذه الاية قال عليه السلام سالت الله عز وجل ان تجعلها اذنك يا علي
قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيئا بعد ذلك وما كان لي ان انسى فان قلت لما قيل
اذن وواعية على التوحيد والتنكير قلت الايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس

ای حفظ

ای الاسلام

بطلق صح

في اليوم صح

بعقله من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله
فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملأوا ما بين
الخافقين فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهي نفخة الاولى لان عندها فساد
العالم وعن ابن عباس انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون
والعرض انما هو النفخة الثانية قلت جعل الله اليوم اسما للحين الواسع الذي
يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ
تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته
وحملت ورفعت الارض من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض
والجبال او بخلق من الملائكة او بالقدرة بلا سبب فدكتا دكة واحدة فكسرتا ودقتا
دقة واحدة والدك ابلغ من الدق يعني جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض
حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا مرة وقيل الدك الارض اللينة السهلة
فمعنى الآية جعلتا بمنزلة الارض اللينة فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا فيومئذ وقعت الواقعة نزلت النازلة وهي القيامة
سمى الله تعالى ذلك اليوم باسامي كثيرة ليقف السامع والقارئ بكثر اساميها
على كثرة معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه
اولي الالباب وفي كل اسم من اسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها
سر فليحرص القارئ والسامع على معرفته واستخراجه فيا ايها القارئ
العاجز انما حظك من قراءتك ان تمجمج القرآن وتحرك به لسانك ولو كنت متفكرا
فيما تقرأ لكنت جديرا بان تنشق مرارتك واذا اقنعت بحركة اللسان فقد حرمت
ثمرة القرآن وانشقت السماء فهي يومئذ واهية مسترخية ضعيفة
ساقطة القوة جدا والملك انما اختير هذا اللفظ لانه اعم من الملائكة
على ارجائها نواحيها واقطارها يعني انها مسكن الملائكة فتنشق فينضوون
الى اطرافها وجوانبها وحافاتها من حافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية

قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله وقال النبي عليه السلام
هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم باربعة اخرى فكانوا ثمانية
عن العباس بن عبد المطلب قال ثمانية املاك على صورة الاوعال وروي
ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما
وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على حلمك بعد علمك وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارضين
السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وفي الحديث ان لكل ملك
منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وقيل بعضهم على
صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم
على صورة النسر وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن
الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويمكن الثمانية الموصوفة رؤساء
ثمانية الصفوف من حملة العرش ويجوز ان يكون الثمانية من الثمانية الزوج
فيكون معنى يومئذ ثمانية اي ثمانية ازواج او من خلق آخر ويمكن ان يكون فيهم
صور مختلفة الانواع وهو القادر على كل خلق سبحان الله خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون عن علي بن الحسين انه قال ان الله عز وجل
خلق العرش رابعا لم يخلق قبله الا ثلاثة اشياء الهواء والقلم والنور ثم خلق
العرش رابعا من الوان انوار مختلفة من ذلك نور اخضر منه اخضرت الخضرة
ونور اصفر منه اصفرت الصفرة ونور احمر منه احمرت الحمرة ونور ابيض
فهو نور الانوار ومنه ضوء النهار ثم جعله سبعين الف الف طبق ليس
من ذلك الا يسبح بحمده ويقدسه باصوات مختلفة لو اذن لها لاسمعت لتهدم
الجبال والقصور ولخسف البحار وعن ابن عباس قال لما خلق الله حملة العرش
قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم من اعوانهم مثل جنود من في سبع سموات
من الملائكة

ومن في الارض من الخلق فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد مثل جنوده
سبع سموات وسبع ارضين وما في الارض من عدد الحصا والثرى فقال احملوا
عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا لا حول ولا قوة
الا بالله استقلوا عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى
فلم يستقر فكتب في قدم كل ملك منهم كلمة فاستقرت اقدامهم وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من
الملايكة فان خلقا من الملايكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على
كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضال
من عظمة الله حتى يصير كانه الوضع عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن لي ان احدث عن ملك من الملايكة من حملة العرش ما بين شحمة اذنيه الى عاتقه
مسيرة سبعماية عام وروي لقمان بن عامر عن ابيه قال ان الله عز وجل خلق العرش
من جوهرة خضراء للعرش الف الف راس وستماية الف راس في الراس الف الف وجه
وستماية الف وجه الوجه الواحد كطباق الدنيا الف الف مرة وستماية الف مرة في الوجه
الف الف وستماية الف لسان كل لسان يسبح بالف الف وستماية الف لغة خلق الله لكل لغة
من لغات العرش خلقا من ملكوته يسبحه ويقدسه بتلك اللغة وروي جعفر بن محمد
عن ابيه عن جده انه قال ان ما بين القايمة من قوايم العرش والقايمة الثانية خفقان
الطير المسرعة ثمانين الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع
ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة فان لله ملكا يقال
حرقاييل له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسماية عام ثم اوحى
الله تعالى ايها الملك طر فطار بمقدار عشرين الف سنة لم ينل راسه قايمة من
قوايم العرش ثم ضعف الله له الجناح والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلثين
الف سنة فلم ينل اليها فاوحى الله عز وجل اليه ايها الملك لو طرت الى نفخ الصور
مع اجنحتك لم تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فانزل الله عز وجل
سبح اسم ربك الاعلى

وقال النبي عليه السلام اجعلوها في سجودكم وعن جعفر بن محمد ان الله تعالى
لما نظر الى الجوهرة جمدت فصارت جوهرة حمراء ثم نظر اليها ثانية فذابت
وارتعدت من خوف ربها ثم نظر اليها الثالثة فصارت ماء ثم نظر اليها الرابعة
فجمد نصفها فخلق من النصف العرش ومن النصف الماء ثم تركها على حالتها فهي
ثم ترتعد الى يوم القيامة وعن كعب الاحبار انه قال لما خلق الله العرش
قال لن يخلق الله خلقا اعظم مني فاهتز فطوقه بحية للحية سبعون الف جناح
في الجناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون
الف لسان يخرج من افواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق
الشجر وعدد الحصاة والثرى وعدد ايام الدنيا وعدد الملايكة اجمعين فالتوت
الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية قال وهب بن منبه ان حول العرش
سبعون الف ملك من الملايكة صف خلف صف يدورون حول العرش يطوفون
به يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن
وراءهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا
تكبير اوليك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك
انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم لك راجعون ومن وراء هؤلاء ماية صف
من الملايكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا وهو يسبح بتسبيح لا يسبحه الاخر
ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثماية عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه اربعماية عام
واحتجب الله عز وجل من الملايكة الذين حول العرش سبعين حجابا من نار وسبعين
حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين
حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج
وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل ولكل
واحد من حملة العرش ومن حوله اربعة وجوه وجه ثور ووجه اسد
ووجه نسر ووجه انسان لكل واحد منهم اربعة اجنحة اما جناحان فعلى
وجهه مخافة ان ينظر الى العرش

فيصعق واما جناحان فهو فوبها ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد والتكبير ويروى
ان اقدام حملة العرش في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم
يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي الحي
الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملايكة والروح وقال ميسرة بن عروة ارجلهم
في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد
خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل التي
تليها والتي تليها اشد خوفا من التي تليها يومئذ تعرضون لا تخفى منكم العرض
عبارة عن المحاسبة والمسايلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف
احواله وفي الحديث يعرض الناس ثلث عرضات واما عرضتان فجدال ومعاذير
وخصومات واما الثالثة فعند ذلك الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ
بشماله لا يخفى منكم سريرة وحالة خافية كانت تخفى في الدنيا فاما تفصيل للعرض
من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم تعالوا اقرؤا كتابيه قال البصريون
تقديره هاؤم كتابي اي خذوا كتابي واقرؤا كتابي اني ظننت علمت وايقنت
وانما اجري مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام
ويقال الظن ظنا كاليقين اني ملاق حسابيه عن زيد بن ثابت اول من يعطى
من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس فقيل فاين ابو بكر
قال هيهات هيهات زفته الملايكة الى الجنة فهو في عيشة راضية مرضية
في جنة عالية رفيعة قطوفها دانية ثمارها قريبة ينالها القايم والقاعد
والمضطجع يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم قدمتم
من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن
مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدلا مما امسكتم عن الاكل والشرب
لوجه الله وروي ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا اوليايي طالما نظرت
اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت
بطونكم

فكونوا اليوم في نعيمكم فكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من
اوتي كتابه بشماله قال ابن السايب تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه وقيل
تنزع من صدره الى خلف ظهره فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها اي
يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة الفارغة من كل ما بعدها فلم ابعث بعده والقاضية
موت لا حيوة بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا شي اكره من الموت
ويجوز ان يعود الضمير الى الحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه راى تلك
الحالة اشنع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغنى عني ماليه
اي اي شي اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت
فقيرا ذليلا وقيل ذهب عني حجتي قال ابن زيد زال عني ملكي وقوتي فيقول الله عز وجل لخزنة
جهنم خذوه ويروى انه يجتمع على شخص واحد من اهل النار مائة الف من الزبانية فيقطع من
ايديهم فلا يرى على ايديهم منه الا الودك ثم يعاد خلقا جديدا فغلوه ثم الجحيم صلوه ادخلوه اي لا
تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
فاسلكوه اي لا تسلكوه الا فيه وسلكه فيه ان تلوى على جسده وهو فيما بينها موثوق مضيق لا يقدر
على الحركة قال ابن عباس تدخل في دبره وتخرج من منخره وقيل يدخل من فيه ويخرج من دبره
وعن ابن سيرين عن بعض المفسرين كل ذراع سبعون باعا الباع ابعد ما بينك وبين مكة وكان
رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع من سبعين كل ذراع سبعين ذراعا وقال عبد الله بن عمرو بن عاص
قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى جمجمة ارسلت من السماء الى
الارض وهي مسيرة خمسماية سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة
لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها او قعرها وعن كعب قال لو جمع حديد
الدنيا ما وازن حلقة منها ولو ان حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها انه تعليل
كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك كان لا يؤمن بالله العظيم
ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المساكين احدهما عطفه
على الكفر وجعله قرينة له الثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة

فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القايل اذا نزل الاضياف كان عذوّرا
علي الحي حتي تستقل مراجله وعن ابي الدرداء انه كان تحضّ امراته علي تكثير المرق
لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها علي بذل
طعام المساكين فليس له اليوم ههنا حميم صديق ينفعه او قريب يعينه بل يفرون منه
ولا طعام الا من غسلين وهو صديد اهل النار وما يسيل من ابدانهم وفروجهم لا ياكله الا
الخاطون الاثمون المذنبون خطي الرجل اذا تعمد الذنب فلا اقسم بما تبصرون اي مما اظهر الله
للملايكة واللوح والقلم وما لا تبصرون وما استاثر بعلمه فلم يطلع عليه احدا انه اي القرآن
لقول رسول كريم يقوله ويتكلم به علي وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر
قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن كما تدعون قليلا ما تذكرون وقيل القلة بمعني العدم
اي لا تومنون ولا تذكرون والمعني ما اغفلكم وما اكفركم تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول
رسول نزل عليه من رب العالمين ولو تقول اي ولو ادعي علينا شيا لم نقله بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي وتينه وهو حبل الوريد والمعني
لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك ممن يتكذب عليهم معاجلة بالانتقام والسخط فصور قتل
الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده ويضرب رقبته وخص اليمين
لان السياف اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه
في جيده وان يكفحه بالسيف اخذ بيمينه وهو اشده لنظره الي السيف فما منكم من
احد عنه حاجزين تحجزوننا عن عقوبته وما نفعل به والخطاب للناس
وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه اي القرآن لحسرة
علي الكافرين يعني من يكذب به كافر وانه لحسرة علي المكذبين اذا راوا ثواب
المصدقين لعاملين به يوم القيامة واذا راوا ثواب متابعيه وانه لحق
اليقين اي لليقين المحض فسبح الله بذكر اسمه ربك العظيم وهو قوله سبحان
الله واعبده شكرا علي ما اهلك له من اجابه اليك

بسم الله الرحمن الرحيم سال سايل بعذاب اي عن
عذاب

كقوله فاسيل به ولقول علقمة فان تسالوني بالنساء فانني واقع نازل كاين لمن هو
فقال مجيبا للكافرين ليس له دافع قال الحسن وقتادة لما بعث الله محمدا عليه السلم
وخوفهم بالعذاب والنكال قال الكافرون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هو فبين الله
وانزل سال سايل الاية من الله ذي المعارج قال ابن عباس ذي السموات وقال ابن
كيسان هي الفتق بين كل سماين وارضين قال مجاهد معارج الملايكة تعرج الملايكة
والروح جبريل افرده لفضله عليهم وقيل خلق هم حفظة علي الملايكة كما ان الملايكة
حفظة علي الناس اليه الي الله عز وجل وقيل الي عرشه يصف بعد مدي المعارج
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال الكلبي تقديره ليس له دافع من الله
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملايكة والروح اليه وقال هو يوم فيه خمسون
موطنا كل موطن الف سنة وقال الحسن هو يوم القيامة وليس يعني مقدار طوله
هذا دون غيره ولكنه يقول موقفهم للحساب حتي يفصل بين الناس خمسون الف سنة
من سني الدنيا وذلك ان ليوم القيامة اولا وليس له اخر لانه يوم ممدود وعن
عبد الله بن عمر تلا رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا
جمعتم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن
ما ظنكم بيوم قاموا فيه علي اقدامهم خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم
يشربوا فيها شربة حتي اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا
انصرف بهم الي النار فسقوا من عين انية قد ان حرها فلما بلغ المجهود منهم ما لا
طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم علي مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا
بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر
كل واحد بشدة غضب الله وقال قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتي يشفع نبينا صلي الله عليه وسلم لمن يوذن له
فيه لا ينفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل يا مسكين
في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتي تخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي
في عمرك المختصر

واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته الصبر عن الشهوات
فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل
عن طول ذلك اليوم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اهون
عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اوليك المؤمنين
وهم الذين قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اوليك
هم الوارثون وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اوليك
هم المؤمنون حقا وقال التايبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال وعباد
الرحمن الذين يمشون في الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى اخر
السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه
الصفات علامة كمال الايمان وفقد جميعها علامة كمال النفاق ووجود بعضها
دون بعض تدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل فقده وحفظ ما
وجده ووصف النبي صلى الله عليه وسلم لصفات كثيرة واشار بجميعها الى كمال الايمان
فقال المؤمن من يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم
ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال من سرته حسنته
وساءته سيئته فهو مؤمن وسئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن
همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته الطعام والشراب كالبهيمة
وقال المؤمن من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان
وقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس
على دمايهم واموالهم والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من
هاجر الخطايا وعن انس قال قل ما خطبنا رسول الله صلى الله وسلم
اتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله اعلم قال المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على اموالهم

وانفسهم

يخاتمه

وانفسهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه قال صلى الله عليه وسلم لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق
حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه فيها ابصارهم حين
ينتهبها وهو مؤمن ولا يغل احدكم حين يغل وهو مؤمن فاياكم واياكم رواه ابو هريرة
وفي رواية ابن عباس ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن وقال اية المنافق ثلث
وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن
خان وقال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت
فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ايتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد
غدر واذا خاصم فجر وقال حاتم الاصم رحمه الله المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق
مشغول بالحرص والامل والمؤمن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج
من كل احد الا من الله والمؤمن امن من كل احد الا من الله والمنافق خايف من كل
احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن
يحسن ويبكي والمنافق يسي ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلا والمنافق يحب الخلطة
والملاء والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى
للسياسة والمنافق يامر وينهى للرياسة وقال بعض العلماء من السلف المؤمن كثير
الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل
الفضول تري وصول وقور صبور رضي شكور حليم رفيق عفيف شفيق لا لعان ولا
سباب ولا نمام ولا مغتاب ولا عجول ولا حقود هشاش بشاش يحب في الله ويبغض
في الله ويرضى لله ويغضب في الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
الحديث وقد مر تحقيق هذا البحث ولا يغرنك شمول اسم المؤمن عليك كما مر في غرور
شجر القرع في شمول اسم الشجر عليه فكم من منافق يصلي ويصوم ويزعم انه مؤمن
وكم من قايم ليس له من قيامه الا التعب والنصب وكم من صايم ليس له من صيامه الا
الجوع والعطش وتامل القران والحديث حتى تعلم من المراد بالمؤمن المفلح في اليوم العظيم
فان القران يفسر بعضه بعضا وكذلك الحديث وقد قال صلى الله عليه وسلم كم من قايم حظه

من صلوته التعب والنصب فليس كل مصلي مصلي ولا كل صايم بصايم ولا كل مؤمن
بمؤمن ولا كل انسان بانسان بل اكثرهم ممن قال تعالى شياطين الانس والجن يوحي
بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا واعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره
فاصبر صبرا جميلا كان من سال عن العذاب لمن هو يستهزي بذلك النبي ويتعنت وكان ذلك
مما يضجره فامر الله تعالى بالصبر عليه ومعناه فاصبر فقد جاء وقت العذاب في يوم كان
مقداره كذا انهم يرونه بعيدا يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا
غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه
اي ممكن ولا يتعذر بل يقع يوم تكون السماء كالمهل كعكر الزيت يتلون الوانا في الساعة قال
ابن جريج يذوب السماء كالدهن الذايب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقد مر تفسيره وتكون
الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض الاية فاذا بست وطيرت في الجو شبهت
بالعهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما قريب قريبا لشغله بشان نفسه لا يسأله بكيف حالك
ولا يكلمه يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فما يمنعهم من المسالة عدم الرؤية وانما يمنعهم التشاغل
بشان نفسه وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس فيبصر الرجل
اباه واخاه وقرابته ولا يسأله عن حاله ويبصر الرجل حميمه ولا يكلمه باشتغالهم بانفسهم يود المجرم
لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته بزوجته واخيه وفصيلته عشيرته التي تؤويه
تضمه انتماء اليها ولياذا بها في النوايب ومن في الارض جميعا ثم ينجيه عطف على يفتدي اي
ثم لو ينجيه ذلك الفداء من عذاب الله وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت
يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك هيهات ان ينجيه كلا ليس كذلك لا ينجيه ولا ينفعه الافتداء
انها الضمير للنار وان لم يجر ذكره او للشان لظى اسم من اسماء جهنم روي ان اودية جهنم بحسب
اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي الانسان بعضها
فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الهاوية والهاوية لا حد لعمقها
كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب منها الا الى ارب اعظم منها فلا ينتهي هاوية من
جهنم الا الى هاوية اعمق منها نزاعة للشوى قال الكلبي لام الراس تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان

الا ان اعضا الانسان

ثم تعود الا كله فذلك دابها تدعو من ادبر اي تدعو الى نفسها من اعرض عن القران وتولى
عن الحق فتقول الي الي يا منافق يا كافر يا فاسق قال ابن عباس تدعوهم باسمايهم بلسان
فصيح ثم تلتقطهم كما تلتقط الطير الحب وجمع المال فاوعى امسك ولم يؤد حق الله منه وتشاغل
به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر عن الحكم قال كان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه ويقول
سمعت الله يقول وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا اريد جنس الانسان واذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا والمعنى ان الانسان لرسوخ الجزع والمنع فيه كانه مجبول عليهما وكانه
امر خلقي الا المصلين فانهم يغلبون فرط الهلع لثقتهم بربهم ويقينهم بتقديره الذين هم على صلوتهم
دائمون يواظبون عليها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال
ادومه وقالت عايشة رضي الله عنها كان عمله ديمة والذين في اموالهم حق معلوم وهو
صدقة التي يوظفها الرجل على نفسه غير الزكوات والعشور والخراج كما وضعها صاحب ضروان
ويؤديها في اوقات معلومة بمقدار معلوم للسايل والمحروم والسايل الذي يسال والمحروم
المتعفف عنه فيحسبه الناس غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم
واستعدادهم له والذين هم من عذاب ربهم مشفقون واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير
مامون يعني لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يامنه ويغتر بالله وقد قال
عز وجل ولا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الامن من عذاب الله والغرور بالله سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان ما
وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الصحابة والتابعين والسلف الصالحين يواظبون
على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم وهم في طول الليل
والنهار في طاعة الله ويجاهدون ويبالغون في التقوى والحذر من الشبهات
والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين
ومطمئنين غير خايفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله
زاعمين انا واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم
عرفوا من كرم الله وعفوه ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون ولقد قال
صلى الله عليه وسلم

لهم ولكان ابو ذر معهم فخاطبهم جميعا بقوله اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطّت
السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربعة اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله قال ابو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضد وكان يقول
بعضهم ليت امي لم تلدني فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء
اولئك وخوفهم وحزنهم وتمنيهم العدم وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأتي على الناس زمان تخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون
امرهم طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال سيقبل مني وان اساء قال يغفر لي يريد انهم
يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وبمثله اخبر الله تعالى عن النصارى
اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا
حلالا كان او حراما ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا
تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين والعجب
من عقل هؤلاء المعتوهين وترويجهم حماقتهم في صيغة حسنة اذ يقولون سيغفر
لنا ذنوبنا انه كريم ويدخلنا جنته فان جنته ليس يضيق عن امثالنا ومعصيتنا لن
تضره ثم تراه يركبون البحار ويقتحمون الاخطار في طلب الدرهم والدينار وفي تحصيل العبيد
والجواري يقطعون الفلا والبراري فاذا قيل لهم ان الله كريم ودراهم ودنانير خزانته ليست
يقصر عن فقركم وكسلكم بترك التجارة ليس يضره فاجلسوا في بيوتكم فعساه يرزقكم من حيث
لا تحتسبون فتستحمقون قايل هذا الكلام وتستهزؤن به وتقولون ما هذا الهوس السماء
لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى
بذلك سنته ولا تبديل لسنته ولا يعلمون ان رب الآخرة والدنيا واحد وان سنته
لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد
انه كريم في الآخرة غير كريم في الدنيا وكيف يقولون ليس يقتضي الكرم الفتور عن كسب
المال

كله صح

من الدرهم والدينار والعبيد والجواري ويقتضي الفتور عن تحصيل الجنان والقصور
والارايك والسرر والزوجات الحسان من الحور والشراب الممزوج بالزنجبيل والمسك
والكافور والملك المقيم والنعيم الدايم وكيف يقولون ان الله كريم يعطي نعيم الآخرة بغير
جهد ويمنع نعيم الدنيا ولا يعطي بشدة اجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى
والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير
بان يكون داخلا تحت قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ويقولون
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت
وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب وحق
عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السايق بالضرورة الى
سوء المنقلب والمآب ومن العجايب انهم اذا ارادوا المال في الدنيا والدينار زرعوا
وغرسوا واتجروا وركبوا البحار والبراري وخاطروا وان ارادوا رتبة ومنصبا
بالعلم تعبوا في تحصيله وحفظه وتكراره وسهروا الليالي وفارقوا الاخوان والاهالي
ويجتهدون في طلب اقواتهم ولا يثقون بضمان الله تعالى لهم حيث قال وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب ولا يصدقون الله في ذلك ويحلف على ذلك ويقول فورب السماء والارض
انه لحق ولا يجلسون في بيوتهم ويجمعون بين الاجتهاد ومشقة البدن وبين الدعاء
بحضور القلب لتحصيل ارباح الدنيا ويقولون اللهم ارزقنا الربح والبركة في
تجاراتنا اذا التفت اعينهم نحو الملك الدايم المقيم في جوار رب العالمين قنعوا بان يقولوه
بالسنتهم اللهم اغفر لنا وارحمنا مع عدم حضور القلب والتضرع والابتهال
والذي اليه رجاؤهم يقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور
ثم كل ذلك لا ينبههم وقال فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
والعجب كل العجب انهم كيف يأمنون مع ذكر كله ولا يخافون وقد مر وقال ذلك لمن

خاف مقامي وخاف وعيد

وترى منهم الواحد يتصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول
اموال المسلمين والشبهات اضعافه وترى آخر يستغفر الله بلسانه
او يسبح له في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا
يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته
انه يستغفر مائة مرة ويأمن عن عذابه ويغفل عن هذيانه طول نهاره
الذي لو كتبها لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبه الكرام
الكاتبون ووعده العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد فهو ابدا يتأمل في فضايل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد
في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين وترى واحدا منهم
يأمن بعلمه وينسى ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى كمثل
الحمار كمثل الكلب وقد مر وقوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم
القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه وقد
مر مع حديث الثلثة وقال من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا
بعدا وترى آخر قد احكم العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة واجتنبوا
المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحو عنه الصفات المذمومة عند الله من الكبر
والحسد والرياء وطلب الرياسة وارادة السوء للاقران وطلب الشهرة في البلاد ولم يلتفتوا
الى قوله عليه السلام الرياء الشرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة من كبر
والى قوله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف
ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وغير ذلك مما مر وقد زين ظاهره واهمل باطنه
ونسي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم والى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم
واعمالكم فتعهد الاعمال وما تعهد القلب ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم عن الرذائل
وهو كقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها نتن وكبيت مظلم باطنه وضع السراج
على ظهره فترى آخر يعلم ذلك كله ويعمل به ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب
العلو و

بالبلد

قال ما هذا بكبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله
وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست
في الدون من المجلس شمت اعداء الدين وفرحوا به فكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي
ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر له وينسي ان النبي
صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي من الصحابة من
التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر في بذاذة زيه عند قدومه
الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العزة في غيره ثم هذا يطلب عز الدين
بالثياب الرقيقة والخيول والمراكب واخذ اموال الامراء والسلاطين واذا خطر بقلبه
انها حرام قال الشيطان ان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين
وعالمهم وبك قوام الدين افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر لهذا التلبيس في ثلثة
امور احدها انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ من المسلمين واهل السواد والذين
اخذ منهم احياء واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة
دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انها مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له
ويجب ان يقسمه بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان لكل واحد قد
اختلط بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين
فسد دينهم به فاستحلوا اموال السلاطين والامراء ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على
الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا فهو على التحقيق
دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين ولعل موت هذا انفع للمسلمين
من حيوته قال عيسى عليه السلام العالم السوء كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب
الماء ولا هي تترك الماء يتخلص الى الزروع واصناف الآمنين من مكر الله وعذابه
لا تحصى ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون
والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ولذلك لا يفارق
الخوف والحذر قلوب اولياء الله ابدا وخطر المخلصين ان يتبدل اخلاصهم

وان لايبقي علي هذه الوتيرة في المستقبل وينقلب ولا يأمن من مكر الله الا القوم الخاسرون
ولهذا قال جل ذكره ان عذاب ربهم غير مأمون اي لاينبغي لاحد ان يأمن عنه وان كان
عابدا زاهدا عارفا واعترض به لافادة هذه النكتة وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم
ان من خيار امتي فيما نبأني الملاء الاعلي في الدرجات العلي قوم يضحكون جهرا من سعة
رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم ويذكرون ربهم بالغداة والعشي
ويدعونهم بالسنتهم رغبا ورهبا ويسألونه بايديهم خفضا ورفعا ويشتاقون
اليه بقلوبهم عودا وبدءا مؤنتهم علي الناس وعلي انفسهم ثقيلة يدبون علي الارض
باقدامهم دبيب النمل بغير مرح ولا ترح ولا ميل الحديث بطوله والذين هم لفروجهم
حافظون الا علي ازواجهم اي نسائهم او ما ملكت ايمانهم امائهم فانهم غير ملومين فمن
ابتغي وراء ذلك فاولئك هم العادون اي المعتدون حد الشرع ودخل فيه تحريم
وطي الذكران والبهايم واتيان ادبار النساء لان هؤلاء ابطلوا حكمة الله لان الحكمة في
خلق ذلك الشهوة والجنسين هي التناسل كما ذكر في تفسير قوله تعالي وتقطعون السبيل
وقد مر تفسير الاية في قوله تعالي ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا والذين
لايدعون مع الله الها آخر ولا تقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب
وآمن الاية قال الزمخشري والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكباير ولهذا قرنها
الله بالشرك وقتل النفس في قوله تعالي ولا يزنون ثم قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان
فيه ستة خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة اما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث
الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في
النار مع الهوان لقوله تعالي ويخلد فيه مهانا وفي الاية انذار آخر وهو ان الاصرار علي الزنا
يفضي الي سوء الخاتمة والموت علي الكفر والتحريم عن توفيق التوبة ثم التخليد في النار
التي وقودها الناس والحجارة مع انواع الاهانة من الزبانية والملايكة الغلاظ الشداد
الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولذلك وفي الله تعالي فيه عقد الله

ونهي للمؤمنين عن الرافة علي المجلود فيه اذ قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله اي في حكمه
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب الايتمار باوامر الله وامر بشهادة
طايفة اذ قال تعالي وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين ليكون ذلك عبرة ونكالا
وموعظة وليكون ذلك عليهما اشد وليكون اشد تخويفا للمتعاطي ذلك الفعل وليدعوا
اليها بالتوبة والرحمة ويشكر واعلي العصمة من ذلك وان كان قد جري عليهم شي من ذلك
ذكروا عظيم نعمة الله عليهم اذ لم يهتك سترهم ولم يفضحهم ولم يقمهم في الموضع الذي اقامهما
فيه ويتوبوا قبل نزول الانتقام وهجومه بغتة وامر وشرع فيه القتلة الهولة
كقتل الطلاب كما شرع ضربه كضرب الحمير اذ الخبث بحرم الناس يشبه عمل الحمر والطلاب
وليس من عمل العقلاء والمميزين فيضربان كما يضرب الحمير ويقتلان ويرجمان بالحجارة
كما يقتل الطلاب وروي عنه صلي الله عليه وسلم ليس لاهل الزنا علي وجوههم نور
ولا بهاء ولا يجعل الله في رزقهم بركة وهم عند الله انتن من الجيفة وليس في النار
اشد من الزناة وقال عليه السلام اياكم والزنا فان في الزنا ستة خصال مذمومة
ثلثة في الدنيا وثلثة في الاخرة فاما التي في الدنيا فانه يذهب بنور الوجه ويقطع الرزق
ويسرع الفناء واما التي في الاخرة فغضب الرب عز وجل وسوء الحساب والدخول
في النار وقال عليه السلام من خان اخاه المسلم في زوجته او خادمه لاحكمه الله تعالي
لحسناته يوم القيامة وقال عبد الله بن مسعود سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم
اي ذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وقد خلقك قلت ان ذلك لعظيم قلت ثم
اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال تزني بحليلة جارك وعن
ابن عباس رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال في آخر خطبته
من اتي امرءة في دبرها او غلاما حشره الله تعالي وهو انتن من الجيفة يتاذي به
الناس حتي يدخل نار جهنم واحبط عمله ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ويجعل في تابوت
من النار في النار ويسمر التابوت عليه بمسامير النار وهو اشد اهل النار عذابا
فلو وضع الم عرق من عروقه علي اربعمائة امة لماتوا اجمعين ومن زنا بامرءة

اي الفاعلين ذلك الفعل

اي لا يقبل نفلا ولا فرضا

مسلمة او غير مسلمة حرة او امة فتح الله تعالى من النار الى قبره ثلثمائة الف باب
ودخل عليه الحيات والعقارب وشهب من النار ويعذب في القبر بانواع العذاب
مع ما يلقى من تلك الحيات والعقارب ويبعث يوم القيامة من قبره ويتاذى من نتن
ريحه من مر به ويعرف بذلك حتى يدخل النار فيتاذى اهل النار مع ما هم فيه من
العذاب لان الله تعالى حرم المحارم وليس احد اغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش
وحد الحدود وروى ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صافح امرءة حراما جاء يوم القيامة مغلولا يداه الى عنقه ثم يؤمر به الى النار فان
كلمها حبس بكل كلمة كلمها في النار الف عام فان طاوعته امرءة فعليها من الوزر مثل
ما عليه ومن وصف امرءة لرجل فذكر له حسنها وجمالها حتى افتتن بها واصاب منها
فاحشة خرج من الدنيا والله تعالى ساخط عليه ومن غضب الله تعالى غضبت عليه
السموات السبع ومن فيهن وكان عليه من الوزر مثل الذي اصابها ومن فجر بامرءة
ذات بعل انفجر من فرجها واد من صديد جهنم مسيرة خمسمائة عام ثم يتاذى به اهل
النار من نتن ريحه وكان من اشد الناس عذابا يوم القيامة واشتد غضب الله تعالى
على امرءة ذات بعل ملأت عينها الحلا من غير زوجها ومن غير محرم لها فاذا عملت ذلك
احبط الله عملها فان وطئت فراشا غير فراش زوجها كان على الله حقا ان تحرقها بالنار
يوم يوضع في قبرها ومن قدر على امرءة او جارية وتركها من مخافة الله سبحانه
امنه الله تعالى من الفزع الاكبر وحرم جسده على النار وادخله الجنة وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه اذا قضى الذكر شهوته من الذكر صلب يوم القيامة في مصلب ويفتضح بين
اهل النار بذلك العمل وقال ابن عباس اذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش تخوفا
من الله تبارك وتعالى لعظم ما اتى وقال ابن عباس رضي الله عنه يخرج ابن ادم على
هيئته وعمله الذي يكون يوم يموت حتى ان اللوطي يخرج من قبره وفرجه متعلق بدبر
صاحبه فيشتهر على رؤس الخلايق والسكران يخرج من قبره سكرانا يعرفه بذلك
اهل الجمع وكذلك المعاصي كلها اذا مات عليه صاحبه فيشتهر على رؤس الخلايق وقال يحيى بن
معاذ

سمعت ابان بن عثمان على منبر المدينة يقول الا ان الزناة يعرفون بنتن فروجهم يوم
القيامة وروي انه كان منصور بن عمار يمضي في موضع فسمع رجلا يقول لامرءة خفية خذي
درهمين وتعالي الى داري فغطا منصور راسه وتقدم اليها وقال لها خذي مني خمس دراهم واحضري
داري قال فاتت دار منصور فوثب منصور يصلي فقالت المرءة يصلي ركعتين ثم يجي عندي فلم يزل
يصلي فثقل على المرءة صلوته فقالت اما ان تطلبني او تاذن لي في الخروج فقال لها منصور اسألك
مسئلة قالت قل قال ما تقولين فيمن ادعى على رجل حقا واقام على ذلك شاهدين هل يؤخذ منه
الحق ام لا قالت نعم يؤخذ منه قال فلو اتى باربعة شهود والحاكم يعلم ان الامر كما ادعى قالت فهو
اولى قال فكيف الحكم ومعنا اربعة شهود والحاكم قالت ومن الحاكم والشهود قال فقرا وان عليكم
لحافظين الاية واما الحاكم الم تعلم بان الله يرى قال فصاحت المرءة وخرت ميتة ان من يركب الفواحش
جهلا حين يخلو بربه غير خالي كيف يخلو وعنده شاهدان كاتبان وربه ذو الجلال وعن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي عمل قوم لوط رواه الترمذي
وابن ماجة اضاف فعل الى ما وهي نكرة موصوفة ليدل على انه اذا استقصى الانسان المخوف منها
شيئا بعد شي لم يوجد شي اخوف من فعل قوم لوط وعن ابن عباس وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينظر الله عز وجل الى رجل اتى رجلا او امرءة في دبرها رواه الترمذي وقد مر قبل ذكر قصة
لوطية الحاقة في قوله تعالى فاخذهم اخذة رابية وعن ابي هريرة رضي الله عنه ايما امرءة ادخلت
على قوم من ليس منهم فليست من الله في شي ولن يدخلها الله جنته وايما رجل جحد ولده وهو ينظر
اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس الخلايق في الاولين والاخرين رواه ابو داود والدارمي
والنسائي وعن المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير
مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه
والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن رواه البخاري ومسلم
والمعنى انهم تعجبوا من مثل سعد سيد الانصار كيف يقول مثل ذلك القول لحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما بعثه على ذلك فقال اتعجبون اي لا تتعجبوا قوله من غيرته حرم الفواحش الحديث يعني
ان الله تعالى لما غار على عباده واما ان الفواحش شيء تحرمها ورتب على مرتكبها العقاب في الدنيا
والاخرة

ومعنى ما ظهر منها وما بطن اي ما علن وما اسر وقيل ما بطن اي ما نوى وقصد
ولم يقدر على فعله والذين هم لاماناتهم وعهدهم اي عهودهم راعون اي حافظون
قال ابو حفص رحمه الله يدخل فيها امانات الشرع وامانات العباد وعهدهم اي
وعهودهم ويدخل فيه عهود الخلق والنذور والايمان وانما قال ذلك تنبيها على ان
رعاية هذه الامور يدل على كمال الايمان وقلة المبالاة بها تدل على كمال النفاق
فالمؤمنون هم المكرمون في جنات والمنافقون هم المهانون المعذبون في
الدركات وانما قلنا ان قلة المبالاة بها والخيانة يدل على النفاق اذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اية المنافق ثلث زاد مسلم وان صام وصلى وزعم
انه مسلم ثم اتفقا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وعن عبد
الله بن عمر قال قال عليه السلام اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه
خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اوتمن خان واذا حدث كذب
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر رواه البخاري ومسلم وعن انس قال قلما خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له رواه
البيهقي في شعب الايمان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس على دمائهم
واموالهم رواه الترمذي والنسائي وزاد البيهقي في شعب الايمان برواية فضالة والمجاهد
من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب وعن ابن عباس
ما ظهر الغلول في قوم الا القى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم الا كثر فيهم الموت
ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم
الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو رواه مالك وعن حذيفة رضي الله عنه
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رايت احدهما وانا انتظر الاخر
حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من
السنة وحدثنا عن رفعها قال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها

الايمان من قلبه

مثل اثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى اثرها مثل اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك
فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد احد يؤدي الامانة فيقال
ان في بني فلان رجلا امينا ويقال للرجل ما اعقله وما اظرفه وما اجلده وما في قلبه مثقال
حبة من خردل من ايمان رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك
بين اصابعه قال قلت فبم تامرني قال عليك بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة نفسك
واياك وعوامهم وفي رواية الزم بيتك واملك عليك لسانك ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة
نفسك ودع امر العامة رواه الترمذي وصححه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما
النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اذ جاء اعرابي فقال يا رسول الله متى الساعة قال اذا ضيعت
الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة
رواه البخاري وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ الفيء دولا
والامانة مغنما والزكوة مغرما وتعلم لغير الدين واطاع الرجل امرأته وعق امه وادنى
صديقه واقصى اباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم
ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن اخر
هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وايات تتابع كنظام
قطع سلكه فتتابع رواه الترمذي وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء وعد الكل هذه الخصال وقال وبر صديقه
وجفا اباه وقال وشرب الخمر ولبس الحرير رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك الدنيا
حفظ امانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة في طعمة رواه احمد والبيهقي
في شعب الايمان وعن مالك قال بلغني انه قيل للقمان الحكيم ما بلغ بك ما نرى يعني الفضل
قال صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني رواه في الموطا وعن ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيانة والكذب

وعن عبادة بن الصامت ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اضمنوا لي ستا من انفسكم اضمن
لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم وادوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم
وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان وعن ابن عمر ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال
هذه غدرة فلان بن فلان رواه البخاري ومسلم وعن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم
لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به رواه البخاري ومسلم رحمهما الله وعن ابي سعيد
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة وفي رواية
لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره الا ولا غادر اعظم غدرا من امير عامة
رواه مسلم وانما جمع الله الامانات لانها كثيرة بعضها لله وبعضها للرسول وهي بينك
وبين الله تعالي وبعضها بينك وبين المسلمين كما قال تعالي لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم الاية فينبغي ان يجتهد المؤمن في رعاية كل واحد منها قال عليه السلام
لا يؤمن احدكم حتي يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه قال السدي
ان حقوق الشرع امانات عنده قد قبلها المؤمن وضمن اداءها بقبول الايمان وهو
معني قوله تعالي ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله فاستقم كما امرت ومن تاب
معك الاية وقوله انا عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان الاية فاذا راعاها مع رعاية ساير الاوصاف التي ذكر قبل اولئك في قوله
اولئك في جنات مكرمون استحق بما ذكر بعد اولئك كما ذكر اهل المعاني قوله اولئك
علي هدي من ربهم واولئك هم المفلحون وصار من الذين لاماناتهم وعهدهم راعون
فاذا راعوا ذلك يرزقهم الله الهداية الخاصة والتاييد يغلبون بها فرط الهلع
والجزع والحرص والطمع وساير شهوات النفس ويقدرون علي نهيها من الهوي
فيصير الجنة هي الماوي كما قال اولئك في جنات مكرمون كما قال تعالي يا ايها
الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم
والله ذو الفضل العظيم بعد قوله يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول

وتخونوا

وتخونوا اماناتكم فمعناه ان لم تخونوا الله والرسول والامانات التي ائتمنكم الله عليها
يجعل لكم فرقانا اي ان تتقوا الله في التزام جميع ما الزمنا لكم في الكتاب والسنة يجعل لكم
هداية في قلوبكم يفرقون بها بين الحق والباطل ومخرجا عن الشبهات وقال السدي
نجاة وقال الفراء فتحا او نصرا او قيل نصرا وعزا وثوابا لكم وخذلانا وذلا وعقابا
علي اعدائكم وحسادكم وكل ذلك يكون فرقانا يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة والله
ذو الفضل العظيم يعطي لمن راعي الامانة وترك الخيانة جنة عرضها السموات والارض
قال امام ابو منصور رحمه الله انما اموالكم وانفسكم لله وهي عندكم امانة استحفظكم فيها
فاحفظوها فلا تستعملوها في غير ما اذن لكم فيها واحفظوا الامانات التي بينكم قال
الطيبي كل احد مؤتمن علي ما افترض الله عليه من العقايد والاقوال والاحوال
والافعال ومن الحقوق في الاموال وحقوق الاهل والعيال وساير الاقارب والمماليك
والجار وساير المسلمين قال الامام القشيري رحمه الله خيانة كل احد علي حسب ما وضع
عنده من الامانة فمن ائتمن في مال فتصرف فيه بغير اذن صاحبه خيانة ومن اوتمن
علي الحرم فملاحظته اياه خيانة فعلي هذا الخيانة في الاعمال الدعوي فيها بانها من
قبلك واضافتك اياها الي نفسك اعتقادا او قولا دون التحقيق واليقين بان منشيها
هو الله تعالي وتحمل المنن منه والشكر عليه والخيانة في الاحوال ملاحظتك لها دون
غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق ولذلك قال شيبتني سورة هود لان الاستقامة
في رعاية الامانات والعهود امر صعب وقد قال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا فكذلك الاخلال بسنة من السنن او ادب من اداب الشرع
خيانة وكذلك الخيانة في الامانات بينك وبين الخلق بايثارك نصيب نفسك علي نصيب
المسلمين بارادة القلب وميله ومحبته فضلا من المقابلة بالفعل عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن
رعيته فالامام الذي علي الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع علي
اهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمراة راعية علي بيت زوجها وولده وهي
مسؤول عنهم وعبد الرجل

في الدنيا والاخرة ومخرجا صح

راع على مال سيده وهو مسؤول عنه الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته رواه
البخاري ومسلم رحمهما الله وعن معقل يسار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله عليه
الجنة رواه البخاري ومسلم وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة
رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم
ويل للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين اقوام يوم القيامة ان نواصيهم
معلقة بالثريا يتجلجلون بين السماء والارض وانهم لم يلوا عملا رواه في شرح السنة
ورواه احمد وفي روايته ان ذوايبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء
والارض ولم يكونوا عملوا على شيء وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من رجل يلي امر عشرة فما فوق ذلك الا اتاه الله عز وجل مغلولا يوم
القيامة يده الى عنقه فكه بره او اوبقه اثمه اولها ملامة واوسطها ندامة
واخرها خزي يوم القيامة رواه احمد وعن عمرو بن مرة قال سمعت رسول الله صلعم
يقول من ولاه الله شيئا من امر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم
احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره رواه ابو داود والترمذي وفي رواية
له ولاحمد اغلق الله ابواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته وعن ابي الشماخ
الازدي عن ابن عم له من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلعم
يقول من ولي من امر الناس شيئا ثم اغلق بابه دون المسلمين او المظلوم او ذي الحاجة
اغلق الله دونه ابواب رحمته عند حاجته وفقره افقر ما يكون اليه وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اذا بعث امراءه شرط عليهم ان لا تركبوا برذونا ولا تاكلوا
نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا ابوابكم دون حوائج الناس فان فعلتم شيئا من ذلك
فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم رواهما البيهقي في شعب الايمان وعن عبد الرحمن
بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج

العباد له ظهر وبطن

والامانة والرحم تنادي الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله رواه محيي السنة
في شرح السنة وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وترسل الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا رواه مسلم وعن حذيفة
وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم
المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فياتون ادم فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنة فيقول
وهل اخرجكم من الجنة الا خطيئة ابيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابني ابرهيم
خليل الله قال فيقول ابرهيم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى فيقول عيسى لست
بصاحب ذلك فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم قال فيقوم فيؤذن له وترسل الامانة
والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر اولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد
الرجال تجري بهم اعمالهم ونبيكم قايم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد
حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مامورة تاخذ
من امرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس ابي هريرة بيده ان قعر
جهنم سبعين خريفا رواه مسلم قال ابو عثمان من خان الله ولم يراع امانته في السر
هتك الله ستره في العلانية وقال بعضهم حب الدنيا وحب الرياسة والاظهار
خلاف الاضمار خيانة الله وترك السنن واداب الشرايع والتهاون برعايتها
خيانة الرسول والتهاون وقلة المبالاة في رعاية الحقوق اللازمة والمعاملات
والاخلاق والمعاشرات مع المؤمنين وترك النصيحة لهم وترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر خيانة للامانات التي بينك وبين ساير المؤمنين وكل ذلك في الحقيقة خيانة
الله تعالى اعلم ان جميع المعاملات التي لا يجوز في مذهب او حكم مفتي فعاملها ومرتكبها
ليس من الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فلا يكون من الذين اولئك في
جنات مكرمون ولا يقدر ان يغلب الهلع والجزع لانه يحرم بسبب ما ارتكب
من الخيانة توفيق الله تعالى وتسديده وتاييده على صفات النفس اذ ذلك
السعادة والتاييد للداخلين في حكم هذه الاية وهي قوله تعالى الا المصلين

الي قوله مكرمون وكثير من آيات القرآن يدل علي هذا مثل قوله تعالي ومن يتق الله
الآية وقوله تعالي واما من اعطي واتقي وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم الآية قال سهل بن عبد الله التستري في قوله عز وجل ان تتقوا الله يجعل
لكم فرقانا اي نورا في القلب يفرق بين الحق والباطل وقال الجنيد اذا اتقي العبد ربه جعل
له تبيانا يتبين به الحق من الباطل وهذه نتيجة التقوي فقيل له اليس التقوي فرقانا قال
بلي اذا اتقي الله العبد اكتسب تقواه مخرجا من المشكلات وحل المعضلات ومعرفة
التفرقة بين الحق والباطل فيتبين هذا من هذا وكذلك الحكم في بعض المعاملات التي تجري
علي وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها نظرا الي ظاهرها ولكنها يشتمل علي ظلم وخيانة
بين المتعاقدين يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهي مقتضيا لفساد العقد وان
الفتوي والقضاء بالظاهر والله متولي السراير لا تحل الحرام لحكم الحاكم واعذر عند الله للغادر
الظالم وعن ام سلمة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال انما انا بشر وانكم تختصمون
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له علي نحو ما اسمع منه فمن قضيت
له بشي من حق اخيه فلا ياخذنه فانما اقطع له قطعة من النار متفق عليه وهذا الظلم والخيانة
نعني به ما يستضر به الغير منقسم الي ما يعم ضرره والي ما تخص المعامل ومن القسم الاول الاحتكار
فبايع الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو خيانة عامة وصاحبه مذموم في الشرع عن معمر
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من احتكر فهو خاطي رواه مسلم في صحيحه وعن عمر رض
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الجالب مرزوق والمحتكر ملعون رواه ابن ماجة والدارمي وعن
انس قال غلا السعر علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال النبي صلي الله ع
ان الله هو المسعر القابض الباسط الرازق واني لارجو ان القي ربي وليس احد منكم بمظلمة يطلبني
بدم ولا مال رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة والدارمي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من احتكر علي المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام
والافلاس رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان ورزين في كتابه وعن ابن عمر قال قال رسول الله
من احتكر طعاما اربعين يوما يريد به الغلاء فقد بري من الله وبري الله منه رواه رزين وعن معاذ

قال

قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول بيس العبد المحتكر ان ارخص الله الاسعار
حزن وان اغلاها فرح رواه البيهقي في شعب الايمان ورزين في كتابه وعن ابي امامة ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال من احتكر طعاما اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن له كفارة رواه رزين وقيل
فكانما قتل نفسا وعن علي كرم الله وجهه انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه
وعنه ايضا انه احرق طعام محتكر بالنار وقال صلي الله عليه وسلم من جلب طعاما فباعه
بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وعن بعض السلف انه كان بواسط
فجهز به سفينة حنطة الي البصرة وكتب الي وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الي
غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة
فربح فيه امثاله وكتب الي صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا ما كنا قنعنا بربح يسير
مع سلامة ديننا فانك قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شي من الدين وقد جنيت
علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به علي فقراء البصرة وليتني انجو من اثم
الاحتكار كفافا لا علي ولا لي طرد بعض العلماء النهي في جميع الاوقات وعليه حكاية البصري
وخصص بعضهم لوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتي يكون في تاخير بيعه ضرر
فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغني الناس عنها لم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر
صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط يطرد
الحكم فيما يعين علي القوت وان كان لا يمكن المداومة عليه كالعسل والسمن والشيرج والجبن
والزيت وما يجري مجراه فيحرم ادخارها واذا لم يكن ضرر فلا يخلو احتكار الاقوات عن
كراهية لانه انتظار لمبادي الضرار ومبادي ارتفاع الاسعار ومبادي الشي كعينه ولكنه دونه وانتظار
عينه دون عينه فبقدر درجات الاضرار وترك النصيحة والامانة للمسلمين يتفاوت درجات
الكراهية والتحريم فيكون صاحبه خارجا عن حكم الآية وهي قوله تعالي والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون فلا يكون من اوليك في جنات مكرمون وقد قال صلي الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتي يحب
لاخيه ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه وبالجملة التجارة في الاقوات لا يخلو من تحريم او
كراهية لانه طلب ربح والاقوات خلقت قواما والربح في المزايا فينبغي ان يطلب الربح في ما خلق من جملة
المزايا التي

لاضرورة بالخلق اليها ولذلكا اوصي بعض التابعين رجلا وقال لاتسلم ولدك في بيعتين و لا
في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فان بايع الطعام يتمني الغلا والضرر للمسلمين وبايع الاكفان
يتمني موت الناس واما الصنعتان ان يكون قصابا فانه صنعة تقسي القلب اوصواغا فانه يزخرف
الدنيا بالذهب والفضة وليس فيه نفع للمسلمين ومن ذلك القسم ترويج الزايف في اثناء النقد فهو ايضا
خيانة وظلم وترك امانة للمسلمين وخرج من حكم الاية اذ يستظن به المعامل ان لم يعرف وان عرف
فسيروجه علي غيره وكذا الثالث والرابع ولايزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويعم ويتسع الفساد
ويكون الوزر الطا وو باله راجعا الي الاول من غيران ينقص من و بالهم شي اذ انه الذي فتح هذا
الباب قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من سن سنة سيئة يعمل بها من بعده كان عليه وزرها
ومثل وزر من عمل بها ولاينقص من اوزارهم شي وفي رواية من سن سنة سيئة فعليه
وزرها و وزر من عمل بها من غيران ينقص من اوزارهم شي قال بعض السلف انفاق درهم
زايف اشد خيانة من سرقة مائة درهم لان انفاق الزايف سيئة يعمل بها من بعده فيكون
عليه وزرها بعد موته الي مائة سنة ومائتي سنة مادام باقيا ذلك الدرهم ويكون عليه ما
فسد ونقص من اموال الناس بسببه فالويل ثم الويل لمن يموت ويتجدد له الذنب مائة
سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسئال عنها ويعاتب ويوبخ ويعاقب عليها قال الله تعالي
ونكتب ما قدموا واثارهم اي ونكتب ايضا ما اخروه من اثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه كذا
فسرها اكثر المفسرين وفي مثله قوله ينبؤا الانسان بما قدم واخر وان مما اخره سنة سيئة
عمل بها غيره وليعلم اهل المعاملة في الزايف خمسة امور انه اذا ورد عليه شي منه فينبغي
ان يطرحه في بيرا و يفسده بحيث لايمكنه التعامل به وانه تجب عليه تعلم النقد كيلا يسلم الي
مسلم زايفا وهو لايدري فيكون اثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم الامانة وترك
الخيانة ونصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد
نظرا لدينهم لا لدنياهم وانه ان سلم وعرف المعامل انه زايف لم يخرج عن الاثم لانه ليس يأخذه
الا ليروجه علي غيره ولايخبره ولولم يعزم علي ذلك لكان لايرغب في اخذه اصلا وما يتخلص بذلك
الا من اثم الضرر الذي يختص معامله فقط وانه اخذ الزايف ليعمل بقوله رسول الله صلي الله عليه وسلم

رحم الله سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء
ان عزم علي طرحه في موضع لايمتد اليه اليد او عزم افساده بحيث لايمكن المعاملة به
فان كان عازما علي ان يروجه في معاملة فهذا خيانة وقصد بشر وترك امانة وخروج
من حكم الاية وهي والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ولكن الشيطان روج ذلك الشر
في معرض الخير وان الزايف ما نقص نقرته من نقرة نقد البلد وما لا نقرة فيه اصلا بل
هو مموه وما لاذهب فيه من الدنانير وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد
من المواظبة علي نوافل العبادات والتخلي لها وسئل بعض السلف عن التاجر الامين
الصدوق اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الامين الصدوق لانه
في جهاد عظيم يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان والذرع ومن قبل الاخذ
والاعطاء فيجاهده ولايعطيه ويريد اشغاله عن الذكر وصده عما تجب عليه في
اتمام فرايضه بشغله بالدنيا والمعاملة فيخالفه وخالفه الحسن البصري في ذلك
والقسم الثاني ما يختص ضرره المعامل واعلم ان كل ما يستضر به المعامل فهو خيانة وظلم وترك
عدل ونصح وامانة وانما الامانة والعدل ان لايتضرر اخيك المسلم وقد قال صلي الله عليه وسلم لايؤمن
احدكم حتي تحب لاخيه ما تحب لنفسه الحديث فكل ما لو عمل به لشق عليه وثقل علي قلبه فينبغي
ان لايعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعض السلف
من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانيق فانه قد
ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما
تفصيله ففي اربعة امور ان لايثني علي السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا
صفاتها شيئا اصلا وان لايكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول
فهو ترك الثناء علي السلعة فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل
فهو تلبيس وظلم وخيانة وترك عدل ونصح وامانة مع كونه كذبا فان لم يقبل فهو كذب
وحقارة وذل وخساسة واسقاط مروة وان اثني علي السلعة بما فيها فهو هذيان
وتكلم بكلام لايعنيه وهو محاسب علي كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال الله تعالي

تدليس
سواد الدرهم

ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال ان عليكم لحافظين الان ينبغي علي السلعة
بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب
ولا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه
اخوه المسلم ويرغب فيه ويقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان
كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكباير تذر الديار بلاقع وهو اعظم خيانة في حق
الله اذ هتك حرمة الله تعالى وحرمة اسمه وخيانة ايضا في حق اخيه اذ خدعه فصار شيطانا
اذ حلف كاذبا وهو اول من حلف كاذبا وخدع بالحلف الكاذب كما مر في قوله تعالى وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين وان كان صادقا فقد جعل الله عرضة لايمانه وقد اساء اذ الدنيا
اخس واحقر واذل من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله تعالى من غير ضرورة وفي
الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر
اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة احدهم منفق سلعته بيمينه واذا كان الثنا على
السلعة مع الصدق مكروها اذا كانت الصفة التي يثني منها معلوما للمعامل من حيث انه
فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد
وكان خزازا انه طلب منه خز للشري فاخرج غلامه الخز ونشره ونظر اليه وقال
اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا
بالثنا على السلعة فمثل هولاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا
ان ربح الاخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها
ولا يكتم منها شيئا فذلك فرض فان اخفاه كان خاينا ظالما غاشا والغش حرام وكان
تاركا للعدل والامانة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى
الثاني كان خاينا وتاركا للامانة والنصح غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في
المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن فردي النعل والخف وامثاله مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فراى

فقال ما هذا قال اصابته السماء فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من
غشنا فليس منا ولما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرا على الاسلام ذهب
لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة
ليبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل
مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة بثلثماية درهم وغفل واثلة فذهب
الرجل بالناقة فجعل يسعى خلفه ويصيح ويقول يا هذا اشتريتها للحم او للركوب والحمل
فقال بل للركوب والحمل قال ان بخفها نقبا قد رايته وانه لا تتابع السير فعاد فردها
فنقصه البايع ماية درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت على بيعي فقال انا بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل لاحد يبيع شيئا الا بين ما فيه ولا يحل من يعلم ذلك الا يبينه فقد فهموا من
النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضايل وزيادة
المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحته وهذا يشق على اكثر
الخلق رعايته والاستقامة عليه فلذلك تختار دون التخلي للعبادة والاعتزال
عن الناس لان القيام بفرايض على العبد وحقوقه مع المخالطة والمعاملة مجاهدة
شاقة صعبة لا يقوم بها الا الصديقون وترى الحمقى يقولون انما نشتغل بالتجارة
والكسب لناكل الحلال ولا يعلمون انه لا يتيسر مع اهمال هذه الامور بل ذلك
خدعة من النفس والشيطان يدعي هولاء المخدوعون المغرورون زين لهم الشيطان
وسولت لهم انفسهم ذلك وهم يضيعون اوقاتهم في ذلك ويحسبون انهم يحسنون صنعا
ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه
السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من متفرقات التلبيسات
تهلكه الله دفعة واحدة فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط لبنها الماء
ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه المغرقة صبتنا
في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم

والبيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما
وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع الله يده عنهما
فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة وقد يبارك في الدراهم القليلة
بسبب حفظ الامانة في كسبها حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والالاف
قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سببا لهلاك مالكها او حبسها او عذابها بحيث
يتمنى الافلاس ويراه اصلح له في بعض احواله فحينئذ يعرف معنى قولنا ان الخيانة
لا يزيد في المال والصدقة لا ينقص منه والامر الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم
له النصح ويتيسر عليه حفظ الامانة وترك الخيانة ان يعلم ان ربح الاخرة وغناها
خير من ربح الدنيا وان فوايد المال تنقضي بانقضاء العمر ويبقى مظالمها واوزارها
فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة
الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط
الله ما لم يوثر صفقة دنياهم على اخرتهم وفي لفظ اخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم
بسلامة دينهم وفي حديث اخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما
اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما امن بالقران من استحل
محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله
في تجارة الاخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمر لا اخر له بسبب ربح ينتفع به
اياما معدودة وكما ان الامانة تجب في البيوع كذلك تجب في الصنايع فلا
ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه
لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيه
عيب فبه يكون موديا للامانة ومتخلصا عن الخيانة فان قلت فلا يتم المعاملة
اذا كان ذكر العيوب فرضا قيل ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري المبيع
للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك
الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس

يسلم

يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا
فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرأ اليك من
عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع حسن بن صالح جارية فقال للمشتري
انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر على ذلك
فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الاخرة الامر الثالث ان لا يكتم في
المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال
قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون الاية ولا يتخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص
اذا اخذ اذ العدل والامانة قلما يتصور في الاخذ والاعطاء فليستظهر بظهور
الزيادة والنقصان حتى يحصل اليقين فان من استقصى حقه بكماله يوشك
ان يتعداه فكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ
نقص حبة نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن يبيع بحبة جنة
عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى بويل والحبة نصف ثمن
الدرهم وهو جزء من ستة عشر جزءا من الدرهم وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها
مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف معامليه حتى يجمعهم ويودي حقوقهم او يستحل
منهم وقد غاب بعضهم ومات بعضهم بغير وارث ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للوزان زن وارجح حين كان يزن ثمن ما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر
فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويذهب تكحيله وينقيه حتى لا يزيد
وزنه بسبب تكحيله فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين حجة وانما
قال الفضيل ذلك لان التاجر الامين الصدوق الناصح للمسلمين في معاملته المحب
لاخيه ما يحب لنفسه مجاهد مع النفس والشيطان ابدا باتيانه من جهة الكيل والوزن
والذرع والاخذ والاعطاء والقول فيما مر انه بالكذب والحلف والوعد الكاذب
وانواع ما يمكن فيه الخيانة وهو يجاهد ويخالف ابدا لها لا يتبع هواه فيضله عن سبيله

وهو يزن بالقسطاس المستقيم ولا يبخس الناس اشياءهم ولا يخسر الميزان واذا
كالوهم او وزنوهم لا يخسرون ويستيقن ويؤمن بالبعث فيخاف من قيامه
ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال بعض السلف عجبا للتاجر والبايع
كيف يجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال بعض الصحابة لابنه وهو يعظه
في التجارة كما تدخل الحية بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين و
التشديد في امر الميزان عظيم ولاجل هذا كرر الامر بحفظ الامانة فيه والنهي
عن الخيانة فيه في القرآن وكرر ايضا في كل موضع من القرآن ذكر امر الميزان
كقوله الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وكذلك
حكم الكيل والذرع بل جميع اقوال العباد وافعالهم واحوالهم وكل مكلف فهو صاحب
موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان خان فيها وعدل عن العدل
ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا لما ورد وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ولا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات
الميل يتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان
الخلاص حتى لا يبقى بعضهم في النار الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف (او قات)
سنين فنسأل الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل ويجعلنا من الذين
لا يخونون الله والرسول والمؤمنين ولا يعجزون عن اداء الامانة التي عرضها
الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها مع كمال القوة
وحملناها مع ضعفنا ويعيننا على حفظها وادائها ويحشرنا مع الذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون فان الاستقامة على متن الصراط المستقيم من غير ميل صعب
في غاية الصعوبة وهو ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم
عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من
الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم
القيامة على الصراط ويجري الاستقامة على الصراط المستقيم هو الذي شيب سيد المرسلين

وحبيب رب العالمين حيث قال شيبتني سورة هود واخواتها ورأى بعض السلف
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وقال اية اية شيبتك يا رسول الله
قال قوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك قال الامام ابو منصور رحمه الله
في قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قوله قالوا اقرار والاستقامة
عليه ان يجعل في نفسه وجميع اموره الربوبية والالوهية لله تعالى ويأتي ما يحب
ان يؤتى وينتهي عما يحب ان ينتهي عنه ويتبع امره ونهيه وقال القشيري استقامة النفوس
في نفي الزلة واستقامة القلوب بنفي الغفلة واستقامة الارواح بنفي العلاقة واستقامة
الاسرار بنفي الملاحظة واستقامة العابدين ان لا يوخروا نفوسهم عن العبادة فلا
يخلون باداءها يؤدون عسيرها ويسيرها واستقامة الزاهدين ان لا يرجعوا الى
دنياهم يتركون قليلها وكثيرها واستقامة التائبين ان لا يلموا بعد التوبة بزلة فهذ عون
صغيرها وكبيرها وروي ان وفدا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فرأوا ابطاء النبي صلعم
وقالوا له امن خوف الذي بعثك تبكي قال نعم اني قد بعثت على صراط مثل حد السيف اذا
استقمت نجوت واذا زغت هلكت وكل من ابصر بالحنطة والشعير وساير الحبوب ترابا (عندهم)
ثم كاله من قبل ان ينقى فهو من المطففين في الكيل وكذا كل من تفاوت كيله في الاخذ والاعطاء
وعن مالك بن دينار قال دخلت على جار لي وقد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار
جبلين من نار قال قلت ما تقول اتهجر قال يا ابا يحيى كان لي مكيالان كنت اكيل باحدهما واكتال
بالاخر فقال فقمت فجعلت اضرب باحدهما الاخر فقال يا ابا يحيى كلما ضربت باحدهما الاخر ازداد
عظما فمات قال صاحب الكشاف كان اهل المدينة تجارا يطففون فنزلت الاية فخرج رسول الله صلعم
فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد
الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله تعالى الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت
فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا
الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن ابن عباس انكم معاشر الاعاجم وليتم الامرين بهما هلك من كان
قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين

وكانوا اهل المدينة يكيلون واهل مكة يزنون وعن ابن عمر انه يمر بالبايع فيقول اتق الله
واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق لتلجمهم
وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال فقال اشهد انه في
النار وقال رحمه الله فان قلت هلا قيل اذا اكتالوا واتزنوا كما قيل واذا كالوهم او وزنوهم
قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم
بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا
ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا الا يظن تعجيب تعظيم من حالهم في الاجتراء
على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على
مقدار الذرة والخردلة وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن
عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين اراد
بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت
تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وقال رحمه الله وفي هذا الانكار والتعجب
وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته
برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف
وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل كل قول
وعمل وعن ابن عمر انه قرا سورة المطففين فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده قال رحمه الله كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة
عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب ويندم عليه والتوبة عنه بعد
الندم عليه رد المظالم او الاستحلال او التصدق للفقراء بمقدار ما سرق من المسلمين
لصاحبه ان لم يمكن رد المظالم او الاستحلال وتكثير الطاعة فانه اذا اخذ معاملوه ثواب
ما عمل يبقى عليه شيء من الثواب حتى يتخلص من عذاب النار قال بعض السلف
اذا اخذت الميزان بيديك فاذكر الميزان القسط عليك ونضع الموازين القسط واحذر
من الويل الذي وعد الله تعالى فيه بقوله ويل للمطففين وقال ايضا ويل لمن يبصر عيوب

اخيه

اخيه ويعمى عن عيوب نفسه قال ويل لمن يستوفي حقه من الخلق ولا يوفيهم ويقتضي
حقه ولا يؤديهم حقهم ويبصر عيوبهم فيعيرهم بها وهو يرتكب مثل ذلك وافظع منه
فيغفل عنه وبالجملة فكل من باع الحنطة والشعير وغيره غير منقى مخلوطا بالتراب
والرمل والحصاة فهو خاين مطفف ظالم غير امين في الكيل وكل قصاب وزن مع
اللحم عظاما لم تجر العادة بمثله فهو خاين مطفف ظالم غاش فاسق خبيث جهنمي خارج
عن عموم هذه الآية وهي قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فلا يكون
من اوليك في جنات مكرمون وقس على هذا ساير التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه
البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده في الذرع
ليظهر تفاوت في القدر فكل ذلك من الخيانة وترك الامانة والتطفيف المعرض صاحبه
للويل الرابع من الامور الاربعة المذكورة ان يصدق في سعر المتاع ولا يخفي منه
شيا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان وهو ان يستقبل الجالبين
الى البلد ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان
يقدم البدوي ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه
عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي ساير السلع
خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي لانه تاخير للتضييق من غير فايدة للفضولي المضيق
ونهى عن النجش وهو ان يتقدم الى البايع بين يدي المشتري الراغب ويطلب السلعة
بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذه المناهي تدل على
انه لا يجوز ان يلبس على البايع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه ان لو علمه لما
اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح والامانة الواجبتين
وتدل ايضا على انه ليس له ان يغتنم غفلة صاحب المتاع وينبغي ان لا يخفي من
البايع غلاء السعر او من المشتري تراجع الاسعار فان فعل كان ظالما خاينا غاشا
تاركا للعدل والامانة والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة او مواضعة او
تولية فعليه ان يصدق في قدر الثمن الذي اشتراه به وجنسه ثم ينبغي ان تخبر

بما حدث بعد العقد من عيب ونقصان ولو اشتري باجل وجب ذكره ولو اشتري
بمسامحة من صديقه او قريبه تجب ذكره لان المعامل يقول علي عادته في
الاستقصاء انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره
اذ الاعتماد فيه علي امانته وينبغي لاهل السوق ان لا يعاملوا الصبيان والمجانين
والعبيد الا ان يكون العبد ماذونا وكذا العميان الا ان يكون للاعمي وكيل وامّا
الكافر فيجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه
السلاح ان كان مستامنًا اذ يكون حربيًا اذا رجع الي داره او انه انما يشتري ليبيع لاهل
الحرب فان فعل فهو عاصٍ وخاينٌ وتارك للامانة واما الجندية من الاتراك
والتركمانية والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة الربوا والظلمة وكل
من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيئًا لاجل انه حرام الا اذا
عرف سببًا بعينه انه حلال وكذلك تجب للمؤمن ان تجتنب من الربوا حق
الاجتناب قال الله تعالي الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله
البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهي فله ما سلف وامره
الي الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي
الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة لهم اجرهم عند ربهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله
ورسوله فان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون الي قوله تعلمون
وعن جابر رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم اكل الربوا وموكله
وشاهديه قال هم سواء رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ليأتين علي الناس
زمان لا يبقي احد الا اكل الربوا فان لم ياكله اصابه من بخاره ويروي من غباره رواه
احمد وابو داود والنسائي وابن ماجة وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال قال

رسول الله صلي الله عليه وسلم درهم من الربوا ياكله الرجل وهو يعلم اشد
من ستة وثلثين زنية رواه احمد والدارقطني وروي البيهقي في شعب الايمان
عن ابن عباس وزاد وقال من نبت لحمه من السحت فالنار اولي به وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الربوا سبعون جزءًا ايسرها ان ينكح الرجل
امه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الربوا وان
كثر فان عاقبته تصير الي قلة رواهما ابن ماجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري بي علي قوم بطونهم
كالبيوت فيها الحيات تري من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء اكلة الربوا رواه احمد وابن ماجة وعن علي رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم لعن اكل الربوا وموكله وكاتبه ومانع الصدقة
وكان ينهي عن النوح رواه النسائي وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا اقرض احدكم قرضًا فاهدي اليه او حمله علي الدابة فلا يركبه ولا يقبلها رواه ابن
ماجة والبيهقي في شعب الايمان وعنه عن النبي صلي الله عليه وسلم اذا اقرض الرجل
فلا ياخذ هديته رواه البخاري في تاريخه هكذا في المنتقا وعن عبد الله بن سلام قال
اذا كان لك علي رجل حق فاهدي اليك حمل تبنٍ او حمل شعيرٍ او حبل قتٍّ فلا تاخذه فانه
ربوا واعلم ان الربوا انواع كثيرة فعليك ان تتعلم من الكتب وهذا الكتاب لا يحتمل ذكرها
ولكل ذكر موجب لعن وسخط ومقت وخيانة وغش وترك امانة وان افتي البعض
في بعض الصور منها نظرًا الي الظاهر واغترارًا به فان الفتوي علي الظاهر والله
متولي السراير لا تحل الحرام بحكم الحكام قال عليه السلام استفت قلبك وان
افتاك الناس وافتوك وافتوك والذين هم بشهاداتهم قائمون والشهادة من
جملة الامانات وخصها من بينها بالاية لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق
والذين هم علي صلوتهم يحافظون ومحافظتهم ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها
ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم

فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها اوليك في جنات مكرمون
فما الذين كفروا قبلك مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم
عليك عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم
كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون
ويستهزون بكلامه ويقولون ان دخل هولا الجنة كما يقول محمد فلندخلنها
قبلهم فنزلت الاية كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم
مما يعلمون اي من النطفة المذرة التي يستحيي عن ذكره فمن اين يتشرفون على المؤمنين
ويقولون فلندخلنها قبلهم ويدعون انهم اشرف منهم في الدنيا والاخرة مع ان اصل
بني ادم كلهم شي مهان فلا كرامة لهم في الدارين الا بالتقوى فان اكرمهم عندي اتقاهم
فلا يستوجب الجنة احد منهم الا به عن انس بن مالك قال كان ابو بكر الصديق
يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مخرج البول مرتين ثم يقع
في الرحم نطفة ثم علقة ثم يخرج من بطن امه فيكون في بوله وخراه حتى يقذر واحدنا
نفسه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما
نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي يخوضوا في باطلهم ويلهوا في دنياهم حتى
يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسخها اية القتال يوم يخرجون من الاجداث القبور
سراعا الى اجابة الداعي كانهم الى نصب يوفضون يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون
الى انصابهم وهي اوثانهم خاشعة ذليلة خاضعة ابصارهم بالعذاب ترهقهم ذلة يغشاهم هوان
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون وهو يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك
من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم من زايدة ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر لو كنتم
تعلمون فان قلت ما التوفيق بين الكلامين قلت ان امنوا امهلهم الى الاجل الذي سماه الله
وعينه لهم وان لم يؤمنوا يستعجل بالهلاك ولا يمهلهم واذا امنوا امهلهم الى اجلهم لا يوخرهم عنه

قال رب

قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر
لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم
جهارا ثم اني اعلنت لهم الدعوة واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا كثيرة الدرور ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات
ويجعل لكم انهارا وانما قال ذلك لانه لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم
المطر واعقم نساءهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم الخصب والسعة في
كل شيء مما يحتاجون اليه روي الربيع بن صبيح ان رجلا اتى الحسن وشكا اليه الجدوبة
فقال الحسن استغفر الله واتاه اخر فشكا اليه الفقر فقال له استغفر الله واتاه
اخر فقال ادع الله ان يرزقني ابنا فقال له استغفر الله واتاه اخر فشكا اليه جفاف
بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له اتاك رجال يشكون الوانا ويسالون انواعا
فامرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت من ذات نفسي شيئا انما اعتبرت فيه
قول الله عز وجل حكاية عن نبيه نوح عليه السلام قال لقومه استغفروا ربكم
الاية ما لكم لا ترجون لله وقارا قال الطيبي لا تخافون لله عظمة قال ابن كيسان ما لكم
لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا والرجاء من الاضداد يكون املا
وخوفا وقيل معناه ما لكم لا ترجون تاملون لله تعظيما اي ما لكم لا تكونون على حال
تاملون تعظيم الله اياكم في دار الثواب وقد خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا
ثم نطفة الى غيره كما الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ابتهم على النظر في انفسهم
لقربها اتبعه على النظر في العالم وما سوى من العجايب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته
وعلمه وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوءها
والقمر نور ولا يبلغ مبلغ ضياء الشمس عن ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر
وجوههما قبل السماء وضوء الشمس ونور القمر فيهما واقفيتهما قبل الارض
والله انبتكم من الارض نباتا اي انشاكم ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل
لكم الارض بساطا مبسوطا حالكم لتسلكوا منها سبلا فجاجا طرقا مختلفة قال نوح

رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا وهم القادة والاشراف
ومكروا مكرا كبارا وهو اكبر من الكبير قال الضحاك افتروا على الله وكذبوا رسله
وحرشوا سفلتهم على قتل نوح وقالوا لهم لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا وهي اصنامهم وقد انتقلت منهم الى العرب وقد اضلوا كثيرا
اي الرؤساء والاشراف وقيل الاصنام ضل بعبادتها وبسببها كثير نظيره رب انهن
اضللن كثيرا الاية ولا تزد الظالمين الا ضلالا اضياعا وهلاكا مما خطيئاتهم ما زايدة
اغرقوا فادخلوا نارا قال الضحاك يعني في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون
من جانب ويحرقون من جانب وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
احدا يدور في الارض فيذهب ويجي انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
لبث الف سنة الا خمسين وعرف طباعهم واحوالهم قال ابن عباس كان الرجل ينطلق بابنه
فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير ومعنى
فاجرا كفارا سيفجر ويكفر رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا فان قلت ما فعل صبيانهم حين اغرقوا
قلت قدم الجواب قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال نوح عم
حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب
رجالهم قبل العذاب اربعين سنة وقيل سبعين سنة فاخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون
مؤمنا فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله عز وجل ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب
الا واحدا وقد غرق مع امه مر

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر من
الجن قيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس وقيل كانوا
من نصيبين قال سعيد بن جبير وجماعة من اهل الحديث وابن عباس وكعب القرظي
لما مات ابو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف يلتمس منهم ومن ثقيف النصر
والمنعة له من قومه فلما انتهى الى الطايف عمد الى نفر منهم هم يومئذ سادة ثقيف عبد ياليل

ومسعود

ومسعود وحبيب وهم اخوة فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على
الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوا فاستكتمهم عن ان
تبليغ ذلك قريشا فلم يفعلوا واغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون
عليه حتى اجتمع عليه الناس والجأوه الى حايط لعتبة وشيبة ابنا ربيعة وهما فيه
ورجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة فجلس فيه وابنا ربيعة
ينظرون اليه ويريان ما لقي فلما اطمأن قال اللهم اني اشكو اليك ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني ام الى قريب ملكته امري ان لم يكن
بك غضب علي فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت
له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان تنزل بي غضبك وتحل علي سخطك
لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحولت
له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا
العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل ففعل ثم اقبل
حتى وضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله يده فقال
بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله
اهل هذه البلدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن اي هذا البلاد انت يا عداس
وما دينك قال انا رجل نصراني وانا من اهل نينوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠
من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له وما يدريك ما يونس بن متى قال
ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على النبي صلى الله عليه وسلم فقبل راسه
ويديه ورجليه فقال ابنا ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده
عليك فلما جاء عداس قالا له يا عداس ويلك ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه
وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي
فقالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم انصرف من الطايف

راجعا الى مكة وييس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي
فمر به الجن وكان سبب ذلك ان المسترقة لما رجموا بالشهب وحرست السماء
قال ابليس ان هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الارض فبعث سراياه وكان
اول بعث ركب من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعث الى تهامة
فاندفعوا حتى بلغوا وادي نخلة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلوة الغداة
ببطن نخلة ويتلو القرآن وقال بعضهم لبعض فاستمعوا اليه حتى يكاد بعضهم
يقع على بعض من شدة حرصهم فلما فرغ رجعوا الى قومهم منذرين مخوفين
داعين قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحوا من سبعين رجلا من الجن
فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فوافوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني
فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل النبي صلى الله عليه وسلم
شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا وامرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج
منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور
تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت نبي الله عليه السلام وغشيته سود كثيرة
حالت بيني وبينه حتى لا اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين
ففرغ النبي عليه السلام مع الفجر فانطلق الي وقال انمت فقلت لا والله ولقد هممت
مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا فقال
لو خرجت لم آمن عليك ان يختطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا
سودا مستثفرين بثياب بيض قال اولئك جن نصيبين فقلت يا رسول الله سمعت
لغطا فقال ان الجن تدارءت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال
ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله
معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة
طيبة وماء طهور ولما رجعوا الى قومهم فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد

اي كتابا عجبا بديعا مباينا لساير الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قايمة فيه دلايل
الاعجاز وفي وضع المصدر موضع الصفة مبالغة وهو ما خرج من حد اشكاله ونظايره
فآمنا به بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك
قالوا ولن نشرك بربنا احدا ولان الايمان بالقرآن يستلزم ذلك لانه ينهى عن الشرك
بالله اي لن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان وانه تعالى جد ربنا
قال الحسن غنى ربنا وقال عكرمة جلاله ربنا وقال قتادة عظمة ربنا ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا والمعنى تعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا بيان لقوله تعالى جد ربنا وذلك لانهم لما سمعوا القرآن تنبهوا على خطاء كفرة الجن
من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان
يقول سفيهنا جاهلنا قال مجاهد هو ابليس وجنوده على الله شططا وهو مجاوزة
الحد اي عدوانا وقولا عظيما منكرا فظيعا وانا ظننا اي كان في ظننا ان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا اي كنا نظنهم صادقين في هذا الافتراء حتى سمعنا القرآن فلما سمعنا
تبين لنا كذبهم وافتراؤهم وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل
اذا امسى في واد قفر وخاف قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فزادوهم
رهقا اي طغيانا وكبرا وذلك انهم قالوا سدنا الجن والانس وانهم ظنوا كما ظننتم يا معشر
الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا بعد موت وانا لمسنا السماء اي طلبنا بلوغ السماء
واستماع اهلها فوجدناها ملئت حرسا شديدا يعني حراسا شدادا وشهبا وانا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والرصد مثل الحرس
اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملايكة الذين يرجمونهم
بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون الرصد صفة للشهاب بمعنى الراصد
يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى
عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته وانا لا ندري اشر اريد
بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا يقولون لما حدث من ملء السماء بالحرس والشهب

وكثرة الرجم ومنع الاستراق وحفظ المقاعد قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل
الارض من شر او خير من عذاب او رحمة من خذلان او توفيق وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا اهواء مختلفة وفرقا شتى لكل فرقة هوى
كاهواء الناس يعني كنا مسلمين ويهود ونصارى ورافضية وشيعية وقدرية
وجبرية وغيرها من اهل الاهواء وانا ظننا اي ايقنا ان لن نعجز الله في الارض
اذا اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به يعنون
وايمانهم به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى
ولا رهقا ولا مكروها يغشاه ولا يؤخذ بذنب غيره ولا يعاقب بغير جرم لانه
لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من
حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس
على انفسهم واموالهم وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجابرون العادلون
عن الحق فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
وان لو استقاموا اي واوحي الي ان الشان لو استقام الجن والانس على الطريقة
على الحق والهدى لاسقيناهم ماء غدقا كثيرا اينما كان الماء كان المال واينما كان المال
كانت الفتنة يعني اعطيناهم مالا كثيرا ووسعنا عليهم في الرزق وبسطنا لهم في الدنيا
لنفتنهم لنختبرهم كيف شكرهم فيه فيما خولوا منه هذا قول كثير من المفسرين
ودليله ما مر من قوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وقوله ولو
ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء الآية وقوله
من عمل صالحا من ذكر او انثى الآية وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا
الآية وقيل معناه ان استقاموا على طريقة الكفر والضلالة فكانوا كفارا
كلهم لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا
حتى يفتتنوا بها فيعذبهم دليله ما مر من قوله فلما نسوا ما ذكروا به الآية
وقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في
الارض الآية

القرآن

تحروا قصدوا ثوابا

وقوله

وقوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الآية ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام
الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع لوسعنا عليهم الرزق
مستدرجين لهم لنفتنهم فيه ليكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة
وازديادهم اثما ولنعذبهم ومن يعرض عن ذكر ربه عن موعظته فلم يقبل
ولم يعمل بها يسلكه يدخله عذابا صعدا يتصعد المعذب ويعلو عليه ويغلبه
فلا يطيقه قال الطيبي يكلف ان يصعد في النار جبلا من صخرة ملساء يجذب
من امامه بالسلاسل ويضرب بمقامع من الحديد حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ
في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها انحدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا صعودها
وان المساجد اي اوحي الي قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي عليه السلام
كيف لنا ان ناتي المسجد ونشهد معك الصلوة ونحن ناءون عنك فنزلت
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا قال ابن عطا المساجد اعضاء كل
التي امرت ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها وقيل معناه وان المساجد
لله وافردوها لذكر الله وعبادته فلا تتخذوها متجرا ولا مجلسا ولا طرقا
ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون
عليه لبدا واوحي الي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة وابن
زيد لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا
الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم هذا الامر وينصره ويظهره
على من ناواه واللبد الجماعات بعضها فوق بعض وقيل معنى قام يدعوه
اي يعبده يريد قيامه لصلوة الفجر ببطن نخلة حتى اتاه الجن فاستمعوا
لقرآنه كانوا يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واعجابا
بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم يروا مثله سمعوا ما لم يسمعوا بنظيره قل
انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قال مقاتل قال كفار قريش للنبي عليه السلام
اتيت بامر عظيم لم يسمع بمثله وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا الكلام فنحن

اي باعدون

بعض لا تعبدوا واحدا غير الله

نزل عليه وحي

يجيرك فانزل الله تعالي الآيات وقيل معناه قل للمتظاهرين عليك من الجن والانس انما ادعو ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم علي مقتي وعداوتي وقيل معناه قل للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي لولاي ومولاكم ورفضي الاشراك به بامر يتعجب ممن يدعو غير الله ويضع العبادة في غير موضعها ولا يشكر للمنعم عليه بانواع النعم ويكفر به ويجعل له شريكا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي رغبا والمعني لا استطيع ان اقسركم علي الغي والرشد انما القادر علي ذلك الله عز وجل قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا وهذه جملة معترضة اعترض بها التاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه علي معني ان الله تعالي ان اراد به سوءا من مرض او موت او هلاك لم يمكن ان يجيره منه احدا ويجد من دونه ملتحدا اي ملاذا وملجا ومحيصا ومعدلا الا بلاغا استثنا من لا املك اي لا املك الا بلاغا من الله ورسالاته اي لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعني الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان ويجوز ان يكون بدلا من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به فان فيه الامن والنجاة ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا والاية حجة للمعتزلة علينا وان كنا نؤولها موافقا للمذهب ولكن الاصل عدم التاويل والاجرا علي الظاهر الا اذا دل دليل قطعي علي ان المراد غير الظاهر ولو كان تاويلنا بدليل قطعي لرجعت المعتزلة عن مذهبهم بل الخصومة والنزاع في بعض الآيات باقية بين المقلدين الي يوم الدين وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم وهم المقربون الصديقون فمن اجتنب عن المعاصي فهو من الناجين بين اهل الفرق اجمعين ومن لم يجتنب ومات بلا توبة فهو من الخالدين في جهنم عند المعتزلة والحزم الخروج من شبهة خلاف المخالفين فكم من قاري متامل قد افلح مع المفلحين وكم من عالم متاول قد هلك مع الهالكين

يضل

يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا حتي يعني يكونون عليه لبدا علي انهم يتظاهرون عليه بالعداوة له ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتي اذا راوا ما يوعدون من اظهار الله له عليهم ونصرته له وانتقامه منهم يوم بدر وفتح مكة وغيرهما من الفتوح ويوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا اي اجلا قال المشركون متي يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كاين لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متي لان الله لم يبينه لما راي في اخفاء وقته من المصلحة ومعني قوله امدا انه كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستقرب الموعد كانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام موجل ضربت له غاية عالم الغيب اي هو عالم الغيب فلا يظهر ولا يطلع علي غيبه احدا الا من ارتضي اصطفي فانه يصطفيه ويطلعه علي ما يشاء من رسول تبيين لمن ارتضي وفيه ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط احتجت المعتزلة بهذه الاية علي ابطال الكرامات بان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع علي الغيب وقد مر حجتنا عليهم في سورة الكهف باصحاب الكهف وبقصة اصف في قوله وقال الذي عنده علم من الكتاب الاية وفي قصة مريم واحتجوا ايضا بان خوارق العادات لو ظهرت علي غير الانبياء لالتبس النبي بالمتنبي قلنا لا بل يتميز النبي بالتحدي والدعوي فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان واستماع الجن لئلا يسترقوا القول فيلقوه الي كهنتهم ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتي يبلغ ما اوحي به اليه وذكر بعض الجهات دلالة علي جميعها ليعلم الرسول ان اي ان الملائكة قد ابلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الله ان قد ابلغوا اي الانبياء والمعني ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله حتي نعلم المجاهدين منكم واحاط بما لديهم بما عند الرسل

من الحكم والشرايع لا يفوته منها شي واحصي كل شي عددا من القطر والرمل
وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه
وعددًا نصب علي الحال اي وضبط كل شي معدودًا ومحصورًا وان شئت علي
المصدر اي احصاً

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اي المغطي بكسايه
وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم رعب مرتين مرة بعد غطة الملك فرجع
الي اهله فقال زملوني زملوني فزملوه فنزل يا ايها المزمل الايات فامر بان
تختار علي الهجوع التهجد وعلي التزمل التشمر للعبادة والمجاهدة ومرة بعد صيحة
الملك فرجع الي اهله فقال زملوني زملوني فزملوه فنزل يا ايها المدثر قم فانذر
فامره بالانذار وهذا الوجه موافق لما جاء في الحديث وسيذكر في سورة اقرا وقال الحكما
انما خاطبه بالمزمل والمدثر في اول الامر لانه لم يكن ادي بعد شيئا من تبليغ الرسالة قم الليل
الا قليلا نصفه او انقص منه او زد عليه والضمير في منه وعليه للنصف فخيره بين هذه المنازل
فقام صلي الله عليه وسلم واصحابه واقبلوا علي احياء الليل كلها واشتد ذلك عليهم فكان الرجل
لا يدري متي ثلث الليل ومتي الثلثان ومتي النصف حتي يصبح مخافة ان لا يحفظ وتحاهد
حتي انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم قال سعيد بن جبير لما نزلت قوله يا ايها
المزمل الاية مكث النبي صلي الله عليه وسلم علي هذه الحالة عشر سنين يقوم الليل
كما امر الله تعالي وكانت طايفة من اصحابه يقومون معه فخفف عنه بعد عشر
سنين فانزل ان ربك يعلم انك تقوم الاية فجعل قيام الليل نافلة بعد ان كان
فريضة ورتل القران ترتيلا قال ابو بكر بن طاهر تدبر في لطايف خطابه وطالب
نفسك بالقيام باحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال عليه قال ابن
كيسان تفهمه تاليا له وقال الحسن اقراه قراءة بينة يعني تبين الحروف واشباع
الحركات وجعل المتلو شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه
هذا ولا يسرده سردا بل يبين الكلمات ليسهل فهم معانيه وفي الترتيل التوقير والتفهم والتفهيم

قال

قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا اي عظيما عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل لا طاقة
للباطل ان يقوم قدامه كما لا طاقة للظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر
ان ينفذ لجو معانيه وحكمه ولطايفه وعجايبه وغرايبه كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم
ضوء عين الشمس ولكن ينالون عن عين الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به علي
حوايجهم وهو مفتاح الخزاين النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودواء
الاسقام الذي من شفي منه لم يسقم وعن بعض المحققين ان كل حرف من كلام الله
في اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف وان الملايكة لو اجتمعت علي الحرف ان يقلوه ما
اطاقوه حتي ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه ويقله باذن الله لا بقوته ولكن
الله طوقه ذلك وقال ابو بكر بن طاهر يعني قولا لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق
ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال
والحرام وقال الحسن ان الرجل ليهذ السورة ولكن العمل به ثقيل وقال قتادة
ثقيل والله فرايضه وحدوده ان ناشية الليل اي قيام الليل وهو مصدر كالعافية
قال عبيد بن عمر قلت لعايشة رضي الله عنها رجل قام من اول الليل اتقول
له قام ناشية قالت لا ان الناشية القيام بعد النوم وقال قتادة ما كان بعد العشاء
فهو ناشية وقال سعيد بن جبير وابن زيد اي ساعة قام من الليل فقد نشا وقال
ابن عباس ان الليل كله ناشية هي اشد وطا قرا ابو عمرو وابن عامر وابن محيصن بكسر
الواو ممدودا علي معني المواطاة والموافقة وهو ان يواطي قلبه وسمعه وبصره ولسانه
وقرا الباقون بالفتح مقصورا اي فراغا للقلب قال قتادة اثبت في الخير واحفظ
للقراءة وقال ابن زيد افرغ للقلوب من النهار لانه لا يعرض له حوايج ولا شي
وقال الحسن اشد وطا في الخير وامنع من الشيطان واقوم قيلا اصوب قراءة
وعبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة وفهما لمعاني القران ان لك
في النهار سبحا طويلا فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوايجك وتقلبك فيها تكن مشاغلك

ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي يقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل
كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون علي المواطاة
واشد للقراءة وانه اجمع للقلب وان النهار وقت تفرق الهموم وتوزع
الخواطر والتقلب في الحوايج وقيل معناه ان فاتك من الليل شي فلك في النهار
فراغ تقدر علي تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم علي ذكره وهو يتناول التسبيح
والتهليل والتكبير والتمجيد والصلوة وتلاوة القرآن والدعاء ودراسة
العلم وغيره كما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله
ونهاره وتبتل اليه تبتيلا وقال ابن عطاء انقطع اليه انقطاعا قال زيد بن اسلم
التبتيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله رب المشرق والمغرب لا اله
الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده وهو الذي تجب لتوحده
بالربوبية ان توكل اليه الامور وتفوض اليه ما ينوبك ادخال الفاء بين هذين
جملتين اشارة الي ان التوكل ثمرة التوحيد والقول في التوحيد طويل وهو البحر
الاعظم الذي لا ساحل له ولكن نتعرض بالقدر اليسير منه للتنبيه والرمز فنقول
للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الي لب والي لب اللب والي قشر والي قشر القشر
ويتمثل ذلك تقريبا الي الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا والسفلي فان
له قشرتان وله لب وللب دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولي من التوحيد
ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق
والثانية ان يصدق بمعناه قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد
والثالثة ان يشاهد ذلك بواسطة نور الحق وذلك بان يري الاشياء صادرة
من الواحد القهار والرابعة ان لا يري في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة
الصديقين وهو الفناء في التوحيد بمعني انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد
بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني
موحد بمعني انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد

عليه قلبه وهو عقدة علي القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنها تحفظ صاحبها
عن العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم يضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد
حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله يسمي بدعة والثالثة موحد بمعني انه لم يشاهد
الا فاعلا واحدا اذا انكشف له انه لا فاعل بالحقيقة الا واحد وقد انكشف له الحقيقة
كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد علي مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام
والمتكلمين اذ لا فرق بينهما في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام والرابعة
موحد بمعني انه لا يري غير الواحد وهذه هي الغاية القصوي في التوحيد فالاول
كالقشر العليا من الجوز والثاني كالقشر السفلي والثالث كاللب والرابع كالدهن
المستخرج من اللب وكما ان القشر العليا لا خير فيه بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الي
باطنه فهو كريه المنظر وان اخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان وان تركت في البيت ضيق
المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة علي الجوز للصون ثم رمي فكذلك التوحيد بمجرد اللسان
عديم الجدوي كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشر السفلي
الي وقت الموت والقشر السفلي هي البدن فيصون من السيف وانما يتجرد عند الموت
فلا يبقي لتوحيده فايدة بعده وكما ان القشر السفلي ظاهر النفع بالاضافة الي القشر العليا
فانه يصون اللب ويحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا
لكنه لا قدر له بالنسبة الي اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة
الي مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الي الكشف والمشاهدة التي
تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك
الشرح هو المراد بقوله تعالي افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور
من ربه وقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وكما ان
اللب نفيس في نفسه لا بالاضافة الي القشر لانه المقصود لكنه لا يخلو
عن شوب بالنسبة الي الدهن كذلك هذا التوحيد لا يخلو عن ملاحظة
الغير والالتفات الي الكثرة بالاضافة الي من لم يشاهد سوي الواحد الحق

وهذه الدرجة شرحها لا يجوز ان يسطر في الكتاب اذ افشاء سر الربوبية كفر
فان قلت فلا بد لهذا من شرح مقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الاول
فلا يجوز الخوض في بيانه واما الاول فلا فايدة فيه واما الثاني وهو الاعتقاد فهو
موجود في عموم المسلمين واما الثالث فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون
تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذه التفاسير وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا
الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحيوة وموت وغنى وفقر
الى غير ذلك فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف
لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه
اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال
لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح
لك هذا ايضا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد
في مقامين يبتغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار
الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع
ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى الريح في استواء السفينة وسيره
وهذا شرك في التوحيد وجهل بحقايق الامور ولذلك قال تعالى واذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل
معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو علم
علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا
الى ان ينتهي الى المحرك الاول فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض
وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة واذا انكشف لك هذا انصرف
عليك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فياتيك
في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية
ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء

اي الشيطان

اعطاك

اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يقتلك بسيفه وهو قادر عليه
ان شاء قتلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت
تشاهد ذلك ولا تشك فيه وعند هذا زل قدم الاكثرين الا عباد الله المخلصين
الذين لا سلطان عليهم للشياطين شاهدوا ان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف
والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة
من بحر مقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء
ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قولك لا اله الا الله وما اخف مؤنته
على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب ما اعز حقيقته ولبه عند
الناس قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده ومن لم يتخذه وكيلا وطلب الكفاية من
غيره هو المكذب لهذه الاية وقال ولله خزاين السموات والارض ولكن المنافقين
لا يفقهون وقرء الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخره فقال ما ينبغي
للعبد بعد هذه الاية ان يلتجئ الى احد غير الله وقال هرم بن حيان لاويس القرني
اين تامرني اكون فاوما الى الشام فقال الهرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه
القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وما ذكرناه قطرة من بحار معاني قوله
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا قيل من رضي بالله وكيلا وجد الى كل خير سبيلا فان قلت
فلم يجوز ولا يحرم اثبات الافعال للعباد فكيف يكون مفعول بين فاعلين قلنا
يجوز ذلك اذا كان للفاعل معنيان كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتل الجلاد باعتبار
معنيين بمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل
الذي خلق فيه القدرة بعد الارادة بعد العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة
بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة
وارتباط الموجود بالموجد وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له
كيف ما كان الارتباط كما في الجلاد والامير لان القتل ارتبط بقدرتهما ولاجل ذلك نسب
الله تعالى الافعال مرة الى الملايكة ومرة الى العباد ومرة الى نفسه قل يتوفاكم ملك الموت الاية

وقال الله يتوفي الانفس الاية فقال فارسلنا اليها روحنا الاية وقال قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم والتعذيب هو عين القتل بل صريح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وقال وما رميت اذ رميت الاية وقد وصف نفسه بانه المحيي والمميت
ثم فوض الموت والحيوة الي الملكين وفي الخبر انهما تناظرا قال ملك الموت انا اميت
الاحياء وقال ملك الاحياء انا احيي الاموات فاوحي الله اليهما كونا علي عملكما
وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي واصبر علي ما يقولون مدة واهجرهم
هجرا جميلا الي مدة وهو ان تجانبهم بقلبه وهواه وتخالفهم مع حسن المخالفة
والمداراة والاغضاء وترك المكافاة امره بالصبر والهجر مدة دليله ومهلهم
قليلا وامتد ذلك الي نزول اية السيف ولما كان افضل الاعمال التفقه في اسرار
كلمات القران وقراءته في الصلوة بالتدبر والتفكر والاعتبار في معانيه واسراره
وعجايبه وغرايبه ولطايفه مع ظهره وبطنه الي سبعة ابطن مع الضراعة والابتهال والخشية
والاجلال امره بصلوة الليل اولا ثم ذكر انه ادعي واعون لذلك بقوله ان ناشية
الليل الاية وامره بالترتيل ليتدبر كما قال كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وانما انزل القران للتدبر والتهجد والترتيل يعين علي ذلك ثم قال انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا يعني تشمر لمعرفة معانيه واسراره والعمل به وتبليغه ولا
تتزمل فيحن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده
للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان وفي امثالهم اوردها
سعد وسعد مشتمل ما هكذا يورد يا سعد الابل وقال ذو الرمة ومن نام من
ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب
ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ثم قال ان ناشية الليل اي انما قلت لك قم الليل
لان قيام الليل ادعي لحضور القلب واوفق لما يراد من الخشوع والاخلاص
واجمع للقلب واضم لنشر الهم واشد مقالا واصوب قراءة لهدو الاصوات
والنهار وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في الحوايج فسبحانه كيف

امره بما هو سبب للسعادة الابدية وكيف علمه وارشده الي الاسباب المسهلة
له ثم قال واذكر اسم ربك اي دم علي ذكري فان احب الاعمال الي ادومها لانه اثر
في القلب كقطرات الماء علي الدوام علي الصخرة والرخام والمتفرق كالطين
اذا ترك ثم عجن ثم ترك مدة ثم عجن لا يظهر له اثر ولمن اكثر ذكري احبني وانس بي
واشتاق الي وان محبتي والانس بي والشوق الي هي سبب الفلاح ثم امره
بالتبتل والانقطاع اليه عما سواه فكان عليه السلام بالقلب مع الله وبالبدن مع الخلق
لضرورة الدعوة التي امر بها ثم كان يستغفر عن ذلك سبعين مرة ويقول
انه ليغان علي قلبي الحديث مر ثم امر بالتوحيد كانه يقول تبتل الي لاني رب
المشارق والمغارب لا رب سواي فوحدني وقل لا اله الا هو وتوكل علي في
امورك لان التوكل ثمرة التوحيد ولذلك قال وعلي الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اي ان كنتم مخلصين في ايمانكم وموحدين ومؤمنين بانه لا اله الا هو وانما خص
لفظ الرب بالذكر لانه ارشد الي تحصيل اشرف الرزقين وهو معرفة
اسرار القران علي اتم ما يمكن وربي قلبه وسره وروحه به وانما اشرف
الرزقين لان ثمرته الحيوة في الدنيا والاخرة ابد الاباد ولهذا سمي الله تعالي الجاهل
ميتا في كثير من المواضع من كتابه كقوله او من كان ميتا فاحييناه وسمي ذلك العلم
والمعرفة روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وحاجة الانسان
الي هذا الرزق اكثر من حاجته الي رزق الاجسام لان نفعه دايم في الدنيا والاخرة ونفع
ارزاق الاجسام منقطع بل المقصود من خلق رزق الاجسام وتربيتها بها تربية الارواح
والقلوب بالمعارف والمكاشفات وهي ما علم الله تعالي طريقه في هذه السورة وفي
مواضع كثيرة من القران بل ما خلق السموات والارضين وما بينهما وما ارسل الرسل
وما انزل الكتب الا لذلك التربية فهو رب المشارق والمغارب لا اله الا هو ثم
امره بالصبر والهجر ايضا لذلك وذرني والمكذبين اذا عرف الرجل من
صاحبه انه مستهتر بالخطب يريد ان يكفاه او بعد ويشتهي ان ينتقم له منه وهو

مقتدرٌ عليه قال ذرني واياه اي تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الان تخلي بيني
وبينه بان تكل امره اليّ وتستكفينيه فانّ في ما يفرغ مالك وتجلي همك وليس ثمه
منع حتي يطلب اليه ان يذره واياه الا التفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه
منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه اشارة الي الوثوق
بانه يتمكن من الوفاء باقصي مايذر وحول امنية المخاطب وبما يزيد عليه وقال
بعض العلماء من المحققين اعلم ان المتوكل لا يكون متوكلا علي وكيله ولا واثق
القلب مطمئن النفس به الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهي الهداية ومنتهي
القوة ومنتهي الفصاحة ومنتهي الشفقة فكذلك المتوكل علي الله ان ثبت بنفسه بكشف او
باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقد مع ذلك تمام العلم والقدرة علي
كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة وانه ليس وراء منتهي قدرته
قدرة ولا وراء منتهي علمه علم ولا وراء منتهي عنايته ورحمته عناية ورحمة لا اتكل
لا محالة قلبه عليه وحده ولم يلتفت الي غيره بوجه ولا الي نفسه وحوله وقوته
فانه لا حول ولا قوة الا بالله فان الحول عبارة عن الحيلة والحركة والقوة عبارة
عن القدرة فان كان لا يجد هذه من نفسه فسببه احد امرين اما ضعف اليقين
باحد هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب باستيلاء الجبن عليه ولا يتم
التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا واذا اجتمعت هذه الاسباب
حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان
مثله وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد اذله الله واذا عرفت
ذلك فاعلم ان قوله رب المشارق والمغارب لا اله الا هو متضمن للامور
الاربعة فلذلك قال فاتخذه وكيلا يعني لما علمت انه علي الكمال في ذلك
الامور الاربعة فثق به في جميع مهماتك وقوله ذرني والمكذبين
اي لما علمت ذلك وكلني بالخصومة مع اعدائك وثق بي وانظر كيف انتقم
منهم وهم صناديد قريش اولي النعمة وانما قال اولي النعمة تعرضا للسبب

لانها

لانها سبب للطغيان وهو سبب للكفر وانواع المعاصي كقوله ويل لكل همزة لمزة الذي
جمع مالا يشير الي ان سبب كونه همازا لمازا طغيانه بسبب المال ومثل هذا كثير
في القرآن والحديث كقوله هلك الاكثرون وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال
الاغنياء وقال صلي الله عليه وسلم سياتي بعدكم قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها
وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل
والوانها لهم بطون من القليل لا يشبع وانفس بالكثير لا يقنع عاكفين علي الدنيا يغدون
ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون آلهتهم وربا دون ربهم الي امرهم ينتهون
وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب
عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم
فمن فعل ذلك فقد اعان علي هدم الاسلام وكان يقول ابو الدرداء اللهم من فعل
بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله راي كثرة المال مع صحة الجسم وطول
العمر غاية البلاء لانه لابد وان يفضي الي الطغيان وروي ان اول ما ضرب الدينار
والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما علي جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي
حقا وقال سميط ان الدراهم والدنانير ازمة المنافقين يقادون بها الي النار
وقال يحيي بن معاذ الدرهم عقرب ان لم تحسن رقيته فلا تاخذه وقال تعالي
ان الانسان ليطغي ان رآه استغني وطغيانه سبب لتكذيب الحق وانواع المعاصي
فالشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا
تقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم يتحرك داعيته فاذا استشعر
القدرة عليه انبعث والمال والثروة نوع من القدرة تحرك داعية المعاصي وارتكاب
الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة والصبر مع القدرة اشد
وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء وانما تجر الي التنعم في المباحات وهذا اقل
الدرجات فمتي يقدر صاحب المال علي ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب
الخشن ويترك لذايذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فيتنعم ويمكن

صاحب المال لازم

نفسه علي التنعم فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه وتجره البعض الي
البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يتوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات
وتخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم
امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجاته الي الناس ومن
احتاج الي الناس فلابد وان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم من
مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذا اصلا ومن الحاجة الي الخلق يثور العداوة
والصداقة ويبني عليه الحقد والحسد والريا والكبر والكذب والغيبة والنميمة
وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان فلا تخلو من التعدي الي ساير الجوارح
وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الي حفظه واصلاحه وانما يلهيه اصلاح
عن ذكر الله تعالي وكل ما اشتغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال
عيسي عليه السلام في المال ثلث افات وهي ان تاخذه من غير حله فقيل ان
اخذه من حله قال يضعه في غير حقه قيل فان وضعه في حقه قال يشغله
اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها
ذكر الله والفكر في حاله ويستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح
متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء
والحدود وخصومة اعوان السلطان والامير في الخراج وخصومة الاجراء في
التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون
متفكرا من خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه في المال
وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال والنعم وابعدها من كثرة
الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرفه اليه في
كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس واودية افكار اولي
النعمة لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك وذلك سوي ١٢٧
ما يقاسيه اولي النعمة من الخوف والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في
بزاحمه
حفظها

حفظها وكسبها فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه وقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد
به الخبر فلذلك استعاذ الانبياء من شرها حتي قال نبينا صلي الله عليه وسلم اللهم اجعل
قوت ال محمد كفافا وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
واستعاذ ابرهيم عليه السلام قال واجنبني وبني ان اعبد الاصنام وعني به الذهب
والفضة اذ رتبة الانبياء اجل من ان تخشي عليها عبادة الاصنام وانما يعني من عبادته
حبه والاغترار به والركون اليه قال نبينا عليه السلام تعس عبد الدرهم الحديث مر
بين ان محبتها عبد لها وطغيان المال اكثر من ان تحصي وقد مر غير مرة والنعمة
بالفتح التنعم وكان صناديد قريش اهل تنعم وترفه وقد مر ومهلهم قليلا ان لدينا
ما يضاد تنعمهم انكالا من انكال القيود والنكال التي لا تفك ابدا قال الشعبي ان الله
لم تجعل الانكال في ارجل اهل النار مخافة الفرار ولكن اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت
بهم وجحيما وهي النار الشديدة الحر والايقاد وطعاما ذا غصة غير سايغة يتشبث في
الحلوق ويقبضها لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والضريع والزقوم روي
ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا هذه الاية فصعق قال خالد بن حسان امسي عندنا
الحسن وامسي صايما فاتيته بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه ولما كانت
الليلة الثانية اتيته بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعوا وكذلك الليلة
الثالثة فانطلق ابنه الي ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيي البكا فحدثهم الحديث
فجاوا معه فلم يزالوا به حتي شرب شربة من سويق وعذابا اليما من ساير
العذاب فلا تري موكولا الينا امرهم هو ذو دا بيننا وبينهم انتقاما اشد من ذلك
يوم ترجف الارض والجبال منصوب بما في لدينا والرجفة والزعزعة الشديدة اي يتحرك
ويضطرب اضطرابا شديدا وكانت الجبال كثيبا مهيلا سايلا متناثرا اذا حرك
اسفله فانها رعليه من اعلاه انا ارسلنا اليكم رسولا الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم
يوم القيامة بتكذيبكم ان كذبتم كما ارسلنا الي فرعون رسولا فعصي فرعون الرسول
فاخذناه اخذا وبيلا بطشا صعبا شديدا فكيف تتقون اي كيف تقون انفسكم ان
كفرتم
اي كيف تحترزون

اي يجحدتم وانكرتم يومًا يعني يوم القيامة وكان فرعون منكرا للبعث والجزاء
والمعني فكيف تتقون عذاب يوم القيامة وكيف تنجون منه ان لم تؤمنوا به
وتستعدّوا له بالاعمال الصالحة وكيف يستعدّ له من يكفر به وكيف ينجو منه
من لم يستعدّ له في الدنيا يجعل الولدان شيبًا من هوله وشدّته وذلك حين
يقال لآدم ابعث بعث النار من ذريتك وقيل هم اولاد الزنا وقيل مثل في الشدّة
يقال في اليوم الشديد يوم يشيّب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان
اذا تفاقمت علي الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي والهمّ يخترم الجسيم
نحافةً ويشيب ناصيةَ الصبيّ ويهرم وروي الثقات ان رجلا امسي فاحم
الشعر واصبح وهو ابيض الراس واللحية فقال رايتُ القيامة والجنة
والنار في المنام ورايتُ الناس يُقادون في السلاسل الي النار فمن هول ما
رايتُ اصبحتُ كما ترون السماء منفطرٌ به منفلق ومنشقّ فيه يعني
ان السماء علي عظمها واحكامها ينفطر به فما ظنك بغيرها من الخلايق والباء
في به مثلها في قولك فطرتُ العود بالقدوم فانفطر به والمعني انها ينفطر
بشدّة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما ينفطر به كان وعده مفعولا
من اضافة المصدر الي المفعول والضمير لليوم ان هذه الايات الناطقة بالوعيد
الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ اتعظ بها واتخذ الي ربه سبيلا
ومعني اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسّل بالطاعة ان ربك يعلم انك تقوم ادني
اقلّ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والمعني ان ربك يعلم انك
امتثلت امره وعملت بما امرك وهو ما مرّ في اول السورة من قوله قم الليل
الاية والله يقدّر الليل والنهار ولا يقدر علي تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير
ساعاتهما الا الله علم ان لن تحصوه والضمير لمصدر يقدّر اي علم انه شقّ عليكم ولن
تطيقوه لو فرض عليكم ذلك لانكم لا تقدرون علي ضبط الاوقات الا بان تاخذوه بالاوسع
للاحتياط وذلك شاقّ عليكم فتاب عليكم اي تجاوز عنكم ورجع بكم الي التخفيف عليكم وهو عبارة

عن

عن الترخيص في ترك القيام المقدّر في قوله قم الليل والمعني انه قد رفع التبعة في تركه
عنكم كما ترفع التبعة عن التايب فاقرؤا ما تيسّر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضي
عبّر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبّر عنها بالقيام والركوع والسجود
وكقوله الا قرآن الفجر كان مشهودا كما عبّر عن قراءة الفاتحة بالصلوة في حديث
القسمة يريد فصلّوا ما تيسّر عليكم ولم يتعذّر من صلوة الليل وهذا ناسخ
فرضية القيام المقدّر في اول السورة والصلوات الخمس ناسخةٌ فرضية القيام
بقدر ما يتيسّر علي الناس وبقي علي الاستحباب وقد مرّ فضايله في قوله كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون وقوله وزلفا من الليل الاية وقوله تتجافي جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا وقوله امّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقايما يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه الاية وقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما الاية
وغير ذلك وقال صلي الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخر
خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشقّ علي امتي لفرضتهما عليهم وقال عليه السلام
عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الي ربكم ومكفّرة للسيّات
ومنهاة عن الاثم وفي رواية ومطردةٌ للداء عن الجسد وقال صلي الله عليه وسلم
ينزل ربّنا تبارك وتعالي كل ليلة الي السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني
فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي رواية يبسط يديه
ويقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم حتي ينفجر الفجر وقال صلي الله عليه وسلم
ان في الجنة غرفا يري ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدّ الله لمن
الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلّي بالليل والناس نيام وفي رواية لمن
اطاب الكلام وقال عليه السلام يا ابا ذرّ لو اردت سفرًا اعددت له عُدّةً فكيف
سفر طريق القيامة الا انبّئك يا ابا ذرّ بما ينفعك ذلك اليوم قال بلي بابي انت وامي قال
صم يوما شديد الحرّ ليوم النشور وصلّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحجّ حجّة
لعظام الامور وتصدّق بصدقة علي مسكين او كلمة حقّ تقولها او كلمة شرّ تسكت عنها

وعن ام سلمة رضي الله عنها استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا يقول
سبحان الله ماذا انزل الليلة من الخزاين وماذا انزل من الفتن من يوقظ صواحب
الحجرات كي يصلين رب كاسية في الدنيا عارية في الاخرة وقال علي بن الحارث شبع يحيى
بن زكريا عليه السلام من خبز شعير فنام عن ورده فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت
دارا خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى
الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة
لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقال صلى الله عليه وسلم
ان في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسال الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه
وذلك كل ليلة وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ
امراته فصلت فان ابت نضح وجهها الماء ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت
ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الماء قال ربيع بت في منزل الشافعي
رحمة الله عليه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرة وقال ابو الجويرية لقد صحبت
ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان يصلي الليل كله ولا يطيق ذلك الا
الذين تلذذوا بمناجاة الله وصار ذكره غذا لهم وحيوة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام
وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف
كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء وحكي ذلك على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين
وكان منهم من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم وفضيل
بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن المنبه اليمانيان والربيع بن
خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص
وابو عاصم العباديان وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع
وقراه مرة اخرى وحبيب بن محمد وابو جابر سليمان الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان
التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البصريون وايضا من اهل المدينة
ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم وما روي من غير التابعين ممن يحيي
الليل كله

لا يحصى عددهم وقال عبد الله بن داود وكان السلف اذا كان احدهم بلغ اربعين
سنة طوى فراشه وكان سفيان الثوري قواما بالليل قال قبيصة رحمه الله
رايت سفيان الثوري فيما يرى النائم بعد موته فقلت ما فعل بك ربك فقال نظرت
الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد لقد كنت قواما اذا اقبل الدجى
بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد
وكذلك كان احمد بن حنبل قال ابو عبد الله محمد بن خزيمة بالاسكندرية لما مات احمد بن
حنبل اغتممت غما شديدا فبت من ليلتي فرايته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت
له يا ابا عبد الله اي مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام قال فقلت ما فعل الله
بك قال غفر لي وتوجني والبسني نعلين من ذهب وقال لي يا احمد هذا بقولك القرآن
كلام الله غير مخلوق ثم قال يا احمد ادعني بتلك الدعوات بلغتك عن سفيان الثوري
كنت تدعو بهن في دار الدنيا قال قلت يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء لا تسألني
عن شيء اغفر لي كل شيء فقال لي يا احمد هذه الجنة فقم ادخل اليها فدخلت فاذا
انا بسفيان الثوري وله جناحان اخضران يطير بهما من نخلة الى نخلة وهو يقول
الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال
فقلت عبد الوهاب الوراق قال تركته في بحر من نور في زلالة من نور يزور به
الملك الغفور فقلت له ما فعل بشر فقال لي بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين
يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل جل جلاله مقبل عليه وهو يقول
كل يا من لم ياكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم يتنعم وقيل الامر اذا جوار الصمد
وحوز النعيم بدار الابد فلا يفطرن على شبهة ولا يرقد الليل فمن رقد
فان عرفوه مضاهر ... ولا يظهرن بذلك البلاد ولا يتيسر قيام الليل الا لمن
لم يبت شبعان ولم يتعب نفسه بالنهار واجتنب الاوزار بالنهار فانها تقسي القلب
ويمنع التهجد لا سيما تناول الحرام فكم من لقمة منعت قيام ليلة وكم من
نظرة منعت قراءة سورة ولا يتيسر الا لمن بات سليم القلب عن حقد احد واعتقاد
بدعة

وعن فضول هموم الدنيا ومن استغرق قلبه فضول هموم الدنيا يقال في حقه
وانت اذا استيقظت ايضا فنايم ولا يتيسر الا لمن خاف من الله وقصر امله وتفكر
في اهوال الموت والاخرة ودركات جهنم وحياته وعقاربه واغلاله وانكاله وصديده
وزقومه وزبانيته ويعرف فضل قيام الليل بالايات والاحاديث المذكورة
فيه واشرف البواعث على ذلك محبة الله وقوة الايمان بانه يناجيه وينتظر
للساعة الشريفة المذكورة ويتعرض لنفحات الله فان لله نفحات في الليل والنهار
لا تصيب الا القلوب المتيقظة وتخطي القلوب النايمة واخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقد بين الحكمة في النسخ
وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين
في سبيل الله سوى بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة
على نفسه وعلى عياله والاحسان والافضال عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب
شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله
بمنزلة الشهدا ثم قرا واخرون يضربون الاية وقال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا
تعففا عن المسالة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة
البدر وقال عليه السلام التاجر الصدوق تحشر يوم القيامة مع الصديقين
فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين
لكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
وقيل لسلمان الفارسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنا فقال من استطاع
منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا تموتن تاجرا ولا خاينا
فالجواب ان التجارة اما ان تطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان
طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا للتصرف الى الخيرات والصدقات
بصدق النية خالصا لله وطلبا لمرضاته فهي مذمومة لانها اقبال على الدنيا التي
حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك خاينا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان رضي الله عنه

بقوله

بقوله لا تموتن تاجرا واراد بالتاجر طالب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية
لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسوال او كان يعطى من غير سوال
فالكسب افضل وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية
او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات
او عالم يشتغل بتربية العلم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر
والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم كالسلطان
والقاضي والشاهد فهولاء اذا كانوا يكتفون من الاموال المرصدة للمصالح كالجزية
والزكوة والعشور وبيت المال والاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء او بالهدايا
فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان يكون من التاجرين لانه كان
جامعا لهذه المعاني الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهولاء الاربعة حالتان
اخريان احديهما ان يكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق
به عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سوال فترك الكسب والاشتغال بما هم
فيه اولى اذ فيه اعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم الحالة
الثانية الحاجة الى السوال وهذا في محل النظر والتشديدات التي ذكرت في السوال
عند قوله لا يسالون الناس الحافا تدل ظاهرا الى ان التعفف عن السوال اولى والطلاق
القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير ورب شخص يكثر فايدة الخلق
وفايدته في اشتغاله بالعلم او العمل ويهون عليه بادني تعريض في السوال تحصيل
الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي فيه
القلب وان افتاه المفتي فان الفتاوي لا تحيط بتفاصيل الصور ودقايق الاحوال فقد
كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد في ليلة ومن له ثلثون
وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من قبولهم لخيراتهم
فكان قبولهم لخيراتهم خيرا مضافا الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر
الاخذ كاجر المعطي

مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع
على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل
له من الكسب وتركه بالاضافة الى حاله ووقته وقوله من فضل الله اشارة الى
الكسب الحلال الطيب وما ينال التاجر الى المرتبة المذكورة الا بان يعلم الحلال ويميز
ويعلم شرايط صحة العقد ومفسداته فاقرؤا ما تيسر منه قال ابو القاسم الاسكندري
سمعت اباجعفر بن محمد رضي الله عنهم في هذه الآية قال ما تيسر لكم فيه خشوع القلب
وصفاء السر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد كل شيء
يفعل من الخير وحسنه مراعات النية وابتغاء وجه الله فيه والاتيان على
احسن الوجوه واتمها وهذا تحريض على الخيرات وجميع الاعمال الصالحة
على سبيل اللطف الالهي كيف يطلب منهم الخيرات على وجه الاستقراض
ويسال المولى من العبيد قرضا مع انه غني لا يحتاج الى شيء بل ليعملوا
ويتمتعوا بجزاء اعمالهم في الآخرة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند
الله هو خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل واعظم اجرا من كل ما قدمتموه
لو لم تكونوا قدمتموه واستغفروا الله ان الله غفور رحيم لمن استغفر
وتاب وعمل صالحا واقرض قرضا حسنا وقدم لنفسه خيرا

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر قم فانذر
اي يا لابس الدثار قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فافعل الانذار
وهو اخبار فيه تخويف عن غشيان مكروه اما في ذاته كسكرات الموت
ودواهيه وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير فيه واهوال نفخة
الصور واهوال الحشر وما يغشى اهله وطول يوم القيامة
ودواهيها من المسالة عن الذنوب ووضع الميزان وجريم للخصومة
ورد المظالم والصراط وجهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها
وزقومها وصديدها ومقامعها وسلاسلها وساير المكروهات

والآلام في الدنيا والآخرة واما ان يكون مكروها في ذاته لانه يفضي الى المكروه
كالموت قبل التوبة ونقض التوبة ونكث العهد والتقصير عن الوفاء
بتمام حقوق الله وزوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة والميل
عن الاستقامة واستيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة وان يطله الله
الى حسناته التي اتكل عليها وتعززه بها في عباد الله والبطر بكثرة النعم والاشتغال
عن الله بغير الله والاستدراج بتواتر النعم وانكشاف غوايل طاعاته حيث
يبدو له ما لم يحتسب وتبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش والاضمار
السوء وما لا يدري انه يحدث في بقية عمره وتعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح
قبل الموت والاغترار بزخارف الدنيا واطلاع الله على سريرته في حال
غفلته عنه وخاتمة السوء وغير ذلك والقرآن منذر عن كل ذلك ومخبر عن كل
المخاوف بل الكتب والرسل مخبرون عن تلك المخاوف ومحذرون عنها فانما امره
بالانذار في اول الامر لان المقصود من انزال الكتب وبعثة الرسل هداية الثقلين
الى السعادة الابدية ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه ولا وصول
اليه الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا
تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا تحصل الانس الا بدوام الذكر ولا يتيسر المواظبة
على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا
وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا ينقمع الشهوة بشيء كما ينقمع
بنار الخوف والخوف هو النار المحرقة للشهوات وهو السايق عن المعاصي والحاث
على الطاعات وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة
وقد جمع الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان كما مر في قوله عز وجل
هدى ورحمة للذين هم بربهم يرهبون وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء
وكقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه والخوف شجرته العلم وثمرته
التقوى وقد من فضائلها حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به

خصوص الحمد بالله والصلوات برسوله حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة
للمتقين والصلوة على محمد واله اجمعين وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف
قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وامر الاولين والاخرين بالتقوى قال
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون
ان كنتم مومنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين
لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس
قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس
جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله
اتقاكم فابيتم الا فلان بن فلان اغنى من فلان اليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون
فينصب للقوم لواء ثم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام
راس الحكمة مخافة الله وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير
وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط
وخص التذكر ايضا بالخايفين وقد مر ما فيه من الفضايل قال سيذكر من يخشى
وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني
في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة وقال
عليه السلام من خاف الله خافه كل شي ومن خاف غير الله خوفه الله من كل
شي وقال عليه السلام اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امره الله ونهى
عنه نظرا قال ابو الحسين الضرير علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف
زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن
معاذ من امن الخلق غدا قال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل تستري لا تجد
الخوف حتى تاكل الحلال قيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالس اقوام تخوفوننا
حتى يكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تصحب قوما تخوفونك حتى يدركك امن

خير لك من ان تصحب قوما يومنونك حتى يدركك الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق
الخوف قلبا الا خرب وقالت عايشة قلت يا رسول الله الذين يوتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويخاف ان لا يقبل
منه والتشديدات التي وردت في الامن من مكر الله وعذابه ثناء على الخوف لان مذمة
الشي ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء الياس والقنوط
بل كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل
من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون
بانتظاره راجيا فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال
يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك شاع استعمال احدهما مكان الاخر في كلام العرب
بل كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وقال يبكون ويزيدهم خشوعا وقال افمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك
لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عايشة قلت يا رسول الله ايدخل احد
من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم
ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله
وكان يقول اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل ان تصير
الدموع دما والاضراس جمرا وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله
وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال عبد الله عمرو بن العاص ابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى
حتى ينكسر صلبه وعن كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى
تسيل دموعي على وجهي احب الي من ان اتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله
بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار وقال
صلى الله عليه وسلم ما من مومن تخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب

من خشية الله لم يصيب شيئاً من حر وجهه الا حرم الله عليه النار بل الخايف يحوز
ثواب الصابرين والمجاهدين والمفردين الذاكرين الله كثيرا والمتفكرين
والعارفين والمحبين والراضين بقضايه والمتوكلين وساير المقامات لان
الخوف يبلغ الي كل ذلك المقامات لانه يودي الي الصبر وهو يودي الي المجاهدة
والتجرد لذكر الله والفكر فيه علي الدوام ويودي دوام الفكر الي الانس ودوام الفكر
الي كمال المعرفة ويودي كمال المعرفة والانس الي المحبة ويتبعها مقام الشوق والرضا والتوكل
وساير المقامات وهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام
سوي الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوي الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا
وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام
بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب وقوليه
والثقة بعنايته وهو التوكل ولكل واحد من هذه المقامات حقيقة واقسام وعلامات
لصدقها ووجودها وقد مر في مواضعها والخوف من الله ليس يشار به الي ما يخطر
بالبال من الرعب كاستشعار الانسان الرعب من الاسد وانما يشار به الي ما يقتضيه
الخوف وهو الكف عن المعاصي ولذلك قيل لا تعدن خايفاً من لا يترك الذنب قال تعالي
انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين اي لا تفعلوا
ما يقتضيه الخوف منه وافعلوا ما يقتضيه خوفي في قوله عز وجل وربك فكبر
اي خصص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء ومعناه خصصه بالتعظيم
والطاعة والخوف والطمع ولا تكن اطوع بغيره ولا تخف ولا ترجو غيره فانه
الكبير والمطاع والمرجو المخوف ناصية الخلق بيده فلا يصدنك شي من الانذار
وثيابك فطهر قال ابن عباس معناه لا تلبسها علي معصية ولا علي غدرة وقال
اما سمعت قول غيلان فاني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست
ولا من غدرة اتقنع وقريب من قول ابن عباس قول ابي بن كعب قال
معناه لا تلبسها علي غدرة ولا علي ظلم ولا علي اثم البسها وانت بر طاهر وقال

ابرهيم وقتادة والضحاك والشعبي والزهري ويمان وثيابك فطهر من الذنب
والاثم والمعصية وقال اهل المعاني اراد طهر نفسك عن الذنوب فكني عن
الجسم بالثياب لانه تشتمل عليه كقول عنترة فشققت بالرمح الاصم ثيابه
ليس الكريم علي القنا بمحرم اي نفسه وقال اخر ثياب بني عوف طهارى
نقية اي انفسهم وقال الضحاك فعملك اصلح وهي رواية فضيل بن عياض عن منصور
عن مجاهد وقال سعيد بن جبير وقلبك ونيتك فطهر قال امرء القيس فان تك
قد ساتك مني خليقة فسلي ثيابي عن ثيابك تنسلي اي قلبي من قلبك وقال الحسن
والقرطبي وخلقك فحسن قال الشاعر ويحيي لا يلام بسوء خلق ويحيي طاهر الاثواب
اي حسن الاخلاق وقال عطية عن ابن عباس لا تكن ثيابك التي تلبسها من مكسب
غير طاهر وقيل نق ثيابك فاغسلها بالماء وطهرها من النجاسة وقيل وثيابك
فقصر وشمر وقيل واهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتاديب كقوله عز وجل
قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا
واذا قال يحيي بن معاذ طهر قلبك من مرض الخطايا واشغال الدنيا لتجد حلاوة العبادة
فان القلب المريض لا يجد حلاوة العبادة كما ان الجسم المريض لا يجد شهوة الطعام
وقيل طهر قلبك عما سوي الله والرجز فاهجر اي الدنيا اتركها وقيل اسقط حب
الدنيا عن قلبك فانه راس كل خطيئة قال عليه السلام الدنيا مال من لا مال له ودار
من لا دار له يجمعها من لا عقل له قيل انما قال يجمعها من لا عقل له لانه ما احد فيها
الا في كل حال غرض لاسهم ثلثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية تناضله الافات من
كل جانب فتخطيه يوما ويوما تصيبه قيل لحكيم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما
يغمني فقده وانشد فيه ومن سره ان لا يري ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يبالي به فقدا
وقيل نفسك فخالفها ولا تمنن تستكثر قال ابن كيسان لا تستكثرن عملك
فتراه من نفسك انما عملك منة من الله تعالي عليك اذ جعل لك سبيلا الي عبادته فعليك
بطل الشكر اذ هداك له وقال مجاهد ولا تضعف ان تستكثر من الخير من قولهم حبل

اي ضعيف ويدل عليه قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر وقال قتادة ولا
تعط شيا طمعا لمجازاة الدنيا ومقارضتها وقال اكثر المفسرين ولا تعط شيا
ليعطي اكثر منه قال الضحاك هما ربا آن حلال وحرام فاما الحلال فالهدايا
واما الحرام فالربا ولربك فاصبر اي علي اوامر الله ونواهيه وقيل علي موارد
القضاء لاجل الله وقيل علي البلوى فانه يمتحن احباءه واصفياءه وقال زيد
بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذي يثيبك عليها
وقيل علي اذى المشركين وقيل علي اداء الفرايض وعن النخعي وعلي عطيتك
فاصبر ولا تستكثرها وقيل ولوجه الله فاستعمل الصبر في الامور كلها والتحقيق
فيه ان جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخ من نوعين ما يوافق هواه وما لا
يوافقه والعبد يجب له ان يصبر في كل واحد منهما اذ به لا لخوف مذمة الناس
وحب مدحهم ولا طمعا لما في ايديهم وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين
النوعين او كلاهما فهو اذن لا يستغني عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى
وهو الصحة والسلامة والجاه والمال وكثرة العشيرة واتساع الاسباب
وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر علي
هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك
في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى وقد مر ما ورد فيها من قوله ان الله لا يحب الفرحين
وقوله وفرحوا بالحيوة الدنيا وقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض
وبما كنتم تمرحون وغير ذلك وكون الصبر عليها اوجب شي علي العبد واحوج
حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد في قوله يا ايها الذين
آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقوله ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة
مجبنة محزنة ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل واحد

مستودعة

مستودعة عنده وعسى ان يسترجع علي القرب وهي سحابة صيف عن قليل
تقشع وظل زايل عن قليل تضمحل كما قيل انما الدنيا كظل افرحت من رآها
ساعة ثم انقضت وكما قال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية
وقال عليه السلام من في الدنيا ضيف وما في يده عارية والضيف مرتحل والعارية
مؤداة وانشد وما المال والاهلون الا ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع
وانشد اتلهو بين باطية وزير وانت من الهلاك علي شفير فيا من عمره امل طويل
يداريه الى اجل قصير اتفرح والمنية كل يوم تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فان سرتك يوما فان الحزن عاقبة السرور ستسلب كل ما جمعت فيها
كعارية ترد الى المعير وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو
واللعب وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه
ببذل الصدق وكذلك في ساير ما انعم الله عليه النوع الثاني ما لا يوافق الهوى
والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي واما ما لا يرتبط
باختياره كالمصايب والنوايب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته
كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلاثة اقسام القسم الاول ضربان الاول
الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية
ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهر فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن
فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهر اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو
يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا
من اظهاره فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر
الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فان العبودية شاقة علي النفس
مطلقا ثم العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة
ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر علي الطاعة صبر علي الشدايد ويحتاج
المطيع الى الصبر علي طاعته في ثلاثة احوال الاول قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية

والاخلاص والصبر عن شوايب الريآء ودواعي الآفات وعقد العزم علي الاخلاص
والوفآء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات
الريآء ومكايد النفس ولهذا المعني قدم الصبر علي العمل في قوله الا الذين
صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في اثنآء عمله
ولا يتكاسل في تحقيق آدابه وسننه ويدوم علي شرط الادب الي الآخر فيلازم
الصبر عن دواعي الفتور الي الفراغ وهذا ايضا من شدايد الصبر ولعله المراد بقوله
نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الي تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ
من العمل اذ يحتاج الي الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والريآء والصبر
عن النظر اليه بعين التعجب وكل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالي ولا تبطلوا
اعمالكم وكما قال ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن
والاذي فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الي فرض ونفل وهو يحتاج الي الصبر
عليهما وقد جمعهما الله تعالي في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتآء ذي
القربي فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتآء ذي القربي هي المروة وصلة
الرحم وقد مر وكل ذلك يحتاج الي الصبر الصبر الثاني المعاصي فما احوج العبد الي الصبر
عنها وقد جمع الله انواع المعاصي في قوله وينهي عن الفحشا والمنكر والبغي مر وقال
صلي الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضي
بواعث الهوي واشد انواع الصبر علي المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة
بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الي الشهوات تظاهر جندان
من جنود الشياطين علي جنود الله فلا يقوي باعث الدين علي قمعها ثم ان كان ذلك
الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل علي النفس كالغيبة تعريضا
وتصريحا وانواع المزح الموذي للقلوب وضروب الطمات التي يقصد بها الازدآء
والاستحقار وذكر الموتي والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك
في ظاهره غيبة وفي باطنه ثنآء علي النفس فللنفس فيه شهوتان احديهما نفي الغير والثاني

اثبات

اثبات نفسه وبهما يتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية
ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا يعسر الصبر
عنها حتي بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس
بها ويري الانسان يلبس حريرا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول
النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر ان الغيبة اشد من
الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر علي الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد
فلا ينجيه غيره فالصبر علي الانفراد اهون من الصبر علي السكوت مع المخالطة
واشد من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاف الوساوس فلا جرم يبقي
حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب علي القلب هم آخر
في الدين ليستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فمن لم يشغل الفكر بشي
معين لم يتصور فتور الوسواس القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره
وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول او جني عليه في نفسه او ماله
فالصبر علي ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا فرضا وتارة يكون فضيلة قالت
الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر علي الاذي وقال تعالي
ولنصبرن علي ما آذيتمونا وقال تعالي ودع اذاهم وتوكل علي الله وقال واصبر
علي ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ان تصبروا وتتقوا فان ذلك
من عزم الامور اي تصبروا عن المكافات وقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلي الله عليه وسلم
صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وفي الانجيل قال عيسي عليه السلم
لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لا تقاوموا
السن بالسن بل من ضرب خدك اليمني فحول اليه خدك اليسري ومن
اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه
ميلين وكل ذلك امر بالصبر علي الاذي فالصبر علي اذي الناس من اعلي مراتب

الصبر

لانه غلبة على الشهوة والعضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار
اوله وآخره كالمصايب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض
وعمى العين وفساد الاعضاء وساير انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات
الصبر قال ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه صبر على اداء الفرايض فله
ثلثمائة درجة وصبر على محارم الله وله ستمائة درجة وصبر عند الصدمة
الاولى وله تسعمائة درجة وانما فضل هذه الرتبة مع انها من الفضايل على
قبلها وهي من الفرايض لان كل مومن فيقدر على الصبر عن المحارم فاما
الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه الا ببضاعة اليقين فان ذلك شديد على النفس
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون به علي مصايب الدنيا
فهذا مستنده حسن اليقين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي
ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان
ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب
ما جزاء الحزين يصبر على المصايب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس
الايمان فلا انزعه ابدا وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد
من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت
منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم
انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال صلى الله عليه وسلم من اصيب بمصيبة فقال كما امر
الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها
الا فعل الله ذلك به وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال
جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وكان يقول عمر بن عبد العزيز ١٢٥
في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر
الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزعه منه وقرا انما يوفى الصابرون

اجرهم بغير حساب وروي ان الشبلي رحمة الله عليه حبس في المارستان فدخل عليه جماعة
فقال ما انتم قالوا احباؤك جاؤك زايرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال
لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي
ثم قال ان المحبة للرحمن اسكرني ٭ وهل رايت محبا غير سكراني ٭ وقال
يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم ٭ يا رافع النوم عن جفوني ٭
انت بما مر بي عليم ٭ وتحكي عن امراة فتح الموصلي انها عثرت فانقلع ظفرها
فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع قالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة
وجعه وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك
ولا تذكر مصيبتك وروي عن بعض الصحابة انه قال مررت على سالم مولى حذيفة
في القتلى وبه رمق فقلت اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس
فاني صايم فان عشت الى الليل شربته قال ميسرة رحمة الله عليه غزونا في
بعض الغزوات فصاففنا العدو فاذا بفتى الى جانب واذا هو مقنع في الحديد فحمل
على الميمنة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم انشا يقول احسن بمولاك سعيد ظننا ٭
هذا الذي كنت له تمنى ٭ تنح يا حور الجنان عنا ٭ ما لك قاتلنا ولا قتلنا ٭ لكن الى سيدنا اشتقنا ٭
قد علم السر وما اعلنا ٭ قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فطال
عليه العدو فاذا به قد حمل على الناس وانشا يقول قد كنت ارجو ورجائي لم يخب ٭
ان لا يضيع اليوم كدي والطلب ٭ يا من ملا تلك القصور باللعب ٭ لولاك ما طابت ولا طاب الطرب ٭
فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتطالب عليه العدو فحمل الثالثة
وانشا يقول يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي ٭ ما لك قاتلنا وكفي وارجعي ٭ ثم ارجعي الى الجنان فاسرعي ٭
لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي ٭ قال فحمل فقاتل حتى قتل رحمه الله فاذا هو السعيد الشهيد رحمه الله
فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر
في المصايب وليس الامر الى اختيار فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون
في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام
الصابرين

بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوي واظهار الكآبة في الملبس
والمفرش والمطعم وهذه امور داخلة تحت اختياره فينبغي ان تجتنب جميعها
ويظهر الرضا بقضاء الله ويبقي مستمرا علي عادته ويعتقد ان ذلك وديعة فاسترجعت
كما روي عن ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غايب فقمت فسجيته
في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف
الصبي فقلت باحسن حال الحمد لله فانه لم يكن منذ اشتكي خيرا منه الليلة ثم تصنعت
له احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتي اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من
جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بيسما صنعوا
فقلت هذا ابنك كان عارية من الله وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا
الي رسول الله صلي الله عليه وسلم واخبره فقال اللهم بارك لهم في ليلتهم قال الراوي
فلقد رايت لهم سبعة بعد ذلك في المسجد كلهم قد قروا القرآن وروي جابر انه عليه السلام
قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف من
صاحب المصيبة ولا تخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع
علي الميت فان ذلك مقتضي البشرية ولا يفارق الانسان الي الموت بل ذلك ايضا لا تخرج
عن مقام الرضاء فالمقدم علي الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة
وقد تفيض عيناه اذا اعظم المه ثم اعلم ان للصبر ثلاثة احوال احديها ان ينهي النفس
عن الهوي بالقهر والغلبة عليه فلا يبقي له قوة المنازعة ويدوم عليه وعند هذا يقال
من صبر ظفر فالواصلون الي هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون و
المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية من هؤلاء لازموا الطريق المستقيم
واطمانت نفوسهم علي الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة واياهم ينادي المنادي
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية الثانية ان يغلب الهوي
وسقط المجاهدة معه بالكلية وهي رتبة الغافلين وهم الاكثرون وهم الذين
استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله

وامر من امور الله وهؤلاء الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة الاية مرتخسرت صفقتهم
ونودي لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك
مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامته الغرور وهي غاية الحمق كما قال عليه السلام الاحمق
من اتبع نفسه هواه وتمني علي الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الي التوبة
ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة الي توبتي
وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقايق الحيل
التي بها يتوصل الي قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار
يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله محل من
يقهر مسلما ويسلمه الي الكفار وتجعله اسيرا عندهم لان تفاحش جنايته بسبب انه
سخر ما كان حقه ان يستسخر وسلط من كان حقه ان يسلط عليه وانما استحق المسلم
ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعثه وانما استحق الكافر ان يكون
متسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعثه وحق المسلم علي نفسه اوجب
من حق غيره عليه فمهما سخر المعني الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملايكة
للمعني الخسيس الذي هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده فسلمه الي
ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوي ابغض
اله عبد في الارض عند الله قال عليه السلام ابغض اله عبد في الارض الهوي روي
ابو امامة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ما عبد اله تحت ظل السماء ابغض
الي الله من هوي قال الله تعالي افرايت من اتخذ الهه هواه وقال عليه السلام ثلث مهلكات
شح مطاع وهوي متبع واعجاب المرء بنفسه وقيل هو هوان سرق نونه وهو
اهون شي واحقره والعقل اعز موجود خلق في الارض وقد مر بيانه وسيجي
قال صلي الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالي العقل قال له اقبل فاقبل
ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك
بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب وعن ابن سلام قال رسول الله صلي الله عليه وسلم

بالاماني ثم

من حزب الشياطين العبد بن عبد الله كان من ارق مسلما للكافر بر هو

في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم
من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم
بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل الحديث فمن اشقى ممن جعله مسخرا للهوى
الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين اعني جندي العقل والهوى فهم الملائكة
والشياطين وصاحب هذه الحالة من المجاهدين يعد لا من الكافرين وهو الذي
خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ثم اعلم ان الصبر باعتبار حكمه اربعة
اقسام فرض ونفل ومكروه وحرام فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره
نفل والصبر على اذى المحظور حرام لمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا
ولمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت
على ما يجري على اهله لهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على الاذى يناله بجهة
مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر وقوله عليه السلام الصبر نصف الايمان
لا ينبغي ان تخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوص قوله تعالى
فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الفاء الاول للتسبيب كانه قال اصبر
على القيام للانذار والتصميم من غير دهشة من الكفار وعلى تطهير قلبك وبدنك ونفسك
عن الاخلاق المذمومة وتحسين خلقك واسقاط حب الدنيا عن القلب وعلى اذى
المشركين لاسيما الوليد بن المغيرة المخزومي فبين يديك وايديهم يوم عسير يلقون
فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء الثاني للجزاء ويومئذ ظرف
ليوم عسير على تقدير فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز
وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير
لان يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في انها النفخة الاولى
ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير
خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير على الكافرين طرا وقاطبة غير يسير وانما
قال ذلك ليجمع بين وعيد الوليد بن المغيرة وامثاله اعني الذين كانوا مجدين في

ايذاء

ايذاء النبي عليه السلام والمؤمنين ومعتدين عليهم ومضيقين وزيادة لغيظهم وتسلية
للمؤمنين الذين كانوا منهم في عسر شديد واذى عظيم ويحتمل ان يراد به انه عسير لا يرجى
ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ذرني ومن خلقت وحيدا اي
خلقته في بطن امه فريدا لا مال له ولا ولد له كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وهذا الانذار عام لجميع الكافرين بنعم الله وتعريض للوليد حيث كفر
بنعم الله تعالى واشرك به واستهزأ بدينه وجعلت له مالا ممدودا بالنماء او
مبسوطا كثيرا من الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا عنده حيث كان
يشهدون معه المجامع والمحافل والاحضار والاسفار ومهدت له تمهيدا اي
بسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت له نعمتي الجاه والمال واجتماعهما
هو الكمال عند اهل الدنيا وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ثم يطمع ان ازيد
اي ازيده مالا وتمهيدا وانما جاء بثم استبعادا واستنكارا لطمعه وحرصه وانى له
الزيادة على ما اوتي من جاه ومال كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه فيه انه كان
لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل لانا بلوناه
زمانا كثيرا ومدة مديدة بالبسط والتمهيد فوجدناه كافرا لنعمنا معاندا لآياتنا وكافر
النعم لا يستحق المزيد والشاكر يستحق ذلك كما مر في قوله ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد وفي قوله على الكافرين غير يسير انذار الكافرين بنعم الله
عموما والمنكرين خصوصا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله
وجاهه وولده حتى هلك سارهقه صعودا عن ابي سعيد الخدري قال قال
النبي عليه السلام الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي اليه
كذلك ابدا انه فكر تعليل للوعيد يعني ان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى
والذل بعد العز وبالتفريق عن اولاده وتشتيت امور في الدنيا لكفرانه
لنعم الله وعناده آياته حيث كان يقول ان الجنة لم تخلق الا لي ان كان مخلوقا
كما يقول محمد لاني في الدنيا في طيب عيش وعزة فكذلك اكون في الآخرة ان كان البعث
حقا

ع ص ١٤٠

كما يقول محمد فقال تعالى اعاقبه في الآخرة كما عاقبته في الدنيا لانه فكر اي اعاقبه
في الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه في العناد غايته واقصاه في تكفيره
وتسمية القرآن سحرا فقوله انه فكر الى آخره بدل من قوله انه كان بيانا لكنه عناده
ومعناه فكر ماذا يقول في محمد والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول فيهما
فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر تعجيب وانظار وتوبيخ من تقديره واصابته المحز
الذي يتوقعه قريش ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش فمعنى قتل لعن وقال الزهري
عذب او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به وهي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر
تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتل ما اشجعه
واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو
عليه حاسدا بذلك وسبب نزولها ان الوليد سمع النبي يقرأ القرآن في المسجد
فاستمع لقراءته فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءته
الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى ثم انصرف الى
منزله فقال قريش والله صبا الوليد والله لتصبان قريش كلهم وكان يقال للوليد
ريحانة قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد حزينا الى جنب الوليد
فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي قال وما يمنعني الا احزن وهذه
قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام
محمد وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة وتنال من فضل طعامهم
فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد
واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه
فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال
تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بالشعر قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب

فهل

فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان النبي عليه السلام يسمى امينا قبل
النبوة من صدقه وامانته فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم نظر
ثم عبس وبسر اي كلح فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه فهو ساحر وما يقول فهو سحر يؤثر يروى عن اهل بابل فارتج
النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب
وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وقيل
قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل
قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال
وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما فقال ان هذا الا سحر يؤثر
ان هذا الا قول البشر ومعنى الفاء ان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك
ان ينطق بها من غير تلبث سأصليه سقر من بدل من سأرهقه وما ادريك ما سقر
لا تبقي يعني لا تبقي شيئا فيها الا اكلته واهلكته واذا اهلك لم تذره هالكا حتى يعاد قال الضحاك
اذا اخذت فيهم لم تبق منهم شيئا واذا اعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم ولكل شيء فترة وملالة
الا جهنم قال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما لواحة للبشر اي محرقة قيل تلفح
الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وعن الحسن تلوح
للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين عليها تسعة عشر اي يتسلط على اهلها تسعة
عشر ملكا وروي مرفوعا كان اعينهم البروق وكان افواههم الصياصي يجرون
اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة على رقبته جبل فيرمي
بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم ويحتمل ان يكون تسعة عشر نقيبا ولكل واحد
اعوان كثيرة كما ان ملك الموت اعني عزرائيل ملك واحد وله اعوان كثيرة وهو
بنفسه يقدر على قبض الارواح كلها كذلك خزنة جهنم وان كان تسعة عشر
يقدر على تعذيب اهل جهنم جميعا قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع
بدفعة واحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وما جعلنا اصحاب النار يعني الزبانية
المذكورة

الا ملايكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الانس والجن فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرافة
والرقة ولا يستروحون اليهم لانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فيؤمن هوادتهم ولانهم
اشد الخلق باسًا واقواهم بطشًا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزلت هذه الاية قال
ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم
الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل من خزنة جهنم فقال ابو الاشد
بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم منهم سبعة عشرة عشرة على ظهري
وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين فانزل الله عز وجل وما جعلنا اصحاب النار
الا ملايكة الاية اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم تطاقون ومن ذا يغلب الملايكة
ولم ينج احد من يد ملك واحد وهو ملك الموت ولم يقاومه الجن والانس باجمعهم فكيف
يقاوم رجل واحد سبعة عشر وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا اي ولقد جعلنا
عدتهم عدة من شانها ان يفتتن بها لان حال هذه العدة الناقصة بواحد من عقد
العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزي ولا يذعن
اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة ليستيقن الى اخره اي جعلنا عدتهم تسعة
عشر لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب
لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القران ايقنوا انه منزل
من الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا ساير ما انزل
ولما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك وانما قال ولا يرتاب بعد
قوله ليستيقن ويزداد لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد
لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه
قال وليخالف حالهم حال الشاكين والمرتابين من اهل النفاق الذين ينجمون في مستقبل
الزمان بعد الهجرة ويجوز ان يراد بالمرض مرض الشك لان اكثر الكفار كانوا شاكين في صدقه

وبعضهم

وبعضهم قاطعين بكذبه وبعضهم قاطعين بصدقه ولم يقر واما حسدا واما طمعا
لما كان تحصل لهم من سفلتهم من الادرادات واما حذارا من ملامتهم ومسبتهم كما قال
ابو طالب ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا
ولولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا اليه مبينا وقوله مثلا تمييز لهذا
او حال منه وسموه مثلا استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي شي
اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملايكة تسعة
عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه
لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء
اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدي من
يشاء يعني المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه
المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة
فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا ومعناه
كذلك يضلهم ويهديهم وما يضلهم ويهديهم جبرا وقسرا وما يعلم جنود ربك جموع
ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عدد كامل وبعضها
على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدد وقوة وشكل ولون واله
وسلامة وفعل من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة
في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد
النصب والحدود والكفارات والصلوات وركعاتها وما يعلم ايضا
كثرتها ولا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص
حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وايضا هو جواب لقول ابي جهل ما لرب محمد
اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض
قال الاوزاعي قال موسى عليه السلام يا رب من معك في السماء قال ملايكتي
قال كم عدتهم قال اثني عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب

عن زيد بن اسلم ان الله تعالى بعث ملكا الى نمرود ان آمن بي فاترك
على ملكك فقال نمرود وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال مثل ذلك
فابى عليه ثم اتاه الثالثة فابى عليه وقال لا اعرف الذي تقول ابي لك جنود قال
نعم قال فليقاتلني ان كان لطاقات الملوك يقاتل بعضهم بعضا قال له الملك
نعم ان شئت قال قد شئت قال فاجمع جموعك الى ثلثة ايام حتى ياتيك جنودي قال
فجمع الجبار جموعه فاوحى الله تعالى الى خزنة اصغر جنوده البعوض ان افتحوا
منها بابا ففتحوا بابا من البعوض فلما اصبح في اليوم الثالث نظر نمرود الى
الشمس فقال ما لها لا تطلع فظن انها ابطأت فقال الملك حال دونها جنود ربي قال
فاحاطت بهم البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم تبق منه من الناس والدواب
الا العظام ونمرود وخدامه لم يصبه شيء قال له الملك اتؤمن قال لا فامر الله سبحانه
بعوضة فقرضت شفته السفلى ثم دخلت منخره وصارت في دماغه واكلت
من دماغه حتى صارت مثل الفارة فمكث اربعمائة سنة يضرب راسه
بالمطارق وارحم الناس به من يجمع يديه ثم يضرب بهما راسه فعذبه الله
اربعمائة سنة كما ملك اربعمائة سنة فهذا فعل اضعف جنوده فما ظنك
باقوى جنوده وهم الزبانية قوله وما هي الا ذكرى للبشر متصل بوصف
سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير الايات
التي ذكرت فيها والقمر والليل اذ ادبر اي ولى ذاهبا والصبح اذا اسفر
اي اضاء واقبل انها اي ان سقر مع ما فيه من الزبانية التسعة عشر
وغيرها من حياتها وعقاربها ومقامعها وسلاسلها وزقومها وغسلينها
وضريعها وكل ما اشتمل عليه سقر لاحدى الكبر اي لدواهي العظام
نذيرا للبشر اي انذارا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي
انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتاخر والمراد السبق الى الخير والتخلف عنه وقيل انها بدل من للبشر على

انها

انها منذرة للمطلقين الممكنين المخيرين المختارين الذين ان شاءوا بادروا وسابقوا
الى الاعمال الصالحة التي هي اسباب المغفرة والسعادة الابدية فقدموا ففازوا
وان شاءوا تاخروا فهلكوا وهذا كامن في قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا الآية كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة
بكسبها ماخوذة بعملها من الخير والشر كقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما كسبت وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
الآية وكما في قوله عليه السلام كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها الا اصحاب
اليمين من انهم فكوا عنه رقابهم بما طابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق
عن علي بن ابي طالب هم الاطفال لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها قال ابن كيسان هم
المؤمنون الصالحون ليسوا هم مرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم قال يمان هم الذين
افتكوا رهونهم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن المجرمين
او يتساءلون غيرهم قولهم ما سلككم اي ما ادخلكم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو
حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين
المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى آخر الكلام
جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه ولم نك نطعم المسكين
وكنا نخوض مع الخائضين نخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي من الفعل والقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل
وهو الكلام في حكاية ما يحرم ويكره كالمعاشرة والمجالسة مع البغيات وحكاية احوال
الفساق في فسقهم وتنعم المتنعمين وظلم الظالمين وتكبر المتكبرين وتجبر المتجبرين
وساير الاحوال المذمومة والمكروهة في العامة والخاصة والبدع والمذاهب
الفاسدة والاهواء الجارية باهلها كما يتجارى الكلب بصاحبه والحروب
التي وقع بين الصحابة بالاجتهاد وظن كل واحد انه على الحق دون صاحبه
على وجه الطعن لهم كل ذلك من الخوض في الباطل وقال صلى الله عليه وسلم

ان الرجل ليتكلم بالكلمة ويضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وكنا
نكذب بيوم الدين فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع
دخل النار قيل لا بل دخل بعضهم بترك الصلوة وبعضهم بالبخل وترك الاطعام
وبعضهم بالخوض في الباطل وبعضهم بترك التصديق للقيامة والشك
فيها وبعضهم بالجمع بين الاثنين منها وبعضهم بالجمع بين الثلاثة منها وبعضهم
بالجمع بين الاربعة قال قلت لم يسالون المجرمين عن سبب دخولهم في
النار وهم عالمون قيل اما علي تاويل اصحاب اليمين بالمومنين الصالحين
فالسوال للتوبيخ والتحسير واما علي تاويله بالاطفال فالسوال لعدم علمهم
بموجب دخول النار فان قلت لم اخر التكذيب مع انه اعظم الذنوب
قيل تعظيما له كقوله عز وجل ثم كان من الذين آمنوا حتي اتانا اليقين يعني الموت
به وهو الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لو شفع لهم الشافعون
جميعا من الملايكة والنبيين والعلماء العاملين بعلمهم والشهداء والصالحين
من عامة المومنين لم ينفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط
عليهم قال عبد الله بن مسعود تشفع الملايكة والنبيون والشهداء والصالحون
في جميع المومنين فلا يبقي في النار الا اربعة ثم تلا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين
وكنا نخوض مع الخائضين الي قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة
وهو القرآن وغيره من المواعظ معرضين نصب علي الحال كقولك ما لك معرضا وقيل
صاروا معرضين كانهم حمر مستنفرة وهي الرماة وقيل الاسد وقيل الاصوات
وقيل ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن مواعظ القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم
عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر تهجين لحالهم كقوله كمثل الحمار
الاية وشهادة عليهم بالحماقة وقلة العقل ولا يري مثل نفار حمير الوحش واطرادها في
العدو اذا رابها امر رابت ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة
سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست فيه بقانص بل يريد كل امري منهم

ان يوتي صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا يا محمد ان سرك
ان نتبعك فاتنا بكتاب خاصة عنوانها من رب العالمين الي فلان بن فلان يومر
فيه باتباعك كما مر في قوله لن نومن لك حتي تنزل علينا كتابا نقروه الاية ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس الاية عن ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا
فليصبح عند راس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار قال مطر الوراق
كانوا يريدون ان يوتوا براءة بغير عمل كلا ردع لهم عن تلك الارادة وزجر لهم عن
اقتراح الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء
الصحف كلا ردع عن اعراضهم عن التذكرة انه اي القرآن تذكرة بليغة كافية
وقيل هذا الكلام تعريض لما قال الوليد بن المغيرة انه سحر كانه قال انه تذكرة
بليغة لا يخفي امره لمن تفكر فيه وامعن النظر فيه وليس بسحر فمن شاء ذكره اي
فمن شاء ان يذكره ولا ينساه وجعل نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه وما
يذكرون يعني المشركين الذين ارادوا كتبا منشرة واقترحوا الايات بعد ما راوا منها
كثيرا كشق القمر وتسبيح الحصا في يده وجريان الماء من اصابعه واخباره عن مسراه
وصفة بيت المقدس وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصي من معجزاته كما مر الا ان يشاء الله
يعني ان يقسرهم علي الذكر ويلجيهم اليه لانه مطبوع علي قلوبهم معلوم انهم لا يومنون
اختيارا هو اهل التقوي حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيومنوا ويطيعوا
واهل المغفرة حقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروي انس ان رسول الله صلعم
قال هو اهل ان يتقي واهل ان يغفر لمن اتقاه ويحتمل ان يتعلق باول السورة
ثم فانذر انه تذكرة وليس بسحر كما زعم الوليد وربك فكبر فعظم ولا تكن غيره من ارباب
الاموال والروساء المتهددين بالجاه والمال كبيرا عظيما في عينك بسبب جاههم ومالهم فلا تخف
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر احدا هو اهل التقوي هو حقيق ان يخاف منه
لا غيره ولا ترجو ولا تطمع من احد هو اهل المغفرة والرحمة والاحسان

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم

من حروفها كقوله في بير لا حور سري وما شعر وقد مرّ في قوله لئلا يعلم وان لا
تسجد واليه ذهب سعيد بن جبير وادخال لا النافية على فعل القسم كثير شايع
في كلام العرب واشعارهم نحو لا وابيك ولا ابكر وفايدتها توكيد القسم لا نفي القسم بدل
قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم اذ لو كان نفيًا
ولم يكن تاكيدًا لما قال وانه لقسم لو تعلمون عظيم بعد قوله لا اقسم وقد
مرّ تحقيقه مع اقوال المفسرين واختلافاتهم وحججهم فلا حاجة الى اعادته وقرا
لَاُقسِمُ على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم قالوا
ويعضده انه في الامام بغير الف بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة التي
لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن هي نفس المومن
والله ما تراه الا تلوم نفسه ما اردت بكلامي وما اردت باكلتي وما اردت بشربتي
وماذا اردت بحديث نفسي وان الفاجر يمضي قدمًا ولا تعاتب نفسه قال
ابو بكر الوراق النفس كافرة في وقت منافقة في وقت مرائية على الاحوال كلها هي
كافرة لانها لا تالف الحق ابدًا وهي منافقة لانها لا تفي بالعهد وهي مرائية لانها
لا تحب ان تعمل عملا ولا تخطو خطوة الا لرؤية الخلق فمن كان هذه صفاته
فهي حقيقة بدوام الملامة لها والوعظ والتاديب والتوبيخ فانها متمردة بالطبع
عن الطاعات مستعصية عن العبودة وفي جميع احوالها ميلها الى العاجلة
وان الله قايم على كل نفس بما كسبت رقيب على كل جارحة بما اجترحت مطلع
على ضماير القلوب اذا هجست محاسب على الخواطر اذا اختلجت لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت محاسب على
النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت وانما يحاسبهم
لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت ولتعلم انه لولا لزومها
ملامتها وتوبيخها وتاديبها في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت
وخابت وخسرت قال مجاهد تندم على ما فات وتلوم عليه وتقول لو فعلت

ولو لم افعل وقال الفرآء ليس من نفس برة وفاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت
عملت خيرا قالت هلا ازدت وان كانت سوءًا قالت ليتني لم افعل وقيل هي نفس
ادم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن ولا تتركون سدًا والمعنى نجمعها بعد
تفرقها ورجوعها رميمًا ورفاتًا مختلطًا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها
في اباعد الارض وانما قال ايحسب الانسان لان في نفوس اكثر الناس الذين
يعدون انفسهم من المومنين كفرًا خفيًا وضعفًا في ايمانهم بيوم القيامة وبعظم
قدر الثواب والعقاب وان لم يعرف صاحبه ذلك ولم يصرح به وعلامة ذلك
ان يتوانى في العمل ويعتمد على كرم الله تعالى في حصول الجنة بنعمها وحورها
بغير سعي ولا يعتمد عليه في لقمة من الخبز بلى قادرين على ان نسوي بنانه اي
اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها
بعضها على بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام
بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان
وقال سعيد بن جبير فيقدم الذنب ويوخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى
ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله وقال ابن عباس يكذب بما امامه
من البعث والحساب واصل الفجور الميل ومنه قيل للكاذب والفاسق والكافر
فاجر لميله عن الحق يسال سوال المتعنت والمستبعد لقيام الساعة ايان يوم القيامة
فاذا برق البصر اي لمع من شدة شخوصه قال مقاتل شخص البصر فلا يطرف فيما يرى
من العجايب مما كان يكذب به في الدنيا وقيل تحير فزعًا وخسف القمر اظلم فذهب
ضوءه وجمع الشمس والقمر يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول
الانسان يومئذ اين المفر المهرب كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا حرز ولا حصن
ولا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتحصنت به فهو وزر الى ربك
خاصة يومئذ المستقر اي مستقر العباد وقال يمان المصير والمرجع والمعنى الى حكمه

يرجع امور العباد لا تحكم فيها غيره ينبأ الانسان يومئذ بما قدم قبل موته
من عمل صالح او طالح واخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها
وعن زيد بن اسلم بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلف للورثة قال
ابو عثمان خمس مصايب في الذنب اعظم من الذنب اولها خذلان الله لعبده
حتى عصاه والثانية ان سلبه حلية اوليائه وكساه لباس اعدائه والثالثة
ان اغلق عليه باب رحمته وفتح باب عقوبته والرابعة نظره اليه وهو
يعصيه والخامسة وقوفه بين يديه يعرض عليه ما قدم واخر من فضائحه
فهؤلاء المصايب الخمس في الذنب اعظم من الذنب بل الانسان على نفسه بصيرة حجة
بينة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء لانه شاهد
عليها بما عملت لان جوارحه ينطق بذلك قال عكرمة ومقاتل والطيبي معناه
بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله ويشهدن عليها به وهي
سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجميع جوارحه واهله وولده والتاء في قوله
بصيرة للمبالغة ولو القى معاذيره هي ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه
يعني انه يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه كما قال جل ذكره يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم وقال ولا يؤذن لهم فيعتذرون قال الفراء ولو اعتذر
فعليه من نفسه من يكذب عذره وقال بعض اهل المعاني معنى المعاذير
احالة بعضهم على بعض لا تحرك به لسانك فذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يفتر عن قراءة القرآن مخافة ان ينساه كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن
لم يفرغ جبريل من الآية حتى يقرأ النبي عليه السلام اولها وتحرك لسانها مخافة
ان ينساها فنزلت ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقوله
سنقرئك فلا تنسى هذه الآية لتعجل به اي لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت
منك ثم علل النهي عن العجلة لقوله ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه اي واثبات
قراءته في لسانك حتى تحفظه وتعيه فاذا قراناه عليك جعل قراءة جبريل قراءته

فاتبع قرآنه اي كن مقفيا ما فيه من الاحكام وطا من نفسك انه لا يبقى غير
محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه
وحدوده من الحلال والحرام وغير ذلك كانه كان يعجل في الحفظ والسوال عن المعنى
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه
قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا ايها الانسان لانكم خلقتم من عجل وطبعتم
عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرا اهل المدينة
والكوفة بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره
بذكر القيامة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة
وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة حسنة ناعمة مضيئة مشرقة بالنعيم
الى ربها ناظرة قال الحسن تنظر الى الخالق وحق لها ان تنضر وهي تنظر الى الخالق
قال ابن عباس اكثر الناس ينظر الى ربها عيانا وقال عطية ينظرون الى الله عز وجل
لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره تحيط بهم وهو قوله عز وجل لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار ووجوه يومئذ باسرة الباسرة الشديد العبوس والباسل
اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن اي تتوقع ان يفعل بها فعل
هو في شدته ونهاية فضاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه
الناضرة ان يفعل بها كل خير قال ابن زيد تظن انها ستدخل النار وقيل منكرة من
العذاب وهو ما في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم الآية
بين ههنا حال الفريقين كما بين ثمة كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة يقول ارتدعوا
عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده ينقطع العاجلة عنكم وتنتقلون
الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين اذا بلغت اي النفس التراقي العظام المكتنفة
لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الآخرة
حتى يبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل اي حاضر واصاحبها هل من راق

يقول بعضهم هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه قال قتادة التمسوا له الاطبا
فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقيل يا ايها الناس كونوا من الله على وجل
ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى العاجلة فانها غدارة خداعة
كم من محب لها قتلته ومطمئن اليها خذلته فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها
دار كثرت بوايقها ودمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل
وكثيرها يقل وصاحبها يموت وخيرها ونعيمها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم
وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدوا من
دليل ام هل على الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطبا ولا يرجى لك الشفا ثم يقال
فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه
وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت
ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان
منعت الكلام فلا تنطق ثم حل بك القضا وانتزع نفسك عن الاعضا ثم عرج بها
الى السما فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع
عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك
وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان هذا من قول الملايكة يقول بعضهم لبعض
من يرقى بروحه فيصعد بها ملايكة الرحمة او ملايكة العذاب ايهم يرقى به
وظن اي المحتضر ايقن انه الفراق ان هذا الذي نزل هو فراق الدنيا المحبوبة
والزوجة والاولاد وجميع الاقربا والقرنا وجميع اللذات والتنعمات والاموال
من الخيل والبغال والجواري والعبيد والضياع والجنان والكروم والقصور
وغير ذلك والانتقال من القصور الى القبور ومن ضيا المهود الى ظلمة
اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان
ومن التمتع بالشراب الى التمرغ بالتراب ومن انس العشيرة الى وحشة
الوحدة ومن المضجع الوطي الى المصرع الوبيل فالتراب مضجعه والدود

انيسه

انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره فراق
ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجا من التلاق عن انس بن مالك قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله
بعضها على بعض تقول السلام عليك تفارقني وا فارقك الى يوم القيامة
والتفت الساق بالساق قال الحسن هما ساقاه اذا التفتا في الكفن
وعنه قال ماتت رجلاه ولم تحملاه وكان عليهما جوالا قال سعيد بن جبير تتابعت
عليه الشدايد قال السدي لا يخرج من كرب الا جاءه اشد منه والعرب
لا يذكر الساق الا في المحن والشدايد وقال عطا اجتمع عليه شدة مفارقة
الوطن من الدنيا والاهل والولد وشدة القدوم على ربه لا يدري بما اذا
يقدم عليه وقال يحيى بن معاذ اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره اربعة
املاك واحد عند راسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن
يساره فيقول الذي عند راسه يا ابن ادم ارفضت الاجال ونصبت الامال
ويقول الذي عن يمينه ذهبت الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذي عن يساره
ذهبت الاشغال وبقي الوبال ويقول الذي عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك
من الحلال وكنت مشتغلا بخدمة ذي الجلال الى ربك يومئذ المساق المنتهى والمرجع
يسوق الملايكة الى حيث امرهم الله تعالى فلا صدق ولا صلى اي الانسان في قوله
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الايزي قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى
وهو معطوف على قوله يسال ايان يوم القيامة اي لا يومن بالبعث فلا صدق
ماله ولا زكوة ولا صلى ولكن كذب وتولى وقيل نزلت في ابي جهل ثم ذهب الى اهله
يتمطى يتبختر اولى لك فاولى يعني ويل لك ثم ويل لك لما نزلت هذه الاية اخذ رسول الله
بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحا وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل
اتوعدني يا محمد والله لا تستطيع انت وربك ان يفعلا بي شيئا واني لاعز من مشى بين
جبليها فلما كان يوم بدر اشرف عليهم وقال لا يعبد الله بعد اليوم فصرعه الله شر مصرع

وقتله اسود فقتله سيحي وكان يقول لو علمت ان محمدا رسول الله ما بعث غلاما
من قريش وكان يقول ان الله ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو
جهل ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يومر ولا ينهى يقال اسديت حاجتي
اذا ضيعتها وابل سدى ترعى حيث شاءت بلا راع الم يك نطفة من مني يمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك
الذي فعل هذا بقادر على ان يحيي الموتى اي اليس ذلك الذي انشا هذه الانشاء
بقادر على الاعادة قال براء بن عازب لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحانك بلى وعنه عم من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مومنا به

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من
الدهر هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل فالمعنى اقد اتى على التقدير والتقرير
جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان
شيئا نسيا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني ادم بدليل
قوله انا خلقنا الانسان من نطفة وروي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقرا هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت
وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف وانما قال ذلك خوفا من اهوال يوم القيامة
وروي انه رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا عليه
فكان يعاد اياما انه اخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة لم اك
شيئا مذكورا يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجهه
رضي الله عنه خطان اسودان من الدمع وعن الصديق الاكبر ابي بكر رضي الله عنه
انه راى طايرا فقال ليتني مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا وعن ابي ذر وطلحة
وددت لو اني شجرة تعضد وعن عايشة رضي الله عنها قالت وددت اني كنت
نسيا منسيا وكان ابن ابي ميسرة اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني وقيل
له يا ميسرة ان الله قد احسن اليك وهديك الى الاسلام قال اجل ولكن الله قد بين لنا

انا واردوا النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وانما قالوا ذلك خوفا من اليم عقاب الله
نعوذ بالله منه ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب
وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت
علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا
ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا ولا استماع محاوف القران تخوفنا فكيف
لا يخاف المومنون كلهم المطيعون والعاصون وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة
هود واخواتها وسورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون قال العلماء لعل ذلك
ما في سورة هود من الابعاد الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود او قوله
فاستقم كما امرت ومن تاب معك الاية وفي سورة الواقعة وفي سورة التكوير اهوال القيامة
وانكشاف الخاتمة وهو قوله ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة خافضة قوما كانوا
مرفوعين في الدنيا رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا وقوله واذا الجحيم سعرت
واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن الاية والقران
من اوله الى اخره مخاوف ولو لم يكن الا قوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد
عن احادها واشد منه قوله فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان
يكون من المفلحين وقوله ليسال الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم
ايها الثقلان وقوله افامنوا مكر الله وقوله وكذلك اخذ ربك الاية وقوله
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله
وان منكم الا واردها الاية وقوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير وقوله من
كان يريد حرث الاخرة الاية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقد مر
ذكر كله وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخره فهذه اربعة شروط الخلاص

من الخسران وانما كان خوف النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يامن مكر الله
فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وكيف يامن من سمع قصة آدم عليه السلام
وقصة ابليس مع كونهما مقربين عند الله في دار السلام امنين وقد اصاب
ما اصابهما مرة فنسال الله تعالى ان يتداركنا بفضله وجوده احوالنا فيصلحها
ان كان تحريك اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجايب
انا اذا ردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا والجرنا وركبنا البحار والبراري
وخاطرنا وان اردنا رتبة بالعلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا
ونجتهد في طلب قواتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا ونقول
اللهم ارزقنا اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدايم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا
اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اغترارنا ينادينا ويقول
وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور وغير ذلكم ثم كل ذلك
لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا واما نيتنا فما هذه الا محنة هايلة ان
لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله ان يتوب
علينا بل نساله ان يسوق الى التوبة سراير قلوبنا وان لا تجعل حركة اللسان
سوال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا
الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصيناه فلا علامة للخذلان اعظم من هذا
فنسال الله ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله قال عون بن مالك قرا
رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
فقال الا ليت ذلك لم يكن انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج اي من نطفة قد امتزج فيها
مني الرجل ومني المرأة قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والربيع يعني ماء الرجل وماء
المرأة تختلطان في الرحم فيكون منهما جميعا الولد وماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة
اصفر رقيق فايهما علا ماء صاحبه كان الشبه به وقال ابن مسعود هي العروق
التي تكون في النطفة وقال الحسن رحمه الله خلقت من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة

فاذا حبلت ارتفع الحيض وقال قتادة يعني الموار الخلقة نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشيه خلقا آخر وقال الضحاك اراد اختلاف الوان النطفة
نبتليه في الحال اي خلقنا مبتلين له يعني مريدين ابتلاه اي اختباره بالامر والنهي
عن السلمي عن عثمان المغربي قال سيلت وانا بمكة عن قول الله تعالى امشاج
نبتليه فقلت ابتلى الله الخلق بتسعة امشاج ثلث مفتنات وثلث كافرات وثلث
مومنات فاما الثلث المفتنات فسمعه وبصره ولسانه واما الثلث الكافرات
فنفسه وهواه وشيطانه واما الثلث المومنات فعقله وروحه وملكه واستاثرت
النفس الهوى فلم تجد الى الحركة سبيلا فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل
وصارت كلمة الله هي العليا فاتلوهم حتى لا تكون فتنة انا هديناه السبيل اي بينا له سبيل
الحق والباطل والهدى والضلالة والخير والشر وما ينفعه ويضره واعلم ان الله تعالى ذكر
في سورة القيامة تكبر الانسان عن الحق ومنازعته مع الله في رداء الكبرياء
واستعصاءه عن العبودية وكبره وعجبه ثم بين انه لا يليق له ذلك لانه من
اخس الاشياء واقذرها وهي النطفة من مني يمنى وذكر ايضا في هذه
السورة انه من اخس الاشياء بابلغ وجه مما قبله ليعلم انه لا يليق له الا العبودية
والتواضع ويعرف قدره ولا يتجاوز عن حده في جميع احواله وان الكبرياء
لا يليق الا لله كما قال جل ذكره الكبرياء ردائي الحديث فقال هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فليتدبر لبيفهم معنى الاية اما اوله فهو
انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم واي شيء اخس واذل من
المحو والعدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها ان خلقه
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا
العظام لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا
فما صار شيئا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم
تخلق في ابتدايه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس

العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته

ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حيوته وبضعفه
قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل
نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى
قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل اي احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان
اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له
الاعضاء بما فيها من العجايب والايات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه
بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره
وانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى
هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا
بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد
الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر كان من ذاته لا شي واي شي
اخس من لا شي واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه
من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرف خسة ذاته
فيعرف بها نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته
وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه والانسان على التحقيق اخس
الاخساء واضعف الضعفاء نعم ولو اكمله وفوضه اليه امره وادام له الوجود
باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده
الامراض الهايلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبايع المتضادة
من المرة والبلغم والريح والدم تهدم البعض من اجزايه البعض شاء ام ابى
سخط ام رضي فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك
لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشي فيجهله ويريد ان يذكر الشي
فينساه

ويريد ان ينسى الشي ويغفل عنه فلا يغفل ويريد ان ينصرف قلبه الى ما يهمه فيجول
في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه
ويشتهي الشي وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشي ويكون حيوته فيه يستلذ
الاطعمة وتهلكه فترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة
من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره ويفلج اعضاوه ويختلس عقله ويختطف
روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف
فني عبد مملوك لا يقدر على شي من نفسه وغيره فاي شي اذل منه لو عرف نفسه واني يليق
له الكبر لولا جهله فهذا وسط احواله فلينظر اوله واما اخره ومورده يجي فهو الموت
المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره بعد قوله قتل الانسان ما اكفره من اي
شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه
وبصره وعلمه وقدرته وحسه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل
اعضايه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة
كما في الاول نطفة مذرة ثم يبلى اعضاوه وتتفتت اجزاوه وتنخر عظامه فيصير رميما
ورفاتا وياكل الدود اجزاه فيبتدي بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وساير
اجزايه فيصير روثا في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره
كل انسان ويهرب منه لشدة الانتنان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير
ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر منه البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا
وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان في اول مرة امدا مديدا وليته بقي
كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدايد البلا
فيخرج من قبره بعد جمع اجزايه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر
الى قيامة قايمة وسما ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة
ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملايكة غلاظ شداد وجحيم
تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال لها

اقرا كتابك فيقال كان قد وكل بك في حيوتك التي تفرح بها و تتكبر بنعيمها و تفتخر باسبابها
ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل او كثير ونقير وقطمير
واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله تعالى فهلم الى
الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول
هذه الخصال قبل ان تنشر الصحيفة ويشاهد فيه من مخازيه فاذا شاهدها
قال يا ويلتاه ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر
امره وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره بعد قوله ثم اماته فاقبره فما لمن
هذه حاله وللكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر
له اول حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا
او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان
كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ كانت اوله
التراب واخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والطلب والخنزير
لا يهرب منه الخلق ولو راوا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقه
وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنها ولو وقعت قطرة من شرابه الذي
يسقى به في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيف فمن كان هذا حاله في العاقبة فكيف
يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق
به العقوبة ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن
وهو ينتظر ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق
وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على
من في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة
من الله ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا واشفاقا ومهانة
وذلا ومن هذا اول حاله واوسطها واخرها كيف تحب قيام الناس له او بين
يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار

فلينظر

فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته
او كيف تحب ان يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد بعدا ما مشي خلفه وكان
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة
وكان صلى الله عليه وسلم يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما لتعليم
غيره او لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب او كيف تحب ان يزار ولا يزور
وان كان تحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو التكبر روي ان سفيان الثوري
قدم الرملة فبعث ابرهيم بن ادهم اليه ان تعالى تحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا
اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه او كيف يستنكف
من جلوس غيره بالقرب منه الان تجلس بين يديه قال ابو وهب جلست الى
عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي وجرني
الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما يفعلون بالجبابرة واني لا اعرف رجلا شرا
مني قال انس كان الوليدة من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا ينزع يده منها حتى تذهب حيث شاءت او كيف يتحاشى من مجالسة المرضى
والمعلولين وهو كبر دخل رجل وعليه جدري على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده اصحابه ياكلون فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه او كيف لا يتعاطى
بيده شغلا في بيته وهو الكبر روي عن عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب
فكاد السراج ينطفئ فقال الضيف اقوم الى المصباح واصلحه فقال ليس من
كرم الرجل ان يستعمل ضيفه قال فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ
البطة وملا المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين
قال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا
او كيف يجتنب عن حمل متاع الى بيته وهو عادة المتكبرين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله

وقال ثابت بن مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق تحمل حزمة حطب وهو
يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن ابن بنانة
قال كاني انظر الي عمر معلقا الحمه في يده اليسرى وفي يده اليمني الدرة يدور
في الاسواق حتي دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا اشتري لحما بدرهم
فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين قال ابو العيال احق
ان تحمل او كيف يلبس الثياب النفيسة والفاخرة وهو يورث الكبر
وقد قال النبي عليه السلام البذاذة من الايمان اراد به الدون من اللباس
وكان علي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها
من ادم وعوتب علي رضي الله عنه فقال يقتدي به المؤمن وتخشع له القلب
وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال نبينا صلي الله عليه وسلم
من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء وجهه كان حقا
علي الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام
جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا عليه السلام عن الجمال في الثياب
هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمض الناس فكيف طريق الجمع
بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في
حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم
وهو الذي عرفه من حال ثابت بن قيس بن شماس اذ قال اني امرؤ احب الجمال
فعرفه ان ميله الي النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر علي غيره فانه ليس
من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون من التكبر كما ان الرضاء بالثياب
الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه
الناس ولم يبال اذا انفرد بنفسه كيف وعلامة طالب الجمال ان تحب
الجمال في كل شيء يكون ولو في خلوته حتي في ستور بيته في داره فذلك ليس
من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام علي بعض

الاحوال علي ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقوله نبينا عليه السلام
انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان يوجبه ثم يكون هو موروثا للكبر
وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب هو الوسط في اللباس الذي لا
يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلي الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا
وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله تحب ان يري اثر نعمته علي عبده
وقال بكر بن المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب
بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وكذلك قول عيسى عليه السلام ما لكم
تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذياب الضواري البسوا ثياب الملوك واليتوا
قلوبكم بالخشية قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما تري فما احدث
الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب
لله والبس لله وكل شيء دخله زهو او مباهاة او رياء وسمعة فهو معصية
وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعالج
في بيته كان يعلف الناضح ويعتقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل
ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعياه ويشتري الشيء من السوق
ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الي اهله ويصافح
الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا علي كل من استقبله من صغير
او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة
لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحتقر ما دعي
اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يدفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة
لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك
محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد
من غير سرف رحيم لكل ذي قربي ومسلم رقيق القلب دايم الاطراق لم يتجشا
قط من شبع ولم يمد يده الي طمع قال ابن ابو سلمة فدخلت علي عايشة ام المؤمنين

فحدثتها طلبها عن ابي سعيد الخدري فقالت ما اخطا له حرفا ولقد قصر وما
اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى
وكانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغني وان كان ليظل جايعا يلتوي ليلته
حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شا ان يسال ربه فيؤتي بكنوز
الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت
رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفدا لو تبلغت
من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي
العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا
على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا
في الاخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عايشة
فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله فمن طلب ان لا يحشر مع المتكبرين
فليقتد به ومن راي نفسه فوق محمد عليه السلام ولم يرض لنفسه بما رضي لنفسه
فما اشد جهله ولقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة
الا في الاقتدا به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز
في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام قال ابو الدردا ان لله عبادا يقال
لهم الابدال خلفا عن الانبيا هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما
من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا كثرة صلوة ولا حسن حلية
لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغا
مرضات الله بصبر قوي بغير تحبين وتواضع من غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله
واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم خليل الرحمن
لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون
شيا ولا يوذونه ولا يحتقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا

اي ولا يتفاخرون

يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخا
وسجيتهم بشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن
مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يدركهم الرياح العواصف ولا
الخيل المجراة قلوبهم يصعد الى الله ارتياحا واشتياقا اولئك حزب الله وحزب الله
هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدردا ما سمعت بصفة اشد من هذه الصفة
وكيف لي ان ابلغها قال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك
اذا بغضت الدنيا اقبلت على حب الاخرة وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر
ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد والتنفيه
بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وقال عيسى عليه السلام لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب قال بحق
اقول لكم لا ينبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى
في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى يروى عن استاذ الجنيد
وهو ابن الكرنبي ان رجلا دعى ثلث مرات الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع
اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على
الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود
ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت او كيف يتكبر من نفسه من اصله البعيد
يوطي بالاقدام واصله القريب يغسل منه الابدان او كيف يتكبر بجماله وحسنه
من وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط
في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته
والصنان تحت ابطه يغسل الغايط في كل يوم مرتين يتردد الى الخلا كل يوم مرتين
ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل
ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حاله وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة
الصور التي ذكرنا من النطفة ودم الحيض واخرج من مخرج الاقذار خرج من صلب

قال يحيى بن معاذ ... يخرج من عند الله وطلب مرضاته ... التلذذ ون ...

رضت نفسي

اي صنعت الثدي

ثم من الذكر مجري البول ثم من الرحم بتنفيض الدم ثم خرج من مخرج القذر هذا
اوله واوسطه ولو ترك نفسه في حيوته يوما لم يتعهد بالتنظيف والغسل
اثارت منه الانتان والاقذار فصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي
لا يتعهد انفسها ولقد خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة
اقذر من ساير الاقذار وكيف يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون
الازهار في البوادي بينما هو كذلك اذ صار هو هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان
جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا فطان تجب ان لا يتكبر علي القبيح اذ لم يكن
قبح القبيح اليه فيتقيه ولا كان جماله اليه فيحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو
في حال يتصور ان يزول بمرض وجدري وقرحة وسبب من الاسباب
فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب او كيف يتكبر بقوته مع ما سلط
عليه من العلل والامراض ولو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل
عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة
لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته او شوكة لو دخلت رجله لاعجزته
وان حم يوما تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم
بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر لقوته ثم غاية
ما في الباب ان يكون اقوي من انسان فلا يكون اقوي من حمار او بقر او فيل
او جمل واي افتخار في صفة تسبقك البهايم اليها او كيف يتكبر بيساره واموال
فانه لو تامل لراي في اليهود من يزيد عليه في الغني والثروة والتجمل فاف
لشرف يسبقك اليهود به واف لشرف ياخذه السارق او قاطع الطريق
في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا ولو مات فرسه وانهدمت داره
او ابق غلمانه لعاد ذليلا ولو عزله السلطان عن منصبه وولايته
كان اذل الخلق وهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه
دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال والتفاخر به غاية الجهل وكلها
مزابل

غلمانه بيان

ليس

ليس هو

اليك فليس لك شيء من هذه الامور ليس اليك بل هي الي واهبه ان ابقاه بقي
وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا يقدر علي شيء وكيف يعجب بنفسه
ويتكبر ومثاله ان يفتخر العاقل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله
وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند
حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابواه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم
فياخذه وياخذ جميع ما في يديه ليعرف ان له مالك ثم نظر العبد فراي نفسه
محبوسا في منزل احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو من كل حال
علي وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا
في الخلاص البتة افتري ان من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته
وجماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير بنفسه فانه يري
نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات
وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك
فمن هذا حاله كيف يتكبر بقدرته وقوته وجماله وغير ذلك او كيف يتكبر بعلمه
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتي بالعالم يوم القيامة فيلقي
في النار فتندلق اقتابه فتدور به كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار
فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهي عن الشر وآتيه وقال
صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليجاري به العلماء او ليماري به السفهاء او
ليصرف وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقال من تعلم علما مما يبتغي به
وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة
يعني ريحها وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت
به اي بالكتاب والسنة وقال صلى الله عليه وسلم ما من نبي بعثه الله في امته قبلي
الا كان له من امته حواريون واصحاب ياخذون بسنته ويقتدون بامره
ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس من الايمان وراء ذلك حبة خردل اراد به العلماء الذين لا يعملون بالكتاب والسنة وقال صلى الله عليه وسلم ان اول ما يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال رجل جريء فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرا القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرات القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان تنفق فيه الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه ثم القي في النار قيل يا رسول الله اي الناس شر قال العلماء اذا فسدوا وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه مقيت في السماء والارض وقال بلال بن سعد ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقته هذا احق بالمقت من ذلك الشرطي وانما قالوا ذلك لان العلم عبادة ومهما قصد عباد الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا قصد العبد بالعلم او العمل غير الله قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي مثاله ان تقوم قدام ملك طول النهار كما جرت عادة الخدمة ويكون قيامك لملاحظة جارية او غلام فان هذا يكون استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصدت عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه

ظن

ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ اثره على مالك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه الله الشرك الاصغر ولقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء شريعة موسى ع وقال في بلعم بن باعور واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم بن باعور كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء اتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم عمل بكل ما علم ولم يترك العمل ببعض ما علم مرة فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم تارك العمل بعلمه حريص على الدنيا طالب شهرة ورياسة متبع الشهوات يشتهي في الآخرة ان يكون جاهلا والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان يكون من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون العالم عند نفسه اكبر من الصحابة وكان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي وبعضهم يقول يا ليتني كنت تبنة وبعضهم يقول يا ليتني كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة وكانوا يرون انفسهم اسوء حالا من الطير والتراب ومثاله عبد امره سيده باموره فشرع فيها واخطا النقصان في بعضها وترك بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما ترتضيه مولاه ام لا فاخبره ان مولاه مرسل اليه رسولا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة

وقد علم ان سيده قد فعل بطوايف من عبيده مثل ذلك وعفى عن بعضهم وهو
لا يدري انه من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل
وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق على رجاء
ان يكون هو من شفعايه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيع
من اوامر ربه بالجنايات والاثام على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء
والحسد والعجب والنفاق وغيره وكيف يتكبر معرفته ان الكبر لا يليق الا بالله
وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيظا وقد احب الله منه ان يتواضع
وقال الله انه انك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك
فلا بد وان يكلف نفسه ما تحب مولاه فينبغي ان يزول التكبر عن قلب العالم وان
كان مستيقنا انه لا ذنب له مثلا ان امكن ذلك ولهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا
ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله تعالى بان يستصغروا انفسهم
حتى يعظم عند الله محلهم كما قال جل ذكره الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
في واحد منهما القيته في جهنم وقال عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
في الارض علوا ولا فسادا الاية وقال وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى فبيس مثوى المتكبرين وقال تعالى ساصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر الاية وغير ذلك مما مر وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله
بن عمرو وعبد الله بن عمر على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو بكى قالوا ما يبكيك يا ابا عبد
الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو وزعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه
وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخل فيّ الا ضعفاء الناس وسقطاهم وعجزتهم

فقال

فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما
انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحد منكما ملاها وعن ثابت قيل يا رسول الله
ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال صلى الله عليه وسلم اغبط اوليائي
عندي المومن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلوة احسن عبادة ربه واطاعه
في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فاصبر
على ذلك ثم نقر بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وقال صلى الله عليه وسلم
يحشر المتكبرون في امثال الذر تطؤهم الرجال صور الرجال يعلوهم كل شي من الصغار ثم يساقون
الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة
اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون
يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله وعن محمد بن واسع قال
دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال
ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون
ويطبق عليهم وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل
متكبر وقال الحسن العجب لابن ادم يغسل الخرء كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار
السموات وسيل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا تنفع معها الحسنة فقال الكبر
وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصاليا وفخوخا وان فصالي الشيطان
وفخوخه البطر بانعم الله والفخر بما اعطاه الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى
في غير ذات الله وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه
وقال يقول الله تعالى ابن ادم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى
اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت
حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم

من تعاظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وعن ابي بكر
الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه بعضهام
جباب قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يتبختر اذ نظر
اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر
في عطفيه اي حميق بن حميق تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير
المأخوذ بامر الله فيها ولا المودي حق الله منها في كل عضو من اعضائه لله نعمة و
للشيطان به لعنة فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما
سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن
تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال ابن آدم
معجب بشبابه معجب بجماله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك
ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم وراى محمد ابن واسع ولده
يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك
فلا كثر الله مثله في المسلمين وراى ابن عمر رجلا يجر رداءه فقال ان للشياطين
اخوانا فكررها مرتين او ثلثا وراى مطرف بن عبد الله الشخير المهلب وهو
يتبختر في جبة فقال يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب
اما تعرفني قال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل
بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك فان قلت كيف يتواضع العالم
للفاسق الظاهر الفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد
وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يجب عليه ان يخطر
بباله خطر العالم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم
ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان
يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا
العالم ويرتكب بالمعاصي ويقوده شهوته ابن شاءت او يتكلم بالالفاظ

التي

مطلب المهم تفكر في الخاتمة

التي توجب الكفر عالما به او غير عالم على سبيل الجد او الهزل فيموت عليه والعياذ
بالله او اشتغل بعلم الكلام واستمع الى اقوال المبتدعة وتمكن قول بعض المبتدعة
في قلبه واستقر فمات عليه والعياذ بالله او شك في بعض ما جاء به النبي عليه السلام
بسبب استماع اقوالهم وحججهم الباطلة فمات عليه والعياذ بالله فان الايمان لا يجتمع
مع الشك لان احد اركانه التصديق بالجنان بجميع ما جاء به النبي والتصديق
هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع او كان في ايمانه ضعف ثم استولى
حب الدنيا على قلبه فمهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا
فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر
له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع
الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا تزال
يطفي ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى تصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت
ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب
الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله
فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه
من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا
ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك
الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك الحالة التي خطرت فيها تلك
الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا وقد مر في تفسير قوله تعالى قل
ان كان آباؤكم الآية الى قوله بامره اسباب سوء الخاتمة فان لها اسبابا كثيرة فكيف يتكبر
العالم على احد من ذلك كله والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى
رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه
قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين
الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة فاذا حق
العبد ان لا يتكبر على احد

بل ينظر الي جاهل قال انه عصي بجهل وانا عصيت بعلم فهو اعذر مني وان
نظر الي عالم فيقول انه قد علم مالم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الي من
هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الي مبتدع
او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام والاعمال الصالحة الخالصة
لله تعالي ويختم لي بما هو عليه من المعاصي الظاهرة والباطنة والعقايد الباطلة
فليس دوام الهداية الي فملاحظة اواخر الاعمار والاعمال وخواتيمها يمكن نفي الكبر
عن النفس ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق كل
انسان ان يكون مصروف الهم الي نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته
لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان
علي نفسه فاذا احبس جماعة في جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا
للتكبر بعضهم علي بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه من الالتفات
الي هم غيره فان قلت ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما
ثم مع ذلك تواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس علي
اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال
بالعلم والورع فكم عابد جاهل وعالم مغرور اذا راي فاسقا جلس بجنبه ازعجه
من عنده وتنزه عنه لكبر باطن في نفسه وهو ظان انه غضب لله كما مر
في عابد بني اسرائيل مع خليعهم لان الكبر علي المطيع ظاهر كونه شرا والحذر
منه ممكن والكبر علي الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان
ايضا يتكبر علي من غضب عليه والمتكبر يغضب احدهما يثمر الاخر ويوجبه
وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من
هذا ان يكون الحاضر علي قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما
بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الي ما سبق من
ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك الثاني ان يكون ملاحظتك

لما انت

لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالي
عليك فله المنة فيه لا لك فتري ذلك منة حتي لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر
والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته واخر عمرك وعمره وانه ربما
يختم لك بالسوء ويختم له بالحسني وربما تصير ضالا عاصيا فاسقا مشتغلا
بالمعاصي والفجور من الزنا وشرب الخمر واكل الحرام والرشي والتقرب
بالظلمة وغير ذلك في اواخر عمرك ويصير هاديا مهتديا صالحا متورعا زاهدا
مشتغلا بالاعمال الصالحة والخالصة لله تعالي في اخر عمره حتي يشغلك الخوف
عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فنقول لمولاك وسيدك
اذ امرك ان تغضب وانت في غضبك لا تري نفسك ناجيا وصاحبك هالكا
بل يكون خوفك علي نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه
مع الجهل بالعاقبة والخاتمة ونذكر لذلك مثالا لتعلم انه ليس من ضرورة
الغضب لله ان تتكبر علي المغضوب عليه وتري قدرك فوق قدره فنقول اذا
كان للملك غلام وولد هو في رعايته وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان
يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام
مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راي ولده قد اساء الادب
وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه
ولانه جري من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه
بل هو متواضع له يري قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز
لا محالة من الغلام فكذلك يمكنك ان تنظر الي المبتدع والفاسق وتظن انه ربما
يصير في اخر عمره زاهدا صالحا وتصير حريصا متبعا لهواك عاصيا فاسقا
في اخر عمرك فيختم له بالحسني ولك بالسوء ويكون عند الله قدره اعظم من قدرك
وانت غافل عنه ومع ذلك تغضب محبة لمولاك اذ جري ما يكرهه فهكذا يكون
بعض العلماء والاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر

تغضب صح

ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة فهذه سبيل التواضع لمن عصي الله
او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر للعالم وغيره فان الكبر
فتنة عظيمة للعالم قل من ينجو من هذه الفتنة من العلماء واهل الورع والعبادة
وسبيل العباد في ان يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو ان من يتقدم عليه
بالعلم لاينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العالم وقد قال تعالى
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون وقال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم علي العابد كفضلي علي ادني رجل من اصحابي الي غير ذلك فان قال
العابد ذلك عالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما يمكن ان يتوب ويعمل
بعلمه وان لايترك علمه حتي يعمل به ويزيد له خشية وتجعله من المتقين
فان قلت فينبغي ان يكون للعالم ان يري نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام
فضل العالم علي العابد الحديث فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره
وخاتمة الامر مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد
من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان تحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد
مقته به واذا كان هذا ممكنا كان علي نفسه خايفا فاذن كل واحد من العالم والعابد
خايف علي نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه
في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال هذا حال
العابد علي العالم فاما غير العالم فهم منقسمون في حقه الي مستورين والي
مكشوفين فينبغي ان لايتكبر علي المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة
واشد منه حبا لله وحياء واما المكشوف فان لم يظهر لك من الذنوب الا ما
يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا ينبغي ان تقول هو
اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لاتقدر علي احصايها حتي
تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد لو كان ايت منه القتل والشرب والزنا
ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والريآء والغل

واعتقاد

واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل الخطآء فيه كل ذلك شديد
عند الله فربما جري عليك في باطنك من خطايا الذنوب ما صرت به عند الله
ممقوت ويمكن ان يكون الفاسق الظاهر الفسق بريا منها فهذا كله ممكن والامكان
البعيد ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا علي نفسك فلا تتفكر فيما
هو ممكن لغيرك بل هو محقق عندك فانه لاتزر وازرة وزر اخري وعذاب
غيرك لايخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل
شاغل عن التكبر وعن ان تري نفسك فوق غيرك وقال وهب بن منبه قدس
ما تم عقل عبد حتي يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتي بلغ العاشرة
فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده بها علا ذكره ان يري الناس كلهم
خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان ففرقة هي افضل منه وارفع وفرقة
هي شر منه وادني وهو يتواضع للفريقين جميعا بقلبه ان يري من هو خير
منه كبره وتمني ان يلحق به وان راي من هو شر منه قال لعل هذا ينجو
واهلك ولعل شر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه
وبين الله ويرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ويري ظاهره
فيقول لا نامن فيما ظهر من الطاعة ان يكون دخلها الافات من دقايق الريآء
وملاحظة القلب للخلق فيها فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل
زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يضل في آخر عمره ويعصي الله ويتبع
شهواته ولاينهي نفسه عن هواه ويوثر الحيوة الدنيا فيحرم من الجنة ويكون
الجحيم ماواه ويموت مريدا حرث الدنيا وما له في الآخرة من نصيب وخلاق
فيختم له بالسوء فما له سبيل الي ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف
راي كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا آوي الي
جبل فقيل له في النوم ايت فلان الاسكاف فسله ان يدعو لك فساله عن عمله
فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه

فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتي في النوم
ثانيًا فقال ائت الاسكاف فقل له ما هذا الصفاء بوجهك فاتاه فسأله قال
ما رايت احدًا من الناس الا وقع في قلبي انه سينجو واهلك انا فقال العابد لهذه
والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة ما مر من قوله تعالى الذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقوله
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقوله انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ومن
وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدوب
بالاشفاق بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون
فمتى زال الاشفاق والحذر من العاقبة غلب الامن من مكر الله تعالى فذلك
يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل
الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر
اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فبهذا يزال داء الكبر
عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي البراءة
من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن
هذا ينبغي ان لا يكتفي في ازالته بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يطل العمل ويجرب في مواقع
هيجان النفس ويمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن
وان كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول يناظر في مسئلة مع واحد من
اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف
به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرًا
دفينًا فليتق الله فيه واشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه
خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان
يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء
ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت

لم وقد

له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا عما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها
فينبغي ان يشكر من دله عليها وهكذا كانت عادات الصحابة حتى ردت امرأة على
عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت
امرأة واخطأ رجل وسئل رجل عليًا فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين
ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك
ابن مسعود رضي الله عنه على ابي موسى الاشعري وكان امير الكوفة فقال ابو موسى
لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم فاذا واظب على ذكر مرات متوالية صار
ذلك طبعًا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على
اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملاء فليس فيه
كبر وانما فيه رياء فيداوي قلبه عنه بما ذكرناه في تفسير قوله تعالى كالذي ينفق
ماله رئاء الناس وبما سيجيء وان ثقل عليه في الخلوة والملاء جميعًا ففيه الكبر
والرياء جميعًا فليداو قلبه عن كلي الدائين فانهما جميعا مهلكان كما مر في قوله تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم وكما سيجيء في قوله تعالى قد افلح من زكيها الامتحان
الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي
خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك فهو متكبر فليواظب عليه
تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا الشيطان مكيدة وهو
ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن
ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون
انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا
بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج
الكبر من الباطن الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق
في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم
الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل

باذن الله بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من الامور التي تزيل الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقايه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل عليه ذلك مع خلو الطرق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعللها المهلكة ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها كما مر في قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم وروي عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وروي عن عمر بن الخطاب قد حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المومنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها وقد مر معنى العجب والادلال وكونهما محبطا للعمل

الامتحان الخامس ان يلبس ثياب البذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملاء رياء وفي الخلوة كبر فان قلت ما بال بعض الناس يزدادون بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببان احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه فهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والعروض والنحو والصرف وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها امتلا كبرا ونفاقا وهذه بان يسمى صناعات اولى من ان يسمى علوما بل العلم معرفة العبودية والربوبية وطرق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الباطن ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلة خبيثا فلم تطب ثمرته ولم يظهر في الخير اثره قال وهب العلم كالغيث

ينزل من السماء حلوا صافيا فيشرب به الاشجار بعروقه فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا وهذا لمن كان همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خايفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولاجل ذلك قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرانا القران فمن اقرا منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اوليك منكم ايها الامة اوليك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم واستاذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلوته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا الما علم من حال الرجل انه لو ذكر تكبر وصلى حذيفة رضي الله عنه بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلون وحدانا اني رايت في النفس انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالم يستحق ان يقال انه عالم ثم انه لا تحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفتم ولو في اقصى الصين فاسعوا اليه رجاء ان يشملكم بركته ويسري اليكم سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح اخر الزمان بمثلهم لهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في اخر الزمان عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز وقال صلى الله عليه وسلم يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حثالة كحثالة الشعير او التمر لا يباليهم الله بالة وقال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقال

صلى الله عليه وسلم

اي من المنافقين

فالاول صح

يوشك الامم ان تداعي عليكم كما تداعي الاكلة الي قصعتها فقال قايل من قلة نحن
يومئذ قال بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله عن
صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قال قايل يا رسول الله
ما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت وقال صلى الله عليه وسلم هذا اوان
يختلس العلم من الناس حتى لا يقدرون منه على شي قاله حين شخص بصره الي
السماء وقال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض
على الجمر وقال صلى الله عليه وسلم يكون في اخر الزمان دجالون كذابون ياتونكم من
الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا اباؤكم واياكم واياكم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وانما
قال دجالون لان الناس يقتدون بهم في الشر ويكونون قدوة في الشر
ولذلك قال واياكم واياكم وحذرهم عن اضلالهم وفتنتهم وهم يزعمون انهم قدوة
في الخير ولولم يكونوا ضحكة للشيطان لعلموا بادنى تامل ان فساد الزمان
لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون
بين الحلال والحرام فيلحظهم اعين الجهلاء ويستجرؤن على المعاصي باستجرائهم
اقتداء بهم واقتفاء لاثارهم وقد قيل زلة العالم زلة العالم وقال عمر رضي الله عنه
اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث يهدمن الزمان احداهن زلة يهدم صح
العالم وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلب فلا
ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فيكون قلوب علمائهم مثل السباخ من
ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد فيها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء
الي حب الدنيا وايثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفي
مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين يلقاك انه يخشى الله بلسانه
والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله
الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله
وقيل ما فسد الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء فكونوا

من الشياطين

من شياطين الجن في امان واحترزوا من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين
الجن من التعب في الاغواء والاضلال واياكم واياكم لا يضلونكم ولا يفتنونكم باقوالهم
واحوالهم وخصالهم من الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب المال والجاه
للتمكن من الغلبة والمباهات والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد
اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب النفيسة واستحقار الفقراء
والتكبر عليهم والفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والحرمة
من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلوته ما الذي يقرؤه
وما الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع وطلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم
على الاقران وغير ذلك فالعلم لا يحمل العالم بل تهلك هلاك الابد وتحييه حيوة الابد
وقال صلى الله عليه وسلم من تمسك بسنتي عند فساد امتي فله اجر مائة شهيد
وقال صلى الله عليه وسلم في موعظة طويلة فانه من يعيش منكم بعدي فسيرى
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين يعني ابابكر
وعمر وعثمان وعلي ومن يليهم من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وعمر بن
عبد العزيز رحمة الله عليه تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة قوله تعالى اما شاكرا
واما كفورا قال الفراء يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر اي علم ان موجده
وموجد جميع اجزائه واعضائه من نطفة امشاج بعد ان لم يكن شيئا مذكورا وموجد
كل ما هو مشتمل اليه من الروح والقوى والحواس وجميع ما يحتاج اليه وينتفع
به في مبدئه ومعاده والهادي الي معرفة منافعه والممكن الي استعماله على وجه
ينتفع به هو الله تعالى وصرف جميع ذلك فيما تحبه الله ويرضاه او لم يعلم ذلك ولم يصرف
اليه فلو ان ملكا ارسل الي عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده
في الطريق نعما حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك به فهما لبس
العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل

النعمة في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته
واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعمله فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه
وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ
اهملها وعطلها فكذلك خلق الله الخلق من نطفة امشاج ولم يكن شيئا مذكورا واعطي
جميع ما يحتاجون اليه وجعله سميعا بصيرا او هداه السبيل وهم في ابتداء فطرتهم
محتاجون الي استعمال الشهوات الي ان يقرب واحد البلوغ ليكمل بها ابدانهم فيبعدون
بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعمة ما يقدرون علي استعماله
في نيل درجة القرب وعن قربهم عبر قوله تعالي لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم
رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فاذن نعم الله الات يترقي
العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله تعالي لاجل العبد حتي ينال به سعادة
القرب والله غني عنه قرب او بعد شكر او كفر والعبد فيه بين ان يستعملها
في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فقد
كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضي لعباده الكفر والمعصية
وان عطلها فلم يستعمل في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع
فكل ما خلق في الدنيا وفي كل نفس كل عبد ثم ما خلق آلة للعبد ليتوصل به الي سعادة
الاخرة ونيل القرب من الله فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب
التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل في طريق
البعد فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية والطاعة يشملها المشية لكن
لا يشملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء هذه
الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه ولما علمت ان معني الشكر استعمال نعمة
في محابه ومعني الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه [بيان صح]
علمت ان الشكر والكفر متوقفان علي معرفة جميع نعم الله في حق العبد وذلك
بحر عميق وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلي معرفة محاب الله ومكارهه

والذكر

ولذلك مدركان احدهما يسير وهو السمع ومستنده الكتاب والسنة فلذلك ارسل الله
الرسل وسهل بهم الطريق علي الخلق ومعرفة يبتني علي معرفة جميع احكام الكتاب
والسنة في حق افعال العباد والمني المذكورة فيهما فمن لا يطلع علي حكم الشرع في جميع
افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا وكل حركة صادرة من العبد وسكون ونطق
وسكوت وكل فعل صادر منه اما شكر واما كفران لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض
ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يناطق به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحرمة وكل ذلك
عند المتقين والصديقين موصوف بالحرمة فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الاداب
وتسامحنا به في الفقه مع العوام فسببه الضرورة التي مر والثاني عسير وهو النظر بعين
الاعتبار الذي يأمره قوله تعالي فاعتبروا يا اولي الابصار وهو ادراك حكمة الله في كل موجود
اذ ما خلق شيئا الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك
الحكمة اما جلية واما خفية وقد انطوي ظاهر القرآن علي جمل من الحكم الجلية التي
يحتملها افهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن دركها وجميع اجزاء العالم
[ونباته صح] سماؤه وكوكبه ورياحه وجباله ومعادنه وحيواناته واعضاء حيواناته لا تخلو
ذرة من ذراته من حكم كثيرة من واحدة الي عشر الي الف وكذلك اعضاء حيوان تنقسم
الي ما يعرف حكمتها كالعين والاذن والفم والاسنان وغير ذلك والي ما لا يعرف الحكمة
فيها العوام وهو كالاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والطحال والكبد واحاد
العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك
والانحراف والدقة والغلظ وساير الصفات والذين يعرفونها لا يعرفون منها
الا قدرا يسيرا بالاضافة الي علم الله فما اوتيتم من العلم الا قليلا فكل من استعمل شيئا
في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا علي الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله فيه وكل
ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف حكم القرآن والسنة
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا يصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل
الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يذكر الا اولوا الالباب ولذلك قال عليه السلام لولا ان

الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات فمن فهم حكمة الله تعالى
في جميع موجودات العالم قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى
مجلدات ثم لا تفي الا بالقليل ولذلك قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال
حكاية عن فرح ابليس لعنه الله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى قوله اما
شاكرا واما كفورا من لا يعرف هذا وامورا اخر وراء هذا ينقضي الاعمار دون
استقصاء مباديها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها كل من يعرف اللغة
وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير ثم ذكر الله تعالى مآل الفريقين فقال
انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا مر تفسيرها ان الابرار يعني المؤمنين
الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون
الشر جمع بار او بر كرب وارباب يشربون في الآخرة من كأس وهو الزجاجة
اذا كانت فيها خمر ويسمى الخمر نفسها كأسا كان مزاجها ما يمزج به وقال عكرمة
مزاجها طعمها كافورا وهو اسم لعين ماء في الجنة ماؤها في بياض الكافور وطيب
ريحه وبرده وعينا بدل عنه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك
وقال ابن كيسان طيب بالكافور والمسك والزنجبيل يشرب بها والباء زائدة
والمعنى يشربها عباد الله يفجرونها تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم حيث
شاؤا من منازلهم وقصورهم من غير اخدود من غير تعب ونحت ونحت يوفون
بالنذر جواب من عسى يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم
بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى
كان بما اوجبه الله اوفى ويخافون يوما كان شره اهواله وشدائده مستطيرا
فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق وقيل ممتدا مستطيلا والمعنى
يوفون بالنذر ويخافون ليقصر طول ذلك اليوم لما سئل صلى الله عليه وسلم
عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اهون
عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهدوا ايها المذنبون ان تكونوا من اولئك
المؤمنين

الجود بذل البادي بعد المحنة والايثار وقيل الجود جبر القلوب ورفع الاحقاد وقال النبي عم [illegible]
على الحي غدا بالتبر وشرع [illegible] وهو يبيعه ويجيء مغفورا وابعثه الى الجنة مع اول زمرة الانبياء [illegible]
مرض وقتا ولم يعده احد من اهل بلده فقال عند ذلك فقيل له انهم يستحيون من عيادتك لان لكم عليهم ديونا فقال الا [illegible]
فما دام يبقى لكم نفس من عمركم فالامر اليكم والاستعداد بيدكم واعملوا في ايام تحول بيننا وبين [illegible]
قصار لايام طوال ترنحوا رنحا لا منتهى لسروره واستحقروا اعماركم بل عمر
الدنيا وهو سبعة الف سنة فانكم لو صبرتم من المعاصي والشهوات ونهيتم النفس
عن الهوى سبعة الف سنة لكان ربحكم كثيرا وتعبكم يسيرا فان طال انتظاره في الدنيا
للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة
ويطعمون الطعام على حبه والضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه
وآتى المال على حبه ولن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن عباس على قلته
وحبهم اياه وشهوتهم له وعن الداراني وفضيل بن عياض على حب الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها قيل هي لمن قال
لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال سهل بن عبد الله
قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد وامته قال يا موسى انك
لن تطيق ذلك اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة وفضلته بها عليك وعلى جميع خلقي
قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انواره
وقربها من الله تعالى قال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته
به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا يأتيني احد منهم قد عمل به الا استحييت من محاسبته وبوأته
من جنتي حيث شاء وروي ان عبد الله بن جعفر خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم
وفيه غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب ودنى من الغلام
فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال
يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب
انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي
يومي هذا قال الام على السخاء ان هذا اسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما
فيها من الآلات فاعتق العبد ووهبها منه وقال حذيفة العدوي انطلقت في
غزوة اطلب ابن عم لي ومعي ماء في اناء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت

فامر بالنداء في البلد والمؤمن كان لنا عليه حق فقد وهبناه وقيل وهب الف من مائتي الف درهم

به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي
انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال آه آه فاشار
هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الي هشام فاذا هشام قد مات
فرجعت الي ابن عمي فاذا هو قد مات فهكذا كانوا في العصر الاول واني يسمح آخر الزمان
بمثل هذه الرجال وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث
فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه
وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الجنة دار الاسخيا،
وعن ابن مسعود قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الرزق الي مطعم الطعام اسرع من
السكين الي ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملايكة وعن المقدام بن
شريح عن ابيه عن جده قال يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات
المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وعن نافع بن عمر قال قال رسول الله صلعم
طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلي الله عليه وسلم ما انفق الرجل نفقة فعلي الله
خلفها وسيل معاوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل
دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بصنيعه وحسن المسارعة والاقدام في الكرامة
واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال
والاطعام في المحل والرافة بالسايل مع بذل النايل وراي الاحنف بن قيس رجلا وفي يده
درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتي تخرج من يدك وتنفق
او تطع وقيل انت للمال الذي امسكته فاذا انفقته فالمال لك مسكينا ويتيما
واسيرا قال قتادة لقد امر الله تعالى بالاسري ان تحسن اليهم وان اسراهم يومئذ
لاهل الشرك فاخوك المسلم احق ان تطعمه لاسيما اذا كان محبوسا مسجونا وقد مر
ما جاء في اطعام المحبوسين والمسجونين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال ويطعمون الطعام علي حبه مسكينا قال فقيرا ويتيما قال لا اب له واسيرا قال المملوك
والمسجون وقيل يتناول الاسير المراة وفي اطعام مولاه ثواب جزيل فطوبي لمن يطلبهم فيطعم

ص ١٩٠

اين ما وجدهم طوبي له طوبي له وسمي رسول الله صلي الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال
غريمك اسيرك فاحسن الي اسيرك يعني بالاحسان الامهال والتجاوز عن الدين
والحط قال صلي الله عليه وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا
وفي رواية اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلي الله عليه وسلم رجلا كان
مسرفا علي نفسه حوسب فلم توجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط
قال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا
المعسر وفي رواية وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى فنحن احق بذلك
منك فتجاوز عنه وغفر له وقال صلي الله عليه وسلم من اقرض دينا الي اجل
فله بكل يوم صدقة الي اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل
ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي غريمه الدين لاجل
هذا الخبر حتي يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلي الله عليه وسلم رايت
علي باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشرة امثالها والقرض بثمانية عشر
وسبب نزول الاية ما روت جماعة كثيرة عن ابن عباس ان الحسن والحسين
مرضا فعادهما جدهما محمد صلي الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهم
وعادهما عامة العرب فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت علي ولديك نذرا فنذر
علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام شكرا فالبس
الله الغلامين العافية وليس عند ال محمد قليل ولا كثير فانطلق علي رضي الله عنه
الي شمعون اليهودي الخيبري فاستقرض منه ثلث اصوع من شعير فجاء بها
فقامت فاطمة رضي الله عنها الي صاع فطحنته وخبزت منه خمسة اقراص علي
عددهم وصلي علي مع النبي صلي الله عليه وسلم المغرب ثم اتي المنزل فوضع الطعام
بين يديه فوقف بالباب سايل فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد انا مسكين من مساكين
المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موايد الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا
صياما ثم قامت فاطمة رضي الله عنها الي صاع اخر فطحنته فاخبزته وصلي علي مع النبي صلي الله عليه وسلم

ثم اتي المنزل فوضع الطعام بين يديه فوقف يتيم بالباب فقال السلام عليكم يا اهل بيت
محمد يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة اطعموني اطعمكم الله من موائد
الجنة فاثروه فمكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما كان اليوم
الثالث قامت فاطمة رضي الله عنها الي الصاع الثالثة فطحنته واختبزته وصلي علي رضي الله عنه
مع النبي صلي الله عليه وسلم المغرب ثم اتي المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ وقف اسير
بالباب فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد اسرونا وشدونا ولا يطعمونا اطعموني
فاني اسير محمد صلي الله عليه وسلم اطعمكم الله من موائد الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا
كلهم الا الماء القراح فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه الحسن والحسين واقبلوا
الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما
ابصرهم وهم يرتعشون قال يا ابا الحسن ما اشد ما يسوءني ما اري بكم انطلق
الي ابنتي وقام فانطلق معهم الي فاطمة رضي الله عنها فراي عليه السلام فاطمة
في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فرق لذلك
صلي الله عليه وسلم واحترق قلبه فهبط جبريل عليه السلام فقال خذها يا محمد هناك
الله في اهل بيتك قال وما اخذ يا جبريل فاقراه هل اتي علي الانسان السورة وفي رواية
ابن مهران فوثب النبي صلي الله عليه وسلم حتي دخل علي فاطمة فاكب عليها يبكي فهبط جبريل
عليه السلام بهذه الاية ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا
يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قال هي عين في دار النبي عليه السلام
والمؤمنين يوفون بالنذر يعني عليا وفاطمة والحسن والحسين وجاريتهم فضة
رضوان الله عليهم اجمعين ويخافون يوما كان شره مستطيرا الايات فانزل الله تعالي
هذه السورة فيهم واثني فيها عليهم وشكر مواساتهم تنبيها علي فضلهم ودرجتهم عند الله
وعلي ان الايثار عند الله محبوب مرغوب ذا قدر والجزاء عليه في الاخرة
جزيل عظيم وافر وتحريضا للناس علي الايثار وتبيينا لشرفه وشانه
وكيف لا والايثار ارفع درجات السخاء اذ الايثار عبارة عن ان يجود بالمال

مع الحاجة اليه والسخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل
مع الحاجة اشد وكما ان السخاء قد ينتهي الي ان يسخو علي غيره مع الاحتياج فالبخل
قد ينتهي الي ان يبخل علي نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا
يتداوي ويشتهي الشهوة فلا يمنعه عنها الا البخل بالثمن ان وجدها مجانا لاكلها
فهذا يبخل علي نفسه مع انه لا حاجة له الي المال وذاك يوثر علي نفسه غيره
مع الحاجة فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء
وليس بعد الايثار درجة في السخاء وكان هو اخلاق الصحابة وقد اثني الله عليهم
فقال ويوثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة الاية وقال صلي الله عليه وسلم
ايما امرء يشتهي شهوة فرد شهوته واثر علي نفسه غفر له وقالت عايشة رضي الله عنها
ما شبع رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلثة ايام متواليات حتي فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا
ولكنا كنا نوثر علي انفسنا والايثار من سنن المرسلين ومقامات الصحابة والصديقين
لا سيما عليا ولقد انزل الله تعالي في حقه ايات من القران عن ابن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما انزل الله عز وجل اية فيها يا ايها الذين امنوا الا وعلي
راسها واميرها قال مروان عبد لغيي انزل فيه هل اتي وبات علي رضي الله عنه
علي فراش رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة الغار مرة فاوحي الله تعالي الي جبريل
وميكائيل عليهما السلام اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر
صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة واحباها فاوحي الله عز وجل اليهما افلا كنتما مثل
علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبيي محمد صلي الله عليه وسلم فبات علي فراشه
يفديه بنفسه ويوثره بالحيوة اهبطا الي الارض فاحفظاه من عدوه وكان جبريل
عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب
يباهي الله بك الملائكة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله والله رءوف بالعباد لله دره ما اشجعه وما اسخاه وما اعظم منزلته عند الله
ببذل المهجة وبذل المال ويكون ايثاره وبذله بروحه وماله ابتغاء مرضات الله

لا ليقال انه جوي شجاع سخي ويشهد الله تعالى علي اخلاصه في مواضع من كتابه
وعن ابن عباس فبينا اهل الجنة في الجنة اذ راوا ضوءا كضوء الشمس وقد اشرقت
الجنان بها فيقول اهل الجنة يا رضوان وقد قال ربنا لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا فيقول لهم رضوان ليست هذه شمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي
رضي الله عنهما ضحكا اشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما انزل هل اتى قيل
السورة مكية وقيل مدنية قال مجاهد وقتادة هي كلها مدنية وقال عكرمة
فيها اية مكية وهي قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا والباقي مدني وقد نظم
محاورتهما وقت اطعامهما المسكين واليتيم والاسير خطاب علي كرم الله وجهه لفاطمة
رضي الله عنهما ،، فاطم يا ذا المجد واليقين ،، يا ابنة خير الناس اجمعين ،، اما ترين البايس والمسكين
قد قام بالباب له حنين ،، يشكو الينا جايعا حزين ،، كل امرء بكسبه رهين ،،
وفاعل الخيرات يستكين ،، موعده جنة عليين ،، حرمها الله علي الضنين ،،
وللبخيل موقف مهين ،، يهوي به النار الي سجين ،، شرابه الحميم والغسلين ،،
جواب فاطمة رضي الله عنها لعلي كرم الله وجهه ،، امرك يا ابن عم سمع طاعة ،،
ما بي من لوم ولا وضاعة ،، الله يعطي الخلد من اطاعه ،، اطعمه ولا ابالي الساعة ،،
ارجو اذا اعيني ذا المجاعه ،، ان الحق الاخيار والجماعه ،، فادخل الخلد ولي شفاعة ،،
خطاب علي لفاطمة رضي الله عنهما ،، فاطم بنت السيد الكريم ،، بنت نبي ليس بالزنيم ،،
قد جانا الله بذا اليتيم ،، من يرحم اليتيم هو رحيم ،، موعده في جنة النعيم ،، قد حرم الله علي اللئيم
ينزل في النار الي الجحيم ،، شرابه الصديد والحميم ،، جواب فاطمة لعلي رضي الله عنهما
اني لاعطيه ولا ابالي ،، واوثر الله علي عيالي ،، امسوا جياعا وهما اشبالي ،، اصغرهم يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيالي ،، للقاتل الويل مع الوبال ،، يهوي به النار الي سفال ،، مصفد اليدين بالاغلال
خطاب علي لفاطمة رضي الله عنهما فاطم يا بنت النبي احمد ،، بنت نبي سيد مسود ،،
هذا اسير للنبي المهتدي ،، مكبل في غله مقيد ،، يشكو الينا الجوع قد تمدد ،،
من يطعم اليوم يجده في غد ،، عند العلي الواحد الموحد ،، ما يزرع الزارع سوف يحصد ،،

جواب

ابو هما للمكرمات ساع ،، يصطنع المعروف بابتداع ،، صح

جواب فاطمة لعلي رضي الله عنهما ،، لم يبق فيما جيت غير صاع ،، قد دميت كفي مع الذراع ،،
ابو هما للجود واصطناع ،، يصنع المعروف بابتداع ،، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا والقول مضمر اي قالوا انما نطعمكم منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر
ولطفا بهم وتفقيها وتنبيها علي ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن عايشة رضي الله عنها
انها كانت تبعث بالصدقة الي اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعا دعت
لهم بمثله ليبقي ثواب الصدقة لها خالصة عند الله وعنها وعن ام سلمة رضي الله عنهما
كانتا اذا بعثتا معروفا الي اهل بيت تامران الخادم ليحفظ ما يقولون ثم كانتا تردان
مثل قوله وتقولان هذا بذاك وكانوا لا يتوقعون جزاء ولا دعاء وكانوا يقابلون الدعاء
بمثله لان شبه المكافات والمجازات ليخلص لهم صدقتهم كان هذا من عادات الصحابة
ويحتمل ان يكون هذا بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن
مجاهد وسعيد بن جبير اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله من قلوبهم فاثني به عليهم
ليرغب في ذلك راغب فان قلت ما فايدة قوله لا نريد منكم الاية بعد قوله انما نطعمكم
لوجه الله قلت فايدته ان قوله انما نطعمكم الاية يدل علي انهم كانوا لا يريدون مدح
الناس ونسبتهم الي السخاء والشهرة به بينهم وحمدهم وقوله لا نريد منكم يدل علي انهم كما لا يريدون
حمد الناس لا يريدون حمد ذكر اليتيم والمسكين والاسير ولا مجازاتهم بالجمال والخدمة او غير ذلك
عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة
نادي مناد يسمع اهل الجمع اين الذين يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن
عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شيء من امر الدنيا واهلها وعن الوليد عن عبد
الوهاب قال بلغني ان رجلا دخل علي معاوية فقال مررت بالمدينة فاذا ابو هريرة جالس
في المسجد حوله حلقة يحدثهم فقال حدثني ابو القاسم ثم استعبر وبكي فقال حدثني
خليلي ابو القاسم ثم استعبر فقال حدثني ابو القاسم ثم قام فادركه الرجل فقال اني غريب
لست من اهل البلد فقد اردت ان تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخنقتك العبرة فاخبرني هذا الذي اردت ان تحدث به قال سمعت رسول الله صلى

يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل قد خوّل مالاً فيقال له كيف صنعت
فيما خولناك فقال انفقت واعطيت فقال اردت ان يقال فلان سخيّ
فقد قيل فماذا يغني عنك ثم يؤتى برجل شجاع فيقال له الم اشجّع قلبك قال
بلى يا رب قال فكيف صنعت قال قاتلت حتى اهرقت مهجتي قال اردت ان
يقال شجاع فقد قيل فماذا يغني عنك ثم يؤتى برجل قد كان اوتي علما فيقال
له الم استحفظك العلم فكيف صنعت فيقول تعلمت وعلّمت فيقال اردت ان
يقال فلان عالم فقد قيل ذلك فماذا يغني عنك ثم قال اذهبوا بهم الى النار وقال
ابو هريرة مكتوب في التورية يقول الله تعالى ما اريد به وجهي فقليله كثير
وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد اخلص
العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه قال بعض
المتقين كنت قايما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من
يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فسارّه شيئا فقال ابو عبيد لا فمر
كالسحاب يمشي على الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك قال سألني
ان احج معه فقلت لا فقلت فهلّا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه
الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله لاني ادخل في
عمل الله شيئا غيره وقيل العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص قال محمد بن سعيد
المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى بما فعل وتخلص
فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين ففزت في الدارين قال بعض المحققين
ترى الاغنياء في آخر الزمان ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين
ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والثناء والا
والافشاء للمعروف فانظر كيف ذهب الصالحون المخلصون وانعكس الحال
وانتكس اين الذين يطعمون الطعام على حبه الاية وتراهم يكرهون التصدق
في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرضون

على انفاق

بكل من اجرم وهذا انذار وتحذير من عاقبة الجرم وسوء اثره ويل يومئذ
للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين يعني الرحم الى قدر معلوم
الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة اشهر وما دونها
وما فوقها فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن وقرئ فقدّرنا معناه
فقدّرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون اي المقدّرون له نحن وهذه القراءة
اولى لقوله من نطفة خلقه فقدّره ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض
كفاتا اي وعاء احياء وامواتا والكفت الضم والجمع والكفات اسم ما يكفت لقولهم
الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب
احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه
وهو يكفت والمعنى يكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وتنكيرها للتفخيم كانه
قيل يكفت احياء لا يعدّون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم
ليسوا بجميع الاحياء والاموات وروي ان الشعبي رحمه الله خرج الى جنازة
فنظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات ثم نظر الى البيوت فقال هذه كفات
الاحياء وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا والتنكير في شامخات
وماء فراتا يحتمل ان يكون لافادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى
من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبّه ويحتمل ان
يكون للتفخيم ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به
تكذبون من العذاب ولا تصدّقونه بل كنتم في شك مع انكار صريح او مع
اقرار صريح ومن انذر فصدّق بلسانه ولم يحذر فهو مكذب ومستهزئ
ولا يجتمع الايمان مع الشك لان احذاركانه تصديق بالجنان واجتماع
الشك والتصديق في محل واحد وهو الجنان محال انطلقوا الى ظل
يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب
لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوايب فيكل

يخرج لسان من النار فيحيط بالذين استحقوا العذاب ويتشعب من
دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمتقون في ظل العرش
وقيل يخرج شي من النار مثل العنق فيتشعب ثلث شعب فاما النور فيقف
علي روس المتقين واما الدخان فيقف علي روس المنافقين واللهب الصافي
يقف علي روس الكافرين لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل
المتقين ولا يغني في محل الجر وغير مغن عنهم من اللهب اي من حر
حر اللهب شيا انها يعني جهنم ترمي بشرر وهو ما يتطاير من النار
اذا التهب واحدها شررة كالقصر قال ابن عباس كالقصر العظيم
وعن ابن مسعود كالحصون شبه بالقصر وهو الحصن من جهتين من
جهة العظم ومن جهة الطول في الجو كانه جمالات صفر وهي جمع
الجمال وقرا حمزة والكسائي وخلف جمالة بكسر الجيم من غير الف علي جمع
الجمل شبهت القصور ثم بالجمال علي عادتهم الاتراهم يشبهون الابل بالافدان
والمجادل وقرا ابن عباس جمالات بضم الجيم وهي قلوس الجسور وفيه
تشبيه من ثلث جهات من جهة العظم والطول والصفرة وقيل قلوس
السفن يتخذ من ليف او خوص وهي سود تضرب الي الصفرة وقال
اهل المعاني صفر اي سود لان في الخبر ان شرر نار جهنم سود كالقير
والعرب تسمي السود من الابل صفرا لانه يشوب سواده شي من
الصفرة ويل يومئذ للمكذبين عن الحسن البصري يا ايها الغافل
عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة
علي الانقضا والزوال اتركها واترك التامل فيها فان الزاد منها
تركها والغني منها فقرها فانها تذل من اعزها وتفقر من
جمعها وانها كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه واحذر هذه
الغدارة خداعة التي قد تزينت كالعروس المجلية فالعيون اليها
خاين

اليها ناظرة والقلوب اليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها
كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر فكم من
عاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغي ونسي المعاد والمنتهي
فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته
واجتمعت عليه سكرات الموت بالمها وحسرات الفوت بغصتها ومن راغب
فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم
علي غير مهاد فاحذرها ايها المغرور وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون
منها فان صاحبها كلما اطمان منها الي سرور اشخصته الي مكروه السار
فيها لاهلها غار والنافع غدا ضار او قد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل
البقاء فيها الي الفناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولي وادبر
ولا يدري ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر
وعيشها نكد وابن آدم فيها ان عقل ونظر فهو من النعماء علي خطر ومن البلاء
علي حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت هي قد
ايقظت النايم ونبهت الغافل ولقد عرضت علي نبيك بمفاتيحها وخزاينها فابي
ان يقبلها اذ كره ان يخالف علي الله تعالي امره او يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما
وضع مليكه فزواها عن الصالحين اعتبارا وبسطها لاعدايه اغترارا ولا تظنن
ايها المغرور والمقتدر عليها انك اكرمت بها ولا تنسين ما صنع الله عز وجل
بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر علي بطنه او ما قال الله تعالي لموسي عليه السلام
اذا رايت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا
فقل مرحبا بشعار الصالحين او اقتد بابن مريم عليه السلام حيث كان يقول
ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وسراجي القمر ودابتي
رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شي وليس
علي الارض احد اغني مني فدع التفكر والشغل فيها فانك من تحل عنها واصرف

الفكر الي مورد كل فانك اخبرت بان النار مورد للجميع اذ قال تعالي وان منكم
الا واردها كان علي ربك حتما مقضيا الاية فانت من الورود علي يقين ومن
النجاة في شك فاستشعر قلبك هول ذلك المورد شرده كالقصر فعساك تستعد
للنجاة وتامل في حال الخلايق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينا هم
في كربها واهوالها وقوفا ينتظرون اذا احاط بالمجرمين ظلمات ذات الشعب
واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة
الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم علي
الركب حتي اشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قايلا
اين فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل
فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظايم التهديد ويسوقونه
الي العذاب الشديد هذا يوم لا ينطقون نصبه الاعمش اي هذا الذي قص
عليكم واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون اسكتتهم روية الهيبة وحيا
الذنوب والمعني ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له وهو منخرط في
سلك النفي من غير ان تجعل الاعتذار مسببا علي الاذن ولو نصب لكان
مسببا عنه ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت
ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القران وقال الجنيد واي
عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر باياديه ونعمه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم
الفصل بين السعدا والاشقيا وبين الانبيا واممهم جمعناكم والاولين كلام موضح
لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل فلا بد من جمع الاولين والاخرين يقع ص
حتي ذكر الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم علي كيدهم لدين الله وذويه
وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف
الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم في ذلك هنيا بما كنتم تعملون

انا كذلك نجزي المحسنين والاحسان اجادة الاعمال قال النبي صلي الله عليه وسلم
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ويل يومئذ للمكذبين
كلوا وتمتعوا في موضع الحال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا
وتمتعوا قليلا انكم مجرمون وانما يقال لهم في الاخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء
بان يقال لهم وكانوا في الدنيا من اهل التنعم والتمتع بمتاع الدنيا تذكيرا بحالهم السمجة
وبما جنوا علي انفسهم من ايثار المتاع القليل علي النعيم والملك الخالد يريد كنتم احقاء
في حيوتكم بان يدعي لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة علي ان كل مجرم ماله
الا الاكل والتمتع اياما قلايل ثم البقاء في الهلاك ابدا نعوذ بالله من تلك الحالة قال
علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن
دينار يطوف في السوق فاذا راي الشي يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما
امنعك الا من كرامتك علي وربما يقول القايل ان التنعم والتمتع مباح فكيف
يكون سبب الهلاك في الاخرة فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل
خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا وعن ابرهيم الخواص قال
قال كنت في جبل لكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها
فوجدته حامضا فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع
عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني
قال من عرف الله لا يخفي عليه شي فقلت اري لك مع الله حالا فلو سالته ان
يحميك من هذه الزنابير فقال واري لك مع الله حالا فلو سالت ان يحميك
شهوة الرمان فان لدغ الرمان تجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير
تجد المه في الدنيا فمضيت وتركته ولا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق
الاخرة ما لم يمنع النفس من التمتع والتنعم بالمباح فان النفس تفرح بالتنعم
بالدنيا وتركن اليها وتطمين بها اشرا وبطرا حتي تصير ممتليا بها كالسكران
الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق

وما الحيوة الدنيا صح

فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت
القلب كما قال تعالي وفرحوا بالحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وكما مر في قوله تعالي
واعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الي قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
وتنجوا من ذلك بالصبر اياما قلايل فالعمر قليل بالاضافة الي مدة حيوة الاخرة
وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيره شهرا
ليتنعم ويتمتع به سنة فطول العمر بالاضافة الي الابد اقل من شهر بالاضافة الي عمر الدنيا
فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السري وذلك معني قوله عز وجل
قليلا انكم مجرمون وعن سعيد بن زيد بن نفيل قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم
واقبل علي اسامة بن زيد فقال يا اسامة عليك بطريق الجنة واياك ان تختلج
دونها فقال يا رسول الله وما شي اسرع ما يقطع به ذلك الطريق قال الظما في
الهواجر وكسر النفس عن لذة الدنيا يا اسامة وعليك ذلك بالصوم فانه يقرب
الي الله عز وجل انه ليس من شي احب الي الله عز وجل من ريح فم الصايم وترك
الطعام والشراب لله عز وجل وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك
ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل في الاخرة وتحل مع النبيين صلوات
الله عليهم اجمعين وتفرح بقدوم روحك الملايكة ويصلي عليك الجبار تبارك وتعالي
واياك يا اسامة وكل كبد جايعة تخاصمك الي الله عز وجل يوم القيامة واياك يا اسامة
ودعاء عباد قد اذابوا اللحوم واحرقوا الجلود بالريح والسمايم واظمؤا الاكباد حتي
غشيت ابصارهم فان الله عز وجل اذا نظر اليهم سر بهم وباهي بهم الملايكة عليهم السلام بهم
تصرف الزلازل والفتن ثم بكي النبي صلي الله عليه وسلم حتي اشتد نحيبه وهاب الناس
ان يكلموه حتي ظنوا ان امرا قد حدث بهم من السماء ثم نطق فقال ويح لهذه الامة
ما يلقي منهم من اطاع ربه عز وجل فيهم كيف يقتلونه ويكذبونه من اجل انه اطاع
الله عز وجل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله والناس يومئذ علي الاسلام
فقال نعم فقال ففيم اذن يقتلون من اطاع الله وامرهم بطاعة الله فقال يا عمر ترك

الناس الطريق وركبوا الدواب ولبسوا لين الثياب وخدمتهم ابناء فارس والروم
يتزين الرجل منهم تزين المراة لزوجها وينبرج للنساء زيهم زي الملوك الجبابرة
ودينهم دين كسري وهرمز وبهم يتشبهون باهوا باحسن اللباس فاذا تكلم اولياء
الله عز وجل عليهم العباء منحنية اصلابهم قد ذبحوا انفسهم من العطش فاذا تكلم
منهم متكلم كذب وقيل له انت قرين الشيطان وراس الضلالة تحرم زينة
الله والطيبات من الرزق وتاولوا كتاب الله عز وجل علي غير دين واستذلوا
اولياء الله عز وجل اعلم يا اسامة ان اقرب الناس من الله جل وعز يوم القيامة
لمن طال حزنه وعطشه وجوعه في الدنيا الاخفياء الابرار الذين اذا شهدوا لم
يعرفوا واذا غابوا لم يتفقدوا وانعرفهم بقاع الارض يعرفون في اهل السماء ويخفون
علي اهل الارض وتحف بهم الملايكة نعم الناس بالدنيا وتنعموهم بالجوع والعطش لبس
الناس لين الثياب ولبسوهم خشن الثياب وافترش الناس لين الفروش وافترشوا
الجباه والركب ضحك الناس وبكوا يا اسامة لا يجمع الله عز وجل عليهم الشدة في الدنيا
والاخرة لهم الجنة يا ليتني قد رايتهم يا اسامة لهم الشرف في الاخرة ويا ليتني قد رايتهم
الارض بهم رحبة والجبار عنهم راض ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوا
الراغب من رغب الي الله في مثل رغبتهم والخاسر من خالفهم تبكي الارض
اذا فقدتهم ويسخط الله عز وجل علي كل بلدة ليس فيها مثلهم يا اسامة اذا رايتهم
في قرية فاعلم انهم امان لاهل تلك القرية لا يعذب الله عز وجل قوما هم فيه
اتخذهم لنفسك اخوانا عسي ان تنجو بهم واياك ان تدع ما هم عليه فتزل قدمك
فتهوي في النار طلبوا الفضل في الاخرة تركوا الطعام والشراب علي قدرة لم يتكالبوا
علي الدنيا انكباب الكلاب علي الجيف شغل الناس بالدنيا وشغلوا هم انفسهم بطاعة
الله عز وجل لبسوا الخلق واكلوا الفلق تراهم شعثا غبرا يظن الناس ان بهم داء
وما داء بهم ويظن الناس انهم قد خولطوا وما خولطوا ولكن خالط القوم حزن
ويظن انهم ناس ذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظروا بقلوبهم الي امر ذهب

بعقولهم عن الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول يا اسامة عقلوا حين ذهبت
عقول الناس لهم الشرف في الآخرة وقد روي هذا الحديث ايضا ابو هريرة وقيل
كلوا وتمتعوا الاية كلام مستانف خطاب للمتنعمين والمتمتعين بالدنيا للتوبيخ والتقريع
لهم على طريقة قوله تعالى اعملوا ما شئتم اني بما تعملون بصير انكم مجرمون معناه
انما تتمتعون بالدنيا وتتنعمون بنعيمها لانكم مجرمون عاصون مقبلون على الدنيا
ومعرضون عن الآخرة يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا الاية وغرتكم الحيوة الدنيا
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل
لهم اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا
الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم
وقال بعض المفسرين نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا
لا نجبي فانها مسبة علينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع
ولا سجود وما كان على العرب اشد من الركوع والسجود حتى كان يسقط من ايديهم
شيء فلا ياخذونه وقال ابن عباس انما يقال لهم ذلك يوم القيامة حين يدعون الى
السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده بعد القرآن
آية مبصرة معجزة باهرة لا ايمان في تواتره وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق
وليس لنبي معجزة باقية سواه اعجز بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب
حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي
بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة مثله ان شكوا وقال تعالى قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا تعجيزا لهم عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم
للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر بعد
ذلك في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر فلم يقدر احد
على معارضته فحين لم يؤمنوا به فباي حديث بعده يؤمنون فسبحان من انزله

كتابا

٥

كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحججا قرآنا عربيا غير ذي
عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية
معجزا على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان
افحم به من طالب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى من
مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه ويدانيه واحد من فصحائهم
ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى
البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم
بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم
دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط اذا اتاهم
احد بمفخرة اتوه بمفاخر واذا رماهم بمآثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا
والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب
ان لم يمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر
فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب
بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عن ما والنون الساكنة
تدغم في حروف يرملون فادغم ههنا بالميم فصار عما فحذف الالف والاستعمال الكثير
عليه والاصل قليل وما هي ما الاستفهامية ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان
كانه قال عن اي شيء ونحوه ما في نحو قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه
وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره
كما يقول ما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة
عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون من والضمير لاهل
مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن القرآن ومن جاء به وما اشتمل عليه من
الاخبار عن البعث والحساب والجزاء وغير ذلك عن النبا العظيم كان فيهم
من يصدق به ويؤمن وكان فيهم من يقطع القول بالانكار ومنهم من يشك

بيان لشان المفخم والنبا العظيم القرآن كما من
في قوله تعالى قل هو نبا عظيم الذي هم فيه مختلفون

كلا سيعلمون الكافرون ثم كلا سيعلمون المؤمنون هذا قول الضحاك وقيل كلا ردع للكافرين المتسائلين هزؤا سيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد الم نجعل الارض مهادا فان قلت كيف اتصلت هذه الاية بما قبلها قلت لما اختلفوا في القرآن وما اشتمل عليه من الاخبار عن البعث والجزاء وشك بعضهم واستبعد البعث والجزاء وتكاسل عن الاستعداد اقيم عليهم ما يزيل شكهم من الحجج وقيل الم نخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلايق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات ولم يفعل هذه الافعال المتكاثرة الدالة على كمال علوم حكمته وعلى ان جميع ذلك على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل بل ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجايب وايات تدل على ان افعاله سبحانه وتعالى منزهة ومقدسة عن امكان العبث فيها وانه سبحانه وتعالى مقدس حكيم لا يفعل فعلا عبثا وبما تنكرونه من البعث والجزاء اذا لم يقع يؤدي الى نسبة العبث اليه سبحانه وتعالى في كل ما فعل قوله مهادا فراشا فيا ايها الكسلان عن الاستعداد ليوم الجزاء والكفور لنعم الله تعالى الراضي من الدنيا بشهوات البهايم تأمل في الارض التي هي مقرك وجبالها وما فيها ثم ارتفع منه الى ملكوت السموات فانظر الى الارض كيف خلق مهادا لك وسلك فيها سبلا وكيف جعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها واكنافها وجعلها وقورا ذات قرار لا يتحرك والجبال اوتادا لها ليمنعها من ان تميد ووسع اكنافها حتى عجز الادميون عن بلوغها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم كما قال والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال وهو الذي جعل الارض فراشا وانما اكثر في كتابه ذكر الارضين لتتفكروا في عجايبها وتستدلوا بها على كمال

قدرة

قدرة صانعها فتحصل لك المحبة والشوق فتنال بذلك الدرجات العلى متى وخلقناكم ازواجا اصنافا فامر وجعلنا نومكم سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وقد مر في قوله الله يتوفى الانفس وجعلنا الليل لباسا غطاء وغشاء يلبس كل شيء سواده وجعلنا النهار معاشا حيوة ولما جعلنا النوم موتا جعل اليقظة معاشا تستيقظون فيه وتتقلبون في حوايجكم فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه كيف خلق هذين الحالتين دليلا قطعيا على البعث يستدل بهما عليه من له ادنى لب وكيف ذكر مهادا ليلا بين الدلايل الواضحة ولولاها لكفتنا وقد مر في قوله تعالى الله يتوفى الانفس الاية قال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وبنينا فوقكم سبعا شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا وانزلنا من المعصرات السحايب ماء ثجاجا منصبا متتابعا يتلو بعضه بعضا لنخرج به حبا ما يتقوت به من نحو الارز والحنطة والشعير والحمص والعدس وما اشبه ذلك ونباتا وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وانشد

جنة لف وعيش مغدق ... وندامى كلهم بيض زهر

واعلم ان هذه الايات معا قد جعل يستفاد من الفكر والتأمل والنظر فيها وفي احادها الايمان واليقين بالبعث والجزاء والتوحيد والتوكل والشكر ومعرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وعلمه وحكمته وجوده وفضله وانعامه ورافته ورحمته وغير ذلك من صفات الله تعالى فكلما استكثر العبد من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفته

زهر جمع ازهر اي البيض المشرقون

والندامى جمع ندمان

بجلاله وعظمته اتم وبقدر اتساع المعرفة واستيلائها على القلب
كان حب الله في قلبه اقوى واسعد الخلق حالا في الآخرة اقواها
حبا لله ولا نجاة الا بالمعرفة والمحبة واسهل الطرق اليهما النظر
الى افعاله تعالى والتامل فيها والنظر والتامل خير من جملة الاعمال
وقد ورد في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة فلذلك قال
الم نجعل الارض مهادا الآيات منبها الى بعض مجامع افعاله من
خلق الارض وما فيها من الجبال وغيرها وجعلها مهادا وجعل
الجبال مع ما فيها من المعادن والمنافع لها اوتادا وخلق الناس فيها
من نطفة ابيض متشابه الاجزاء اصنافا عربيا وعجميا وهنديا
وحبشيا وذكرا وانثى وغير ذلك وجعل الليل لباسا لهم والنهار
معاشا لهم وبناء السموات السبع الشداد وجعلها فوقهم سقفا وجعل الشمس سراجا وهاجا
وانزال الماء الثجاج من المعصرات لاخراج الحبوب والنبات والجنات الفافا
رزقا لهم فالويل كل الويل لمن لم يتفكر فيها ولم يعلم العجايب والحكم في آحادها
ولقد بكى صلى الله عليه وسلم حين نزل ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب مرة ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها
ولقد امر الله تعالى بالتدبر فيما مر في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين
كما مر من قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا
باطلا ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح
بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات
على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما يعرفه البهائم ايضا فمن
قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته وفي ملكوت السموات والارض
والآفاق والانفس والحيوانات والنباتات عجايب تجب معرفتها ففي كل شيء

له آية تدل على انه واحد قال الله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما لاعبين الآية مر وان من شيء الا يسبح بحمده الآية تامل في نبات
الارض وانظر الى آثار ما صنع المليك فهي القضب الزبرجد شاهدات
بان الله ليس له شريك وكل ما جاء في كلامه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ان في ذلك لآيات لاولي الالباب وهو اشارة
ان من لا يتامل ولا يتدبر في الآيات في ملكوت السموات والارض والانفس
ليس له عقل ولا لب بل جاهل مجنون وقد ذم الله المعرضين في كثير من السور
كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة الارض
وجميع ما فيها الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد
محفوظات عن التغير الى يوم القيامة ولهذا قال سقفا محفوظا وقال وبنينا
فوقكم سبعا شدادا وقال تعالى اانتم اشد خلقا ام السماء الآية فارفع الآن
راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها
وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودووبها في الحركة على الدوام من
غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل
مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله تعالى كطي السجل
للكتب وعدد كواكبها بكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها
الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيف اشكالها فبعضها على
صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والانسان فما من
صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها
في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولو
لا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم يعرف المواقيت واطبق
الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت
الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا

فانظر الي ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان
عليهما علي ترتيب مخصوص وانظر الي امالته مسير الشمس عن وسط
السماء حتي اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفض
من وسط السماء مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوي في وسط اشتد
القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السماء لا مطمع في احصاء عشر
عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه علي طريق النظر واعتقد علي الجملة انه
ما من كوكب من الكواكب الا ولله حكم كثيرة في خلقه ومقداره ثم في شكله ثم في
لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من السماء وبعده وقربه من الكوكب الذي
بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه في اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيها
حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الي عالم السماء
لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة معانيه
بما بينهما من التفاوت في كبر الارض وانت تعرف من كبر الارض واتساع
اطرافها انه لا يقدر ادمي علي ان يدور بجوانبها وقد اتفق النظار علي ان
الشمس مثل الارض مائة مرة ونيف وستين مرة وفي الاخبار ما يدل علي
عظمها والكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثمانية مرات واكبرها
ينتهي الي قريب من مائة وعشرين مرة وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها
اذ البعيد يري صغيرا ولذلك قال تعالي رفع سمكها وفي الاخبار ان بين كل
سماء الي الاخري مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد
من الارض فانظر الي كثرة الكواكب ثم انظر الي السماء التي الكواكب مركوز فيها
والي عظمها ثم انظر الي سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا من ان تدرك
سرعتها لكن لا تشك في انه في لحظة يسير مقدار الان الزمان من طلوع اول
جزء من كوكب الي تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة
فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة هكذا تدور علي الدوام وانت

غافل

غافل عنه فانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم
هل زالت فقال لا نعم قال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الي ان قلت
نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الي عظم شخصها ثم الي خفة حركتها
ثم انظر الي قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة
العين مع صغرها حتي تجلس علي الارض وتفتح عينيك نحوها فتري جميعها
فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الي بارئها كيف خلقها
ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تدلي بها وكل العالم كبيت
واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ
مموها بالذهب فلا تنقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك
وانت ابدا تنظر الي هذا البيت العظيم والي ارضه والي سقفه والي هوائه والي عجايب
امتعته وغرايب حيواناته وبدايع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك
اليه فما هذا البيت دون بيتك الذي تصفه بل ذلك البيت ايضا جزء من الارض
التي هي اخس اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه
بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك
وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية
شهوتك ان تملاء بطنك ولا تقدر علي ان تاكل عشر ما تاكله بهيمة فتكون البهيمة
فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك
فينافقون بلسانهم بين يديك ويضمرون خبايث الاعتقادات عليك وان
صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا
وقد يكون في بلدتك من اغنياء اليهود والنصاري من يزيد جاهه علي جاهك
وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات ثم عن
التنعم بالنظر الي جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل نملة تخرج
من جحرها الحفير في قصر مشيد من قصور الملوك رفيع البنيان حصين الاركان

مزيّن بالجواري والغلمان وانواع الذخاير والنفايس فانها اذا اخرجت من جحرها
ولقيت صاحبها لم تتحدث لو قدرت علي النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية
ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهو في معزل عنها وعن
التفكر فيها بل لا قدرة لها عن المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الي
غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وساير بنيانه
وغفلت ايضا عن سكانه فانت غافل عن بيت الله وملايكته الذين هم سكان سمواته
فما تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملايكة السموات
الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق ان تعرفك وتعرف عجايب
قصرك وبدايع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة علي ان تجول في الملكوت وتعرف
من عجايبه ما الخلق غافلون عنه وانظر الي المعصرات اي السحايب فتامل في
السحاب الكثيف المظلم كيف تجتمع في جو صافي لا كدورة فيه وكيف تخلقه الله تعالي
اذا شاء ومتي شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك في جو السماء
الي ان ياذن الله تعالي في ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر اراده الله
وعلي الشكل الذي شاء فتري السحاب ترش الماء علي الارض فترسله قطرات
متفاصلة لا تدرك قطرة قطرة ولا يتصل واحدة باخري بل ينزل كل واحدة
في الطريق الذي رسم لها لا يعدل عنها فلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم
حتي يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون علي ان يخلقوا
منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل من السماء في بلدة واحدة او قرية
واحدة لعجز حساب الجن والانس عنه ولا يعلم عددها الا الذي اوجدها
ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش
ودود مكتوب علي تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق
الدود الفلاني الذي في ناحية الجبل الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت
الفلاني او النملة الفلانية وغير ذلك هذا مع في انعقاد البرد الصلب من ماء اللطيف

الي علم هذا

ومن نتايج الثلوج كالقطن المندوف من العجايب الذي لا تحصي لو ذهبنا
نعد عشر عشير من عجايبها لطال الكتاب ولم يرغب اليه راغب لقصور هم
علماء الزمان عن الاطلاع بحقايق التنزيل اذ همهم مصروفة الي ما يزيد
جاههم ومالهم فليس للمؤمنين من خلقه القران الا الاستكانة والخضوع ولا للعميان
الفلسفيين الطبعيين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته
ويقول الجاهل المغرور الطبيعي انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب
نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له وتقول له ما معني الطبع وما
الذي خلقه وما الذي خلق الذي طبعه الثقل وما الذي رقي الماء المصبوب
في اسفل الاشجار الي اعلي الاغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوت الي
اسفل ثم ارتفعت الي فوق في داخل تجاويف عروق شعرية صغار يري منه
العرق الذي هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق
عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم تنشعب من الجداول
سواقي اصغر منها ثم تنتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك
البصر حتي تنبسط في جميع عرض الورق فتصل الماء في اجوافها الي ساير اجزاء
الورق ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك الي ساير
اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الي اسفل ايها الطبيعي فكيف
يتحرك الي فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب
فاذا كان ينتهي بالاخرة الي خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت
فلم لا تحال عليه في اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل في عامة الاحوال
كما قيل ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله في النوايب ولكن بعد ما افتضحا
وانظر الي الهواء المحبوس المملو بين السماء والارض يدرك بحس اللمس
عند هبوب الريح جسمه ولا يري العين شخصه وجملته مثل البحر الواحد
والطيور مختلفة سباحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء فتضطرب

يجوز ... في الهواء

جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما يضطرب امواج البحر فاذا حرك
الله الهواء وجعله ريحا هبابة فان شاء جعله بشرا بين يدي رحمته
كما مر في قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى
الحيوانات والنبات فيصعد للنماء ولو شاء جعله عذابا على العصاة من
خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر
الى قوله نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضبط
فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه
والحديد الصلب يضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء
في الماء بقوته مع لطافته ولهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الماء
وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص
في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها
وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف كالذي يقع في البير فيتعلق بذيل رجل
قوي فيمتنع عن الهوي في البير فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال
الهواء القوي حتى يمتنع من الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق
المركب الثقيل في هواء لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد
ثم انظر وتامل في عجايب الجو وما يظهر فيها من الغيوم والرعود والبروق
والامطار والثلوج والشهب والصواعق وقد مر الاشارة في قوله تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين واراد مما بينهما عجايب
الجو وقال والسحاب المسخر بين السماء والارض فاذا لم يكن لك حظ من
هذه الحكم الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك
في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملا الاعلى فقد
فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينيك الظاهرة وانظر ببصيرتك
الباطنة لترى عجايب باطنها وعجايب اسرارها وانظر الى الماء وهو جسم

لطيف

لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل
للانفصال والاتصال به حيوة كل ما على الارض من حيوان ونبات
فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع لبذل جميع خزاين الدنيا في تحصيلها
لو ملكه واذا شربه فمنع من اخراجه لبذل جميع خزاين الارض في اخراجه
والعجب من الادمي يستعظم الدينار والدرهم وينافس الجوهر ويغفل
عن نعمة الله تعالى في شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها
بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجايب المياه ففيها من العجايب ما لا تحصى
كل ذلك شواهد متظاهرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة
عن جلالة باريها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب
بنغماتها قايلة اما تراني واما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي
واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني
احد من جنسي او ما تستحيي تنظر في كلمة مرقومة من ثلثة احرف فتقطع
بانها صنعة ادمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية
المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا يدرك الابصار ذاته ولا
حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعها بل تنادي
النطفة الحادثة من الذكر والانثى وتقول لارباب السمع والقلب لا الذين
هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في
الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي
واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش يظهر شيا شيا على التدريج
ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا
داخل الام ولا خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم فما هذا
النقاش باعجب ممن تشاهده تنقش القلم صورة عجيبة لو نظرت
اليها مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من النقش الذي

يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير
اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب
ولا تفهم به ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش
ومصور كما ان نقشه وصنعته لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين
من المباينة والتباعد ما بين الفعلين وان كنت لا تعجب من هذا
فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك
مع هذا الوضوح ومنعك اليقين مع هذا البيان جدير بان يتعجب منه
فسبحان من فتح بصاير احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه
واعمى قلوب اعدايه واحتجب عنهم بعزه وعلايه فله الخلق والامر والامتنان
والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وانظر الي عجايب
الجبال الراسيات الصم الصلاب التي جعلها للارض اوتادا كيف احكم جوانب
الارض بها وكيف اودع المياه تحتها تنفجر منها العيون تدريجا فلو
خرجت دفعة واحدة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي واسال الانهار
تجري علي وجهها وانما اخرج من الحجارة اليابسة والتراب الكدر ماء رقيقا
عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شي حيا فاخرج به فنون الاشجار
والنبات من حب وعنب وفواكه كثيرة لا تحصي مختلفة الاشكال
والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها علي بعض
في الاكل تسقي بماء واحد وتخرج من ارض واحدة وان قلت
اختلافها الاختلاف بذورها واصولها فمتي كان في النواة نخلة مطوقة
بعناقيد الرطب ومتي كان في حبة واحدة سبع سنابل ثم انظر الي
الجواهر المودعة تحت الجبال من الذهب والفضة والفيروزج وغيرها
بعضها منطبقة تحت المكان كالذهب والنحاس والرصاص والحديد
وبعضها لا ينطبق كالفيروزج وكيف تهدي الله الناس الي استخراجها

وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها ثم ارجع البصر
الي الارض التي جعل مهادا وتفكر في عجايبها كيف جعل ظهرها
مقرا للاحياء وبطنها محلا للاموات وفتش ظاهرها وباطنها فما فيها
شيا الا تراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت
من كل زوج بهيج الوانا مختلفا ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد
طعم وريح ولون وشكل تخالف الاخر فانظر الي كثرتها واختلاف
اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعها وكيف
اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذا يغذي وهذا يقوي وهذا يقتل
وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من
اعماق العروق وهذا استحال الي الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا
يستحيل اليه وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح
فلم ينبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوي البشر علي الوقوف
علي كنهها ولكل واحد يحتاج في تربيتها الي عمل مخصوص فالنخيل تؤبر
والكروم تقطع والزرع ينقي منها الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر
في الارض وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا
ان نذكر اختلاف النبات ومنافعها واحوالها وعجايبها انقضت الايام
في كل وصف فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة ثم انظر الي معادنها من
النفط والكبريت والقير والشب وانواع الزجاج وغيرها واقلها الملح
ولا يحتاج اليها الا ليطيب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها
فانظر الي رحمة الله تعالي كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث
تجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا ليكون
تطييبا لطعامك اذا اكلت فتهنا عيشك وما من جماد وحيوان ونبات
الا وفيه عجايب وحكم ما خلق شي منها ضايعا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق

بهيج زيباى حسن
بهيج بهاى بسنديدار

١١٥

وكما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق لجلاله وكرمه ولطفه لعباده ولذلك
قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ثم انظر
الى الحب الذي انزل من المعصرات ماء ثجاجا لاخراجه فان الحبوب
لو اكلتها فنيت وبقيت جايعا فما احوجك الى ان تنمو في نفسها وتزيد
وتتضاعف حتى تفي بجميع حاجتك فخلق الله فيها من القوى ما يغتذي
به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك
في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجذب الى باطنه بواسطة العروق
الغذاء من جهة اصلها كما يغتذي انت وتجذب ولسنا نطنب بذكر
آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول
كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك
الحبة لا يغتذي بكل شي بل تحتاج الى شي مخصوص بدليل انك
لو تركتها في البيت لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد
من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة
بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية سيجي ثم لا يكفي الماء والتراب
اذ لو تركت في ارض ندية لصفقة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فتحتاج
الى تركها في ارض رخوة متخلخلة البخار ومجري العيون واجري
منها الانهار اذ لو تركت ندية صلبة لا يتغلغل الهواء اليها لم ينبت ثم
الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر
وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا
الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج من الهواء والماء والارض
ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج الى
حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الاربعة
فانظر الى ما ذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء لينساق الى الارض

المزروعة

المزروعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر
العيون واجري منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والماء لا يرتفع اليها
فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار
العالم وهي سحب ثقال حوامل للماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي
في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة واما الحرارة فانها لا تحصل
بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها
مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد
عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى
ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فيفتقر الى
رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما
جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر
الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل منع شروق الشمس والقمر عليها لكانت
فاسدة وناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة
وتعرف ترطيب القمر بان تكشف له راسك بالليل فتغلب على راسك الرطوبة
التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ان يوم الفصل كان ميقاتا
كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده يوم ينفخ في الصور
يوم بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتاتون افواجا من القبور الى
الموقف عن ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا عبد الله بن احمد بن منصور الكسائي
ثنا محمد بن عبد الجبار انا محمد بن زهير عن محمد بن المهتدي عن حنظلة الدوري
عن ابيه عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله صلى
في منزل ابي ايوب الانصاري فقال معاذ يا رسول الله ارايت قول الله عز وجل
يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال يا معاذ سالت عن عظيم من الامر ثم ارسل
عينيه ثم قال تحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله من جماعة

الى البرد والحر عند الحاجة

المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون
وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلات على صدورهم
يسيل القيح من افواههم لعابا يتقذره اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة
القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير
فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين
يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون
السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت
ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار
فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون
الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب
فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء فكانت ابوابا لنزول الملائكة
وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا
يسدها شي وقيل ان لكل عبد بابين في السماء باب لعمله وباب لرزقه
فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وسيرت الجبال فكانت سرابا كالسراب
كقوله فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شي لتفرق اجزائها وانبثاث
جواهرها ان جهنم كانت مرصادا لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم
عندها لان مجازهم عليها للطاغين مآبا وهي مآب للطاغين وقال مقاتل
محبسا للطاغين مآبا مرجعا لابثين فيها احقابا حقبا بعد حقب كلما
مضى حقب تبعه حقب اخرى الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة
الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها قال علي رضي الله عنه لهلال الهجري

ماتجدون

ماتجدون الحقب في كتاب الله عز وجل المنزل قال نجده في كتاب الله تعالى
ثمانين سنة كل سنة اثني عشر شهرا كل شهر ثلثون يوما كل يوم الف سنة
وقال مجاهد الاحقاب ثلث واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا
كل خريف سبعماية سنة كل سنة ثلثماية وستون يوما كل يوم الف سنة وقال
الحسن ان الله تعالى لم يذكر شيا الا وجعل له مدة تنقطع اليها ولم تجعل لاهل
النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل
حقب اخر ثم اخر كذلك الى ابد الابدين فليس للاحقاب عدة الا الخلود في النار ولكن
قد ذكر وان الحقب الواحد سبعون الف يوم كل يوم منها كالف سنة مما تعدون
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا والمعنى لابثين فيها احقابا
غير ذايقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد ذلك الاحقاب
غير الحميم والغساق من جنس اخر من العذاب والاستثناء منقطع يعني لا
يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وعن بعض العرب منع البرد
البرد والغساق صديد اهل النار ودموعهم وما يسيل من فروج الزناة سمي
به لانه يغسق اي يسيل وقال شهر بن حوشب الغساق وادي في النار فيه
ثلثماية وثلثون شعبا في كل شعب ثلثماية وثلثون بيتا في كل بيت اربع
زوايا في كل زاوية شجاع كاعظم ما خلق الله عز وجل من الخلق في راس كل
شجاع سم وانما سمي ذلك الوادي بالغساق لسيلان الغساق فيه تسمية للمحل
باسم الحال كما سمي الموضع بدرا مع ان البدر اسم بير فيه جزاء وفاقا اي جازيناهم
جزاء وافق اعمالهم وفاقا قال الضحاك على قدر اعمالهم قال مقاتل وافق
العذاب الذنب فجميع انواع العذاب الاخرة يوافق ويناسب انواع الذنوب
حتى ان المسخ في الاخرة يوافق الصفة والمعنى الذي كان في الممسوخ قبل المسخ في
الدنيا فان الخنزير لم يكن مذموما للونه وشكله وصورته بل لحرصه وشبقه

النجس سان

وعدم تمييزه بين النجس والطاهر فاكل السحت تحشر خنزيرا لعدم تمييزه بين
الحلال والحرام وذا الشبهة والطيب والهدية والرشوة ولحرصه كالخنزير
فانه في المعني خنزير ولكن الصور في هذا العالم غالبة علي المعاني والمعاني باطنة
فيها وفي الاخرة يتبع الصور المعاني ويغلب المعاني فلذلك تحشر كل شخص
علي صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا لان القلب
المشحون بالغضب والشره الي الدنيا والتكالب عليها والحرص علي التمزيق
لاعراض الناس كلب في المعني وقلب في الصورة والشره الي اموالهم تحشر
ذيبا عاديا والمتكبرون عليهم تحشرون في صورة النمور مجللين بجلال
من قطران مهنوات به والحريص علي طلب الجاه والرياسة في صورة الاسد
وقد مر ذلك بالاخبار الواردة فيها فمن لم يتعهد نفسه فلم ينفي صفاته ٥٠
المذمومة بتسليط بعضها علي بعض فامره مخطر ولذلك يدخل الجنة
من الالف واحد كما مر في حديث ابعث يا ادم بعث النار ولذلك يدخل
من ثلث وسبعين ملة ملة واحدة وقد مر الحديث وقد قيل اكثر
الناس يعبدون الكلب والخنزير ويتعجبون وينكرون علي عبدة الاصنام
عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنهم وكوشفوا بحقيقة احوالهم اما في النوم
او في اليقظة لراوا انفسهم ماثلين بين يدي خنزير وهو الهوي والشهوة ساجدين
له مرة وراكعين اخري ومنتظرين لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير يطلب
شيئا انبعثوا علي الفور في خدمته واحضار مطلوبه اوراوها ماثلين بين يدي
كلب عقور وهو الغضب عابدين له مطيعين لما يقتضيه ويلتمسه
مدققين لافكارهم في حيل الوصول الي طاعته وهم بذلك ساعون في مسرة
الشيطان فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما علي استخدامهم
فهؤلاء من هذا الوجه يعبدون الشيطان بعبادتهما وقد مر في قوله تعالي
ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فليراقب كل عبد حركاته وسكناته

وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يري ان انصف نفسه
الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء لا في عبادة الله تعالي وفيه غاية الظلم
اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وسيجيء في سورة الفجر
وقد سخره لخدمة هؤلاء فلاجرم ينتشر الي قلبه من طاعة هؤلاء
صفات تتراكم عليه حتي تصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له
والعياذ بالله قال بعض المحققين في معني الاية وتاويله اعلم ان الناس
في الاخرة ينقسمون اصنافا ويتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا
لايدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الاخرة
الدنيا في هذا المعني اصلا والبتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لاشريك له
وسنته الصادرة عن ارادة الازلية مطردة لاتبديل لها الا انا ان عجزنا عن
احصاء احاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس وبيان كيفية موافقة
الجزاء بالعمل فنقول الناس في الاخرة ينقسمون بالضرورة الي اربعة
اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفايزين ومثاله من الدنيا
ان يستولي ملك من الملوك علي اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب
بعضهم ولا يقتلهم فهم المعذبون وتخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع علي بعضهم فهم
الفايزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق ثم ينبغي ان يكون خلع
الفايزين متفاوتة الدرجات بحسب درجات خدمتهم واهلاك الهالكين
اما تحقيقا بجز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات معاندتهم وتعذيب
المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها
بحسب درجات تقصيرهم فينقسم كل رتبة من هذه الرتب الي درجات لا تنحصر
فكذلك فافهم ان الناس في الاخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب
مدة ومن ناج تحلي في دار السلام ومن فايز والفايزون ينقسمون الي من
٤٤٤ تحلون في جنات عدن او جنات الماوي او جنات الفردوس والمعذبون

ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة والى سبعة الف سنة
وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وقد مر وكذا الهالكون الآيسون
من رحمة الله يتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات
والمعاصي فالنذكر كيفية توزعهما عليها اما الاولى وهي الهالك ونعني به
الآيس من رحمة الله اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من
رضى الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال ولندع هذه الرتبة (اي الرتبة) وتوزعها
في هذا المختصر فانه لا تحتملها واما الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة
من لم يخل باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان التوحيد
وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه
لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية
غير الله ومعنى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم
الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من
السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل من الاستقامة
ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في
كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم وذلك مقتضي لا محالة نقصانا
في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار جهنم كما مر ونار الفراق لذلك
الكمال الفايت بالنقصان ونار الفراق ربما غلبت النار المحرقة للاجسام
فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة ونار جهنم لا شغل لها
الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع الم الفواد ولذلك قيل
ففي فواد المحب نار هوى ... احر نار الجحيم ابردها ... وكيف ينكر هذا في الآخرة
وله نظير في الدنيا فقد روي ممن غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى
اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه
وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو

لا يشعر

لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب
قطعة من النار واحتراق الفواد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل
الاحساس بالاضعف والنار والسيف انما يولمان من حيث انه يفرق بين جزئين
ترتبط احدهما بالآخر برابطة التاليف المتمكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب
وبين محبوبه المرتبط به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو
اشد ايلاما ان كنت من ارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب
له شدة هذا الالام ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين
الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان
لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو
في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه
بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل
يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لآثر الهريسة والحلواء وهذا كله
لفقد المعنى الذي يصير الجاه به محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير
الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهايم والسباع ولم يظهر فيه الصفات
الملكية التي لا تناسبها ولا تلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا
الحجاب والبعد كما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذن فلا يكون
هذه الصفة فيمن لا قلب له فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له
ولا بصر له ليس له لذة الالحان وحسن الصوت والالوان وليس لكل انسان
قلب فلو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من
لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولسنا نعني بالقلب اللحم الصنوبري بل
نعني به السر الذي هو من عالم الامر وقد مر في قوله تعالى قل الروح من
امر ربي وهذا اللحم الذي من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وساير
الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا وهذا السر هو اللطيفة التي

اذا صلحت صلح لها ساير الجسد ومن عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه
عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روايح سر المطوي تحت قوله صلي الله عليه وسلم
ان الله خلق ادم علي صورته وينظر بعين الرحمة الي الجامدين علي ظاهر
لفظه والي المتعسفين في طريق تاويله وان كانت رحمته علي الجامد علي
اللفظ اكثر من رحمته علي المتعسف في التاويل لان الرحمة علي قدر المصيبة
ومصيبة اوليك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر
فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة
تختص بها من يريد ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وانما يؤتي ذلك
للمستعدين لها بالمجاهدة وتزكية القلب وترك الشهوات واللذات والمعرضين
عن الدنيا والمقبلين الي الاخرة والمتعرضين لنفحات الله بقدر استعدادهم
واعراضهم واقبالهم وتعرضهم وقد مر الاستقصاء في هذا البحث والمقصود
ههنا الرمز والاشارة الي ان نار الفراق اشد من نار جهنم فيكون كل مايل
عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين وشدة ذلك العذاب
وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما
قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوي وقلته واذ لا تخلو بشر
في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالي وان منكم الا واردها
كان علي ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
ولذلك كان الخايفون من السلف يقولون انما خوفنا لانا تيقنا انا علي النار
واردون وشككنا في النجاة ولما روي الحسن البصري الخبر الوارد فيمن يخرج
من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن ليتني كنت
ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار ما يدل علي ان اخر ما يخرج من النار بعد
سبعة الف سنة حتي قد يجوز بعضهم علي النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها
لبث وبين اللحظة وسبعة الف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع

والشهر

والشهر وساير المدد وان الاختلاف بالشدة لانهاية لاعلاه والاختلاف في العذاب
بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وقلة السيات
وكثرتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيات وكثرتها واما كثرته فبكثرتها
واما اختلاف انواعه فباختلاف انواع السيات وقد انكشف هذا لارباب
القلوب مع شواهد القران بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالي وما ربك
بظلام للعبيد وبقوله اليوم تجزي كل نفس بما كسبت وبقوله وان ليس للانسان
الا ما سعي وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
الي غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون الثواب والعقاب جزاء
علي الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال
سبقت رحمتي علي غضبي وقال وان تك حسنة يضاعفها واذن هذه الامور
الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيات معلومة
بقواطع الشرع ونور المعرفة واما التفصيل فمستنده الايات والاحاديث
والحدس المستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم
اصل الايمان واجتنب جميع الكباير واحسن واجاد جميع الفرايض اعني الاركان
الخمسة ولم يكن منه الا صغاير متفرقة في اوقات بعيدة لم يصر عليها فيشبه ان
يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته
علي سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات والجمعة وصوم رمضان كفارات
لما بينهن اذا اجتنبت الكباير وكذلك اجتناب الكباير بحكم نص القران مكفرة
للصغاير واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل
من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان
وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين
او بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلي فذلك
يتبع اصناف الايمان فان الايمان ايمانان ايمان تقليدي كايمان العوام يصدقون

بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله
حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره
اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون
في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملا الاعلى وهم ايضا على اصناف
فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله
ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير
ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق والطريق الى الله لا نهاية لمنازله
فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو
من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات
فالاعلى من درجات اصحاب اليمين يقارب رتبته رتبة الاولى من درجات
المقربين هذا حال من اجتنب الكباير وادى الفرايض كلها اعني اركان
الخمسة هي الشهادة بكلمتي الشهادة والصلوة والزكوة والصوم والحج واما من
ارتكب كبيرة او كباير او اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا
قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التايب من الذنب كمن لا ذنب له
والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلاً وان مات قبل التوبة فهذا امره
مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه
فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانا تقليديا فان التقليد وان كان
جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد عن
ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان بعد ما عذبا
بالمناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة
مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكباير ومن حيث اختلاف
النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب
نزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون

في اعلى

في اعلى عليين وفي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة
اضعاف ولا يخرج من النار الا موحد وليس المراد بالتوحيد ان يقول بلسانه
لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف
عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله وبعد الموت لا ينفع القول المجرد باللسان
وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله تعالى
وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسايط وانما يرى
مسبب الاسباب وقد مر وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد
مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في قلبه
مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار
من في قلبه مثقال دينار من ايمان وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من
ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال
وبين الذرة واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو
الديوان الذي لا يترك وفي الخبر ان العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من
الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون
قد سب هذا وتعرض بعرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من
حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملايكة يا ربنا قد فنيت حسناته
وبقي طالبون كثيرة فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار
وكما يهلك هو بسبب سيئات غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة
الظالم اذ ينقل اليه حسناته عوضا عما ظلمه به وقد حكي عن ابن الجلاء ان بعض
اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه كي يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة
افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ديوان اخواني من حسناتي
اريد ان ازين بها صحيفتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس
باسرع من الغيبة في حسنات العبد وقال صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل

رفاش

في عمركم احد مما عاملتم معه علي درهم او جالستم في مجلس الا وقد استحق عليكم مظلمة
بغيبة او خيانة او نظر بعين الاستحقار وقد ضعفتم عن مقاومتهم ومد عنق
الرجاء الي سيدكم ومولاكم لكي تخلصكم من ايديهم اذ قرع سمعكم نداء الجبار اليوم
تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلوبكم من الهيبة وتوقن
انفسكم بالبوار وتتذكرون ما انذركم الله تعالى علي لسان رسوله حيث قال
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
مهطعين مقنعي روسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافيدتهم هواء وقد مر فما اشد
فرحكم اليوم بتمضمضكم باعراض الناس وتناولكم اموالكم وما اشد حسراتكم
في ذلك اليوم اذا اوقف بكم علي بساط العدل وشوفهتم بخطاب السياسة وانتم
مفلسون عاجزون لا تقدرون علي ان تردوا حقا او تظهروا عذرا فعند
ذلك يوخذ حسناتكم التي تعبتم فيها عمركم وتنقل الي خصمائكم عوضا عن حقوقهم فانظروا
الي مصيبتكم في هذا اليوم وتفكروا فيه اذ ليس تسلم حسنة من افات الرياء
ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤكم
واخذوها ولعلكم لو حاسبتم انفسكم وانتم مواظبون علي صيام النهار وقيام
الليل لعلمتم انه لا ينقضي عنكم يوم الا ويجري علي لسانكم من غيبة المسلمين
ما يستوفي جميع حسناتكم فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير
في الطاعات وكيف ترجون الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء
فكيف حالكم يا عباد الله في يوم ترون صحيفتكم خاليا عن حسنات طال فيها
تعبكم فتقولون اين حسناتنا فيقال نقلت الي صحايف خصمائكم وترون صحايفكم
مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبكم واشتد بسبب الكف عنها عناؤكم
فتقولون يا رب هذه سيئات ما قارفناها قط فيقال هذه سيئات القوم
الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة و
المخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وساير اصناف المعاملة فاعظم

اي رافعي رؤوسهم المقنع الذي يرفع راسه ويقبل ببصره علي ما بين يديه قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر احد الى احد

كلمة وهو منها بريء ليشينه في الدنيا كان حقا علي الله ان يشينه بها يوم القيامة في
النار وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق
الجنة قال لها تطيبي قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزتي وجلالي لا يسكن
فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر علي الزنا ولا قتات
وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي
عهد الله ان افعل كذا ثم لم يف به وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى
فسوف يلقون غيا والغي واد في جهنم وان اودية جهنم تستعيذ من حره اعد
ذلك الوادي للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولاكل الربوا الذي
لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور ولامراة ادخلت علي زوجها
ولدا وللذين بايديهم سياط كاذناب البقر يضربون الناس وهم قوم يظهرون
في اخر الزمان فيا ايها الغافلون حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توزنوا وانما حسابكم علي انفسكم ان تتوبوا عن كل معصية قبل الموت
توبة نصوحا وتتداركوا ما فرط من تقصيركم في فرايض الله تعالى وترد المظالم
حبة بعد حبة وتستحلوا كل من تعرضتم بلسانكم ويدكم وسوء ظنكم بقلبكم وتطيبوا
قلوبهم حتي تموتوا ولم يبق عليكم مظلمة ولا فريضة والعياذ بالله ان متم قبل
رد المظالم احاط بكم خصماؤكم فهذا ياخذ بيدكم وهذا يقبض علي ناصيتكم وهذا
يقبض بعنقكم وهذا ياخذ بتلبيبكم هذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي
وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات
جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني
واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول
رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما
وكنت قادرا علي دفع الظلم وما راعيتني فبينما انتم كذلك وقد انشب الخصماء
فيكم واحكموا في تلابيبكم ايديهم وانتم مبهوتون ومتحيرون من كثرتهم حتي لم يبق

يذهب

بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى
ينتقم للمظلوم من الظالم فاتقوا عباد الله ومظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض
لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان من اجتمعت عليه
مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته
ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص
بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الي الله تعالي فينال به لطفه
الذي ادخره لاحبائه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم فتفكر الآن في نفسك
ان خلت صحيفتك عن المظالم وساير الذنوب وايقنت بسعادة الابد
كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك
خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاوة وبنعيم لا يدور
بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار
واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلايق رافعا
راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة النعيم وبرد الرضاء يتلالا من
جبينك والاولون والآخرون ينظرون اليك والي حالك ويغبطونك في
حسنك وجمالك والملايكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون علي
رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة
لا يشقي بعدها ابدا افتري ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها
في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت
تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الي ادراك هذه الرتبة بالاخلاص
الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالي فلن تدرك ذلك الا به
وان يكن الاخري والعياذ بالله بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها
هينة وهي عند الله عظيمة يمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء
لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملايكة

لغضب

لغضب الله تعالي فيقول وعليك لعنتنا ولعنة الخلايق اجمعين وعند ذلك
يتشبث اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها
وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك علي وجهك علي ملاء الناس يعتلون
وهم ينظرون الي سواد وجهك والي ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور
وهم يقولون لك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا اليوم ثبورا كثيرا وتنادي الملايكة
ويقولون هذا فلان بن فلان قد كشف الله عن فضايحه ومخازيه ولعنه بقبايح
مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة
من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك
اذ تحترز عن الافتضاح عند طايفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم
لا تخشي من الافتضاح العظيم في ذلك الملاء العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه
الاليم والسياق بايدي الزبانية الي سواء الجحيم فهذه بعض احوالك وانت بعد لم
تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط فتفكر ايها الغافل فيما نحل من الفزع بفوادك
اذ رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك علي سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق
النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي علي الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك
وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي علي بساط الارض فضلا
عن حدة الصراط فكيف حالك ايها الغافل اذ نادي الجبار فاهدوهم الي صراط الجحيم
وقفوهم انهم مسئولون فان من استقام في هذا العالم علي الصراط المستقيم فهو يخف علي صراط
الآخرة وينجو ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار من المظالم وغيره
وعصي يتعثر في اول قدم من الصراط ويتردي فكيف حالك اذا وضعت احدي رجليك
فاحسست بحدته واضطررت الي ان ترفع القدم الثاني والخلايق بين يديك يزلون
ويتعثرون ويتناولهم زبانية النار بالكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فتتسفل
الي جهة النار رؤسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقي ما اصعبه
ومجاز ما اضيقه فانظر الي حالك وانت ترجف عليه وتصعد عليه وانت مثقل الظهر

بالا وزار من المظالم وغيرها تلتفت يمينًا وشمالاً الي الخلق وهم يتهافتون في النار
والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل
عن الصراط من الخلايق فكيف بك لو زلت قدمك فناديت بالويل وقلت هذا
ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحيوتي فيا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانًا خليلاً يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيًا منسيًا
ياليت امي لم تلدني وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي
اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الي الصياح والانين والتنفس فكيف تري
الان غفلتك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما اطول مقامك
مع الكفار في دركات جهنم وكيف لا تؤمن وانت مؤمن واليهود والنصاري وساير
اهل الاديان معتقدون بذلك معترفون لهذه الاخطار خايفون منه وكتب الله
المنزلة وانبياؤه المرسلة متفقون علي ذلك وان كنت مؤمنًا وعنه غافلا وبالاستعداد
متهاونًا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك علي السعي في طلب
رضاء الله بطاعاته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا ذلك الاهوال وارتياع
قلبك في خطرك في الجواز علي الصراط وان سلمت وجزت فناهيك هولاً وفزعًا
ورعبًا وعن ابن مسعود انه صلي الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والاخرين لميقات
يوم معلوم قيامًا اربعين سنة شاخصة ابصارهم الي السماء ينتظرون فصل
القضاء وذكر الحديث الي ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤسكم
فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم علي قدر اعمالهم فمنهم من يعطي نوره مثل
الجبل العظيم يسعي بين يديه ومنهم من يعطي نوره اصغر من ذلك ومنهم
من يعطي نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطي اصغر من ذلك حتي
يكون آخرهم رجلا يعطي نوره علي ابهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة
فاذا اضاء قدم قدمه واذا اظلم قام ثم ذكر مرورهم علي الصراط علي قدر
نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب

ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس حتي يمر الذي اعطي نوره
علي ابهام قدمه يحبو علي وجهه ويديه ورجليه تخر منه يد وتعلق اخري
وتعلق رجل وتخر اخري ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتي تخلص
فاذا خلص وقف عليها فقال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم يعط احدا اذ نجاني
منها بعد اذ رايتها فينطلق به الي غدير عند باب الجنة فيغتسل الحديث
وكل ذلك التفاوت باعتبار تفاوت الطاعات والمعاصي يطول فكرك فيه
انها المغرور المخذول الناسي العاصي فان اسلم الناس عن اهوال القيامة من
طال فيها فكره في الدنيا فان الله لا يجمع علي عبد بين خوفين فمن خاف هذه الاهوال
في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك وترق
قلبك حال الاستماع ثم تنساه علي القرب وتعود الي لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف
في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك
عن معاصي الله ويحثك علي طاعة الله وابعد من رقة النساء خوف الحمقي اذا سمعوا
الاهوال سبق السنتهم بالاستعاذة فقال احدهم استعنت بالله سلم سلم وهم مع ذلك
مصرون علي المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك
علي من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا راي انياب السبع وصولته
من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعيذ بشدة بنيانه واحكام
اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك عنه من السبع
وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعني
كونه صادقا ان لا يكون مقصوده سوي الله ولا معبوده غيره ومن اتخذ الهه
هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه وكل ذلك
جزاء اعمالهم وما ربك بظلام للعبيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح لا ريب
فيه فليس للانسان الا ما سعي وسعيه هو الذي سوف يري وكل نفس بما
كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا

لما

لقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم الرتبة الثالثة رتبة الناجين
والمراد بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم
ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والمعتوهين والذين
لم يبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة
ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من
اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين منزلتين ومقام بين
المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وقد مر في سورة الاعراف تحقيقه وحلول طائفة
من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار فاما الحكم على الغير فلا اطلاع عليه
يقينا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان
ايضا متعارضة الرتبة الرابعة رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقلدين
وهم المقربون السابقون فان المقلدين وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة
فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان
والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن وقد مر وليس بعد بيان الله بيان والذي
لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين الآية وقوله عليه السلام اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي
لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه
والعسل والخمر والحلي والاساورة انهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعون
بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية
اللذات قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى انفسهم ومثالهم
مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر
فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر

ولم يبق متسع لغير محبوبه صح
نسخه

عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه
هما واحدا وهو محبوبه حتى لا يلتفت الى غير محبوبه لا نفسه ولا غير نفسه
وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم
على قلب بشر كما لا يتصور ان تخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه
الى ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة فيعلم قطعا انه لم يتصور ولا عبرة له
ان يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء
فعند ذلك يدرك ذوق الحيوة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون عن
ابي حازم المدني انه قال اني لاستحيي ان اعبده خوفا من ناره فاكون مثل العبد السوء ان لم
يخف لم يعمل واستحيي ان اعبده طمعا في جنته فاكون كالاجير السوء ان لم يعط اجره لم يعمل ولكني
اعبده لانه اهل للعبادة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ومن اظلم ممن عبدني لجنة
او نار ولو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع وعن ابن المبارك قال صعدت جبل لبنان
فاذا برجل عليه جبة صوف مفتقة الاكمام فلما راني اختفى وراء شجرة فناشدته بالله
فظهر فقلت انكم معاشر العباد تصبرون على الوحدة وتقاسون في هذه القفار الوحشة
فضحك ووضع كمه على راسه وانشا يقول يا حبيب العارفين من لي سواكا
ارحم اليوم مذنبا قد اتاكا انت سؤلي ومنيتي وسروري قد ابى القلب ان يحب سواكا
يا مناي وسيدي واعتمادي طال شوقي متى يكون لقاكا ليس سؤلي من الجنان نعيم
غير اني اريدها لالقاكا قال ثم غاب عني فتعاهدت ذلك الموضع سنة لاقع عليه
فلم اره فلقيني غلام ابي سليمان الداراني فسالته عنه واعطيته صفته فبكى وقال
واشوقاه الى نظرة اخرى منه فقلت من هو قال ذلك عباس المجنون ياكل في كل شهر
اكلتين من ثمار الشجر ونبات الارض يتعبد منذ ستين سنة قال يحيى بن معاذ الرازي
الخلق ثلاثة رهباني وجناني ورباني فالرهباني الذي يعبده خوفا من النار والجناني
الذي يعبده لطمع الجنة والرباني الذي لا يعبده خوفا من النار ولا طمعا في الجنة بل يعبده
محبة له وشوقا اليه فاذا بعثوا يوم القيامة يقال للرهباني كنتم تعبدون خوفا ورهبة

من النار فقد انجاكم منها فيقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ويقال للجناني
كنتم تعبدونه طمعا في الجنة فادخلوها فيدخلونها فيقولون الحمد لله الذي
صدقنا وعده ويقال للرباني كنتم تعبدونه شوقا الي فها انا جزاكم فانظروا
الي وتمتعوا بلقائي فيقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله قال الجنيد بت عند السري السقطي ليلة فلما كان بعض
الليالي قال لي يا جنيد انت نايم قلت لا فقال الساعة وقفني الحق بين يديه
وقال يا سري تدري لم خلقت الخلق قلت لا قال خلقت الخلق ليعرفوني
فيحبوني فيعبدوني فادعوا محبتي فخلقت الدنيا فاشتغل بها من عشرة
الف فرقة تسعة الف وبقي الف فخلقت الجنة فاشتغل عن الالف تسعماية بالجنة
عني وبقي ماية فسلطت عليهم شيئا من البلاء فشغل عني بالبلاء من الماية تسعون
وبقي عشرة فقلت لهم من انتم لا الدنيا اردتم ولا في الجنة رغبتم ولا من البلاء هربتم فماذا
تريدون قالوا انك تعلم ما نريد فقلت اني انزل عليكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال
الرواسي افتثبتون لذلك فقالوا الست انت الفاعل بنا قد رضينا قال فانتم عبيدي
حقا وهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات والدركات على الحسنات
والسيئات والرمز الي سر قوله تعالى جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون
اي لا يخافون حسابا وقيل كانوا شاكين او جاحدين منكرين للبعث
لم يكونوا يؤمنون حسابا وثوابا بعده وهم الزنادقة وهي قسمان الدهريون
والطبعيون وكل من كان علي اعتقادهم واكثر الناس انما تزندق بسبب
الاشتغال بعلومهم وان كانوا لا يظهرون ذلك خوفا من الناس ولا يعلمون ان
كفرهم اشد من كفر اليهود والنصاري وان كنا نحكم باسلامهم نظرا الي ظاهرهم
نحن نحكم بالظاهر والله متولي السراير فانهم اذا ماتوا علي اعتقادهم الباطلة
تخلدون في اشد العذاب وكذلك كل من فسدت عقيدته بسبب الصحبة
والمجالسة مع المشتغلين بعلومهم ولقد شاع ذكر في زماننا هذا نعوذ بالله من شر

اكثر

ههنا صح

هذا الزمان واهله والله المستعان وعليه التكلان وكذبوا باياتنا كذابا اي تكذيبا
جحد بعضهم بقلبه وانكر بلسانه واقر بعضهم بلسانه ولم يصدق بقلبه وانكر
بعضهم وشك واقر بعضهم وشك ومصداق التصديق العمل ومصداق التكذيب
وعلامته الكسل عنه وقد مر في صفة المنافقين واما ذاتهم في قوله واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالي وكل شيء احصيناه كتابا في موضع المفعول المطلق تقديره
احصيناه احصاء او كتبناه كتابا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معني الضبط والتحصيل
او حال في معني مكتوبا في اللوح المحفوظ وفي صحف الحفظة والمراد احصاء معاصيهم
كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض فذوقوا مسبب عن عدم رجائهم الحساب
وتكذيبهم بالايات فلن نزيدكم الا عذابا وهي اية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم
وبدلالته علي ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة ومجيئها علي طريق
الالتفات شاهدا علي ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية
اشد ما في القران علي اهل النار يعني لا ينقصون من هذه العذاب بل يزدادون
عليه ما هو اشد بلاء منه وقال محمد بن كعب القرظي ان اهل النار يوم القيامة
من شدة حر النار يسالون الله تعالى البرد فينزل الله عليهم البرد فيصيبهم منه
وعذاب من البرد اشد مما كانوا فيه من الحر ثم يسالون الله الحر فيرسل الله
عليهم الحر ويغشاهم النار والحرارة والعذاب من كل جانب فيقال لهم ذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا وهذا العذاب للذين لا يرجون ولا يأملون حسابا
بل لهم شك في البعث او انكار ولكل من مات علي الكفر وسوء الخاتمة من اهل
الاسلام والقبلة ولساير الملل من الكفار ان للمتقين مفازا نجاة من النار وظفرا
بالبغية قال ابو عبد الرحمن بن احمد النيسابوري رحمه الله في تفسيره معناه ان
للمتقين من الشرك والكباير والفواحش مفازا من النار وقربا الي الله تعالى
حدايق واعنابا الكروم وكواعب نواهد اترابا لذات مستوية في السن
ثلث وثلثين سنة وكذلك من الرجال وقيل ثلثين سنة قال النبي صلى الله عليه وسلم

ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الي الارض لاضاءت ولملات ما بينهما رائحة ولنصيفها
علي راسها خير من الدنيا وما فيها وعنه صلي الله عليه وسلم ان ادني لؤلؤة عليها
لتضيء ما بين المشرق والمغرب فانه يكون عليها سبعون ثوبا يري مخ ساقها
من وراء ذلك وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت
مشي عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ولمثل
هذا فليعمل العاملون وكاسا دهاقا مملوة متتابعة من الرحيق المختوم
ممزوج به السلسبيل العذب من كاس يشرق نوره من ضيا جوهره يبدو
الشراب من ورائه برقته وحمرته في كف ساق تحكي ضياء وجهه الشمس في
اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة
احداقه جالسين علي كرسي من الياقوت الاحمر في خيام اللؤلؤ الرطب الابيض متكئين
علي اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة
بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان يمشين في حدائق
الجنان اذا اختالت احديهن في مشيتها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان
عليها من طرائف الحرير ما يتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ
والمرجان شكلات غنجات عطرات لكل ذلك جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون
فيها لغوا بل كلامهم حكمة ولا كذابا اي لا يكذب بعضهم بعضا لان كلامهم حق وصدق
لا يمكن التكذيب الا بالتعنت الحاصل من الحقد والحسد والغل والمخالفة
وهم اخوان علي سرر كما مر في قوله تعالي ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
علي سرر متقابلين جزاء من ربك عطاء حسابا اي كافيا من احسبه الشيء
اذا اعطاه حتي قال حسبي وقيل معناه عطاء علي حسب اعمالهم اي جزاء بقدر
اعمالهم موافقا لها وهذا العطاء كله للمتقين اعلم ان التقوي كنز عزيز فلئن
ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير

وغنم جسيم وكان خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة
التي هي التقوي وتامل ما في كلام الله تعالي من ذكرها فان الله تعالي كم علق بها من
خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة فمن جملتها المدحة
والثناء من الله تعالي كقوله تعالي وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
ومنها الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالي وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئا ومنها التاييد والنصرة قال الله تعالي ان الله مع الذين اتقوا وقال ان الله مع
المتقين ومنها النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال الله تعالي ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح العمل قال الله تعالي
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ومنها غفران الذنوب
قال الله تعالي يغفر لكم ذنوبكم ومنها محبة الله تعالي قال الله تعالي ان الله يحب المتقين
ومنها القبول قال الله تعالي انما يتقبل الله من المتقين ومنها الاكرام والاعزاز
قال الله تعالي ان اكرمكم عند الله اتقاكم ومنها البشارة عند الموت الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ومنها النجاة من النار قال الله تعالي
ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها الاتقي ومنها الخلود في الجنة قال الله تعالي وسارعوا الي
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون
في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب
الا الله ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين وقال تعالي ولنعم دار المتقين
جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي
الله المتقين وقال ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقيهم عذاب
الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين علي سرر مصفوفة وزوجناهم بحور
عين

وقال تعالى الاخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ الا المتقين فهذا لكل خير وسعادة في
الدارين تحت هذه التقوي فلا تنسى نصيبك ايها الرجل منها ثم ان مدار العبادة التوفيق
اولا حتي تعمل ثم الاصلاح للتقصير حتي يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلثة هي التي
يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسألون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك
واتمم تقصيرنا وقد وعد الله ذلك كله للمتقي سئل او لم يسأل قال الله تعالى
ان الله مع المتقين وقال يصلح لكم اعمالكم وقال انما يتقبل الله من المتقين
فعليك يا اخي بالتقوى ان اردت سعادة الدنيا والعقبي الموت بحر غالب
موجه يذهب فيه حيلة السابح لا يصحب الانسان في قبره غير التقي والعمل
الصالح من اتقي الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح وعن ابي الدرداء
يريد المرء ان يعطي مناه ويابي الله الا ما اراد يقول المرء فايدتي ومالي
وتقوي الله افضل ما استفاد وانشد ما يصنع العبد بعز الغنى
والعز كل العز للمتقي ولابن المعتز خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي
واحذر كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يري لا تحقرن صغيرة لان الجبال
من الحصي وقال العبسي ولست اري السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوي الله خير الزاد ذخرا وعند الله للاتقي مزيد روي ان بعض
الصالحين قال لشيخه اوصني بوصية فقال اوصيك بوصية الله تعالى
رب العالمين للاولين والاخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح
للعبد واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر واولي بالحال وانجح
للمآل من هذه الخصلة التي هي التقوي لكان الله سبحانه امر بها عباده
واوصي خواصه بذلك لكمال حكمته ورحمته قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد
وتنبيه وتاديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق
بحكمته ورحمته فهذه الخصلة هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية

لجميع المهمات المبلغة الى اعلي الدرجات في العبودية فان قلت فما حد التقوي وما
تفصيلها قلنا اما تفصيلها فالقرآن والحديث في تفصيل هذه الخصلة واما
حدها فالتقوي اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك وليس وراء تعريف
الله تعريف وقد عرف الله في ايات منها قوله تعالى ولكن البر من آمن
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي
القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام
الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون يعني فهذا هو
المتقي المطلق الثابت لا ريب فيه والذي يلي هذه الايات في التقوي قول النبي صلى الله عليه وسلم
جماع التقوي في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية منها ما من مولود
الا يولد على الفطرة وابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة
جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة واقرؤا ان شئتم فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله الاية وفي رواية ما من مولود الا وهو
على الملة وفي رواية ليس من مولود يولد الا على هذه الفطرة حتي يعبر عنه لسانه
قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين وفي رواية
سئل عن اولاد المشركين من يموت منهم صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين وفي
رواية ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا
وفي حديث عايشة توفي صبي من الانصار فقالت طوبي له عصفور من عصافير
الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق للجنة اهلا
خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم
قال الامام المحقق والحبر المدقق اجمع من يعتد به من علماء المسلمين
على ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا
وتوقف فيهم بعض من يعتد به لحديث عايشة هذا واجاب العلماء عنه

فانه لعله نهاها عن المسارعة الي القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما
انكر علي سعد بن ابي وقاص في قوله اعطه اني لاراه مؤمنا قال او مسلما الحديث
ويحتمل انه صلي الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة
فلما علم قال ذلك كما في قوله صلي الله عليه وسلم ما من مسلم يموت له ثلثة من الولد
لم يبلغوا الحنث الا ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وغير ذلك من الاحاديث
والله اعلم واما اطفال المشركين ففيهم ثلثة مذاهب قال الاكثرون هم في النار
تبعا لابائهم وتوقفت طائفة فيهم والثالث هو الصحيح الذي ذهب المحققون
انهم من اهل الجنة ويستدلون له باشياء منها حديث ابرهيم الخليل صلي الله عليه وسلم
في الجنة وحوله اولاد المشركين قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد
المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالي وما كنا معذبين
حتي نبعث رسولا ولا يتوجه علي المولود التكليف ولا يلزمه قول الرسول
حتي يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم واما الفطرة المذكورة في هذه الاحاديث
فقال المازري قيل هي ما اخذ عليهم وهم في اصلاب ابائهم وان الولادة تقع عليها
حتي يحصل التغيير بالابوين وقيل غير ذلك وقال ابو عبيد سالت محمد
بن الحسن عن هذا الحديث فقال كان هذا في اول الاسلام قبل ان ينزل
الفرايض وقبل الامر بالجهاد قال ابو عبيد كانه يعني انه لو كان يولد
علي الفطرة ثم مات قبل ان يهوده ابواه او ينصرانه لم يرثهما ولم يرثاه لانه مسلم
وهما كافران ولما جاز ان يسبي فلما فرضت الفرايض وتقررت السنة علي خلاف
ذلك علم انه يولد علي دينهما فعل علي غير ذلك والاصح ان معناه ان كل مولود
يولد متهيا للاسلام فمن كان ابواه او احدهما مسلما استمر علي الاسلام في احكام
الاخرة والدنيا وان كان ابواه كافرين جري عليه حكمهما فيتبعهما في احكام
الدنيا وهذا معني يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي يحكم له بحكمهما في الدنيا
فان بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما فان كانت سبقت له سعادة اسلم والا مات

علي كفره وان مات قبل بلوغه فهل هو من اهل الجنة ام النار يتوقف فيه فيه المذاهب
الثلثة السابقة فربما الاصح من اهل الجنة والجواب عن حديث الله اعلم بما كانوا
عاملين انه ليس فيه تصريح بانهم في النار وحقيقة لفظه الله اعلم بما كانوا عاملين
لو بلغوا ولم يبلغوا والتكليف لا يكون الا بالبلوغ واما غلام الخضر فتناول ان الله
اعلم انه لو بلغ لكان كافرا لا انه كافر في الحال ولا تجري عليه في الحال احكام الكفار
والله اعلم واما قوله كما تنتج الحديث معناه كما تلد البهيمة بهيمة جماء مجتمعة الاعضاء
سليمة من النقص لا يوجد فيها جدعاء وهو مقطوعة الاذن او غيرها ومعناه
ان البهيمة كاملة الاعضاء لا نقص فيها وانما يحدث فيها النقص والجدع بعد
ولادتها رب السموات والارض وما بينهما الرحمن رباهم ورحمهم حين اعطاهم عطاء
حسابا كما كان قبل ذلك يربيهم ويرحمهم وهو الرب والرحمان فيهما وفيما بينهما
لا يملكون منه خطابا اي لا يملك اهل السموات والارض شفاعة الا باذنه يوم يقوم
الروح والملائكة متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعني ان الذين هم افضل الخلايق
واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين
يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض قال ابن مسعود الروح ملك
اعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل
يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك يجي يوم القيامة صفا
وحده وقال الضحاك هو جبريل عليه السلام وهو روي عن ابن عباس ان
عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع
يدخل جبريل عليه السلام فيه كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الي نوره وجمالا الي
جماله وعظما الي عظمه ثم ينتفض فيخلق الله عز وجل من كل قطرة تقع من
ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم سبعون الف ملك البيت المعمور وفي الكعبة
سبعون الفا لا يعودون الي ان تقوم الساعة وقال وهب ان جبريل واقف بين
يدي الله ترعد فرايصه يخلق الله عز وجل من كل رعدة مائة الف ملك فالملائكة

صفوف بين يدي الله منكسون رؤسهم فاذا اذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله
وهو قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وقال لا اله الا الله وقيل هما شرطان ان يكون المتكلم ماذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب
فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال الشعبي صوابا
حقا في الدنيا وعمل به ذلك اليوم الحق يعني القيامة لكائن فمن شاء اتخذ الى ربه
مآبا مرجعا وسبيلا الى طاعته انا انذرناكم عذابا قريبا يعني القيامة يوم ينظر
المرء ما قدمت يداه اي اي شيء قدمت يداه قبل المرء عام وعن قتادة هو المؤمن
ويقول الكافر وعن عبد الله بن عمر اذا كان يوم القيامة مد الارض مد الاديم وحشر
الدواب والبهائم والوحش ثم تجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة
الجماء من الشاة القرناء ان تنطحها فاذا فرغ من القصاص قال لها كوني ترابا فعند
ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا يتمنى ويقول يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير
رزقي كرزقه وكنت اليوم في الاخرة ترابا وقال عكرمة بلغنا ان السباع والوحوش
والبهائم اذا راين يوم القيامة بني ادم وما هم فيه من الغم والهم والحزن قلن
الحمد لله الذي لم يجعلنا مثلكم فلا جنة نرجو ولا نارا نخاف قال ابو هريرة فيقول التراب
للكافر لا ولا كرامة لك بسم الله الرحمن الرحيم
والنازعات غرقا اقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع الارواح من الاشباح غرقا اي
اغراقا واراد به المبالغة في النزع بحيث يستغرق جميع اجزاء الروح والجسد
ولذلك يشتد المه فان الجرح الحريق انما يولم لان الاثر يسري من العضو الى
الروح فبقدر السراية يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم والعظم والعصب
وساير الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر والم النزع يباشر نفس الروح
اذ هو عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه المنتشر
المنبث في اعماق البدن فانتزع من كل عرق وعصب ومفصل ومن
كل جزء من اجزاء البدن ومن اصل كل شعرة وبشرة ومن القرن الى

وقيل ان الكافر هاهنا ابليس وذلك انه عاب آدم انه خلق من التراب وافتخر بانه خلق من النار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ابليس يا ليتني كنت ترابا صح

القدم عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان قطرة من الم الموت وضعت على
جبال الارض كلها الذابت وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته
والمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وروي انه كان عنده قدح من ماء
عند الموت فجعل يدخل يده في الماء حتى يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات
الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول عليك لا كرب
على ابيك بعد الموت وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعالج كرب الموت وسكرات
الموت وان مفاصله لتسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وافارقك
الى يوم القيامة وقال الله تعالى لموسى حين صار روحه اليه يا موسى كيف وجدت
الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يلقى على المقلى لا يموت فيستريح ولا
ينجو فيطير وعنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب الحذر الحذر
ايها المغرورون بالدنيا الحذر الحذر ايها المتبعون شهواتها ولذاتها من سكرات
الموت واهوالها وداوهيها اذا كان هذا حال الانبياء عند سكرات الموت فما حالنا
ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي من
مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب ولو راى صورته
التي عليها يقبض روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته روي
ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة
التي فيها تقبض روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض
عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج
من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشي على ابراهيم ثم افاق وقد عاد ملك
الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة
وجهك لكان حسبه نعوذ بالله لو رايناها في منامنا ليلة لتنغص علينا بقية
عمرنا فكيف برؤيته وهو ينتزع ارواحنا من اجسادنا والعياذ بالله من يوم
يجيء الملكان الحافظان فيه فيقولان لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا

وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا ثم بعد
ذلك تشاهد العصاة منازلهم من جهنم ويتمنون البقاء في النزع ابدا فلا تسال عن دواهي
الموت وكربه والم الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض
لان القطع انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح
وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع
صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد
علي قلبه وغلب علي كل موضع فيه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك
له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيته الوسوسة واما اللسان فقد
ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر علي الاستراحة بالانين والصياح
والاستغاثة ولكنه لا يقدر علي ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع [illegible]
وجذب روحه خوار وغرغرة من حلقه وصدره واما الوجه فقد تغير
لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه
كل عرق علي حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الي
اعالي جفونه ويتقلص اللسان الي اصله وترتفع الانثيان الي اعلي مواضعها
وتخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان
المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم
لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه
تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد
سكرة وكربة كربة حتى تبلغ بها الي الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن (بعد)
الدنيا واهلها فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته
وقوله غرقا اشارة الي كل ذلك اي اغراقا في النزع من اقاصي الابدان
من انامله واظفارها ومن كل جزء من اجزائها ويستغرق الالم جميع
الاجزاء كما مر اليه والناشطات نشطا قال ابن عباس هي الملايكة التي تنشط

يعني الملايكة تقبض نفس المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير

ثم ارواح المؤمنين تسبق الي الملايكة شوقا الي لقاء الله وقيل النجوم تسبق بعضها بعضا في السير

نفس المؤمن فيقبضها وعنه هي نفس المتقين تنشط للخروج لانه ليس من متق يحضره الموت
الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيري ازواجه من الحور العين تدعونه فتنشط
للخروج وقيل هي كلاب في النار تنشط اللحم عن العظم من العاصين والسابحات سبحا يعني النجوم
قال علي رضي الله عنه هي الملايكة تسبح بارواح المومنين المتقين وقيل هم الملايكة
ينزلون من السماء مسرعين فالسابقات سبقا قال مقاتل هم الملايكة الذين يسبحون
اي يسرعون فيسبقون بارواح المتقين الي ما اعد الله لهم في الجنة وقال ابن مسعود
هي ارواح المتقين يسبقن الي اعوان ملك الموت الذين يقبضونها وقد عاينت
السرور شوقا الي لقاء الله عز وجل ورحمته وكرامته فالمدبرات امرا اي تسرع
فتسبق الي ما امروا فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم
لهم عن عبد الرحمن بن سابط قال تدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت
واسرافيل عليهم السلام فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل
بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح واما اسرافيل فهو ينزل
بالامر اليهم والمقسم عليه محذوف وهو قوله تعالى لتبعثن ولتجزون لدلالة ما
بعده عليه من ذكر القيامة يوم ظرف لهذا المحذوف ترجف تتزلزل وتتحرك
عندها الارض والجبال وكل شيء الراجفة اي الواقعة التي ترجف لها كل شيء وصفت
بما تحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية
قلوب يومئذ واجفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة مضطربة من شدة الخوف
ابصارها خاشعة ذليلة والضمير للقلوب والمعني ابصار اصحابها بدليل قوله
يقولون اينا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت ائذا كنا عظاما
نخرة وهي البالية الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره
اذا كنا عظاما نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة منسوبة الي الخسران او خاسر
اصحابها والمعني انها ان صحت فنحن خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم
فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة

يعني النفخة الاخيرة

وقيل النجوم تسبق بعضها بعضا في السير

والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال ... والواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى

يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة
يريد النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في
جوفها والساهرة الارض البيضاء المستوية وعن ابن منبه هي جبل عند بيت المقدس
وقال سفين هي ارض بالشام وعن عثمان بن العاتكة قال هي جبل حسبان وجبل اريحا
يمده الله كيف يشاء وعن ابي ادريس الخولاني رضي الله عنه انه قال تحول الله تعالى
يوم القيامة صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرض السماء والارض ثم يضع عليها
عرشه ويضع الميزان ويقضي بين عباده ومنها يصيرون الى الجنة والنار وعن مقاتل
ان الحوت الذي تحمل الارضين على ظهره وسطه تحت بيت المقدس ومن سره ان يمشي
في روضة من رياض الجنة فليمش في صخرة بيت المقدس ويوم ينادي المنادي
من مكان قريب صخرة بيت المقدس فينفخ اسرافيل في الصور على صخرة بيت المقدس
تنادي ايتها العظام البالية واللحوم الممزقة والعروق المتقطعة اخرجوا الى حسابكم
ينفخ فيكم ارواحكم وتجازون باعمالكم ومنه يتفرق الى الجنة والنار وكان صلى الله عليه وسلم
اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة
لازمة اما بشقاوة او بسعادة جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت
بما فيه وذلك ليتنبهوا ويتفكروا في اهوالها لينبعث من قلوبهم دواعي الاستعداد
واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الاخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل
على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها
مع ما اكتنفوا من هذه المصاعب والاهوال نعم اذا سئلوا نطقت به السنتهم ثم نطقت
عنه قلوبهم ومن اخبر ان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت
ومد اليد لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب
اللسان فيا معشر المؤمنين الذين قالوا بلسانهم امنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم
بادروا بتقوية ايمانكم قبل ان يفجأكم المنايا وتختطفكم الحذر الحذر ايها المغرورون
بالدنيا الفانية فقد جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت هادم اللذات

ومفرق الجماعات بما فيه فاكثروا التفكر والاعتبار ليزول عن قلوبكم الراحة والقرار
تستعدوا للعرض على الجبار تفكروا فيما يقرع سمعكم بعد ما قاسيتم ما قاسيتم في القبور
تحت الاحجار والصخور مغتربين مستوحشين لا تستانسون بالعمران ولا تواصلون
تواصل الجيران والاخوان وطحنكم بكلكلة البلى والكلتكم الجنادل والثرى واصبحتم
بعد الحيوة امواتا وبعد نضارة العيش رفاتا من شدة نفخة الصور فانها
صيحة ينفرج بها القبور عن رؤسكم فتثورون دفعة واحدة من القبور التي
طال فيها بلاؤكم وقد اذ عجكم الفزع والرعب مع ما كنتم فيه قبل ذلكم من الغموم والهموم
وشدة الانتظار لعاقبة الامر ولو لم يكن الا هول الراجفة والرادفة لكان جديرا
بان تنشق مرارتكم من الخوف والخشية ولكن الخوف انما تحصل بقوة الايمان
والعلم انما يخشى الله من عباده العلماء فتفكروا في ذلكم وانكساركم عند انبعاثكم
خوفا من الرادفة وانتظارا لما يقضي عليكم من سعادة او شقاوة فويل لكم ثم ويل
لكم في ذلك اليوم ان كنتم في الدنيا من المترفين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض
في ذلك اليوم هم اذل اهل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر
فتفكروا في حالكم عند ذلك وحال قلوبكم فتشمروا للاستعداد ايها الغافلون
البدار البدار ايها العاصون وانظروا كيف تساقون بعد ذلك حفاة عراتا
الى الساهرة وهي ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا
ترون فيها ربوة تستخفي بها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه تساقون
اليه زمرا فسبحان من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض وساقهم
بالراجفة تتبعها الرادفة وحقيق لتلك القلوب ان يكون واجفة ولتلك الابصار ان
تكون خاشعة زجرة زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة ولا تظنن ان الساهرة مثل ارض
الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم كما مر في تفسير قوله يوم تبدل الارض غير الارض
قال ابن عباس يزاد فيها وينقص ويذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها
وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها
خطيئة

والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها قال صلى الله عليه وسلم تحشر الناس
يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد فتنبهوا
ايها الغافلون عن هذه الشدايد الجاهلون جهول ليس ينهاه النواهي
ولا يلقاه الا وهو ساهي يستن بيومه لعبا ولهوا ولا يدري وفي غده الدواهي
من رق بقصر فرايت امرا عجيبا فيه مزدجر وناهي بدا فوق السرير فقلت من ذا
فقالوا ذاك الملك المباهي واتيت الباب سود والجواري يبكين وهن يكسرن الملاهي
تبين اي دار انت فيها ولا تسكن اليها وادرها هي كيف بكم اذا جمعتم بالساهرة
عارين مكشوفين ذليلين متحيرين منتظرين لما يجري عليكم من القضاء
بالسعادة او بالشقاوة فما اعظم هذه الحالة فما افضعها وكيف بكم حين ازدحم على
الساهرة اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجني وانسي وشيطان ووحش
وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت
عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على
الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون
فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد
الكرب والغم من وهجها ثم تدافعت الخلايق ودفع بعضها بعضا لشدة الزحام
واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح عند العرض
على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء
والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع
الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق حقوته وبعضهم الى شحمة اذنيه
وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس
يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري
ومسلم في صحيحيهما وفي حديث اخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السماء
فيلجمهم العرق من شدة الكرب فتاملوا ايها المذنبون في عرق اهل المحشر وشدة

كربهم وان فيهم من ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى
النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا واعلموا ان كل عرق لم يخرجه
التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام ليل وتردد في قضاء حاجة
مسلم وتحمل مشقة في امر معروف ونهي عن منكر فيستخرجه الحياء والخوف
في صعيد القيامة اعني الساهرة ويطول فيها الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل
والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر
زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة بالساهرة فانه يوم عظيم شدته
طويل يوم واي يوم يوم الحسرة والندامة ويوم الفضيحة والملامة يوم توضع
الموازين وتنشر الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النار ويئس
الكفار وسعرت النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان
ترد فيه المعاذير وتبلى السراير وتظهر الضماير وتكشف الاستار وتخشع الابصار
يوم تساق فيه العباد ومعهم الاشهاد وتشيب الصغير ويسكر الكبير
فارهبوا من هذا اليوم العبوس القمطرير يوم تجزى العاصي فيه بعذاب الزمهرير
لو تصفحتم وجوه القوم في يوم المصير لم تميزوا لا يعرف غني من فقير
استووا عند مليك عساويهم خبير ربكم يعدل لا يظلم مثقال النقير هل اتيك
حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى
فقل هل لك الى ان تزكى ان تطهر عن الشرك والكبر وساير المعاصي
واهديك الى ربك ارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان
الخشية لا يكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي
العلماء به قال سهل التستري الناس ثلثة عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون
وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم
المومنين وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون والخشية انما تغلب عليهم
وامره بذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن
الله موسى

عقابه صح

اجترى على كل معصية وشر وانما امره ان يقول واهديك الى ربك اي الى
معرفة صفاته وافعاله لان المعرفة يورث حال الخوف واحتراق القلب
ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما
في البدن فبالنحول والصفار والزعقة والبكاء وقد تنشق منه المرارة فيفضي
الى الموت واما في الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط
واستعدادا للمستقبل واما في الصفات فيقمع الشهوات ويكدر اللذات فيصير
المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما تصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا
عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح وتحصل
في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد
بل يصير مستوعب القلب والهم لخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره
ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات
ومواخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات وقوة المراقبة والمجاهدة
بحسب قوة الخوف وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته
وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل
درجات الخوف ان يمنع من المحظورات ويسمى الكف عن المحظورات ورعا
فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن ايضا
تحريمه ويسمى ذلك التقوى اذ التقوى فرط الصيانة وان يترك ما يريبه
وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق
في التقوى فانضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع
ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انه يفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا
من انفاسه وهو الصدق وصاحبه جدير ان يسمى صديقا ويدخل في
الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها
عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يوثر في

الجوارح خاصة بالكف والاقدام وتجرد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى
الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه
اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب فتعين
ان الخشية هي السبب الى السعادة الابدية اذ لا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه
والقرب منه ولا وصول الى سعادة لقاء الله في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به
في الدنيا ولا يحصلان الا بالمعرفة ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة
الا بدوام الفكر ولا تحصل الانس الا بدوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر
والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا
وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع
بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ففضيلة الخشية بقدر ما تحرق
من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك
باختلاف درجات الخشية وكيف لا يكون الخشية ذا فضيلة وبه تحصل العفة
والورع والتقوى والمجاهدة كما ذكرنا وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي يتقرب
بها الى الله تعالى فالان تبين فايدة قوله واهديك الى ربك فتخشى وانما
بدا مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك
ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله
بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبرى
وهي العصا واليد البيضا فكذب بموسى والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا
وعصى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اي لما راى الثعبان
ادبر مرعوبا يسرع في مشيته فحشر جمع السحرة وقومه فنادى فقال
انا ربكم الاعلى فاخذه الله عاقبه نكال الاخرة والاولى يعني في الدنيا بالاغراق
وفي الاخرة بالاحراق والنكال مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل
نكل الله به نكالا والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وقد مر القصة ان في

ذكر لعبرة لمن يخشى وتذكرة له ولا يقبل به ولا ينتفع الا من يخشى الله وسوء
العاقبة كعاقبة فرعون بسبب عصيانه وعتوه وتمرده فينظر ويتامل
ويتفكر حتى يقوده العبرة والنظر الى اتباع الحق واما هولاء يعني اباجهل
واتباعه من قريش فلا يبصرون بانه هلاك مع انه اقوى منهم واشد منهم بطشا
وملكا لانهم غير خاشعين ولا ناظرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال امنت وهو قد زاد عتوا وذلك
انه ارتقى عليه ابن مسعود لحز رقبته قال بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الي
منه في حيوتي ولا اشد بغضا الي منه في حال مماتي انتم الخطاب لمشركي مكة وكان
فيهم من يكذب بالبعث ويشك فيه اشد خلقا يعني انتم اصعب انشاء ام السماء ثم بين
كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها
في سمت العلو مديد ارفيعا مسيرة خمسمائة عام وقيل سمكها اي سقفها فسويها
فعدل لها مستوية ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور وتممها بما علم انها تتم به واصلحها
واغطش ليلها اي جعلها مظلما واخرج ضحيها اي اظهر نهارها ونوره واضيف الليل
والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المتقب في جوها والارض
بعد ذلك دحيها قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل
السماء ثم خلق السموات ثم دحى الارض وبسطها وقال ابن عباس وعبد الله بن عمر خلق
الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض
من تحت البيت اخرج منها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعيها ورعيها قال
القتيبي انظر كيف دل الله سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على جميع ما اخرجه من الارض
قوتا ومتاعا للانام وغيره من العشب والشجر والحطب وغير ذلك حتى النار والملح
لان النار من الحطب والملح من الماء والجبال ارسيها اثبتها واوتادا لها حتى تستقر وتستقر
عليها متاعا لكم ولانعامكم اي فعل ذلك كله تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد
واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية الطامة العالية العالبة

على كل داهية وهي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع من طم الفرس
اذا استفرغ جهده في الجري وقيل من قولهم جري الوادي فطم وقال ابوجعفر
اي الهايلة العظمى التي تفوق كل هايلة يوم يتذكر الانسان ما سعى يوم بدل من اذا
جاءت يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كما مر في قوله
احصاه الله ونسوه وما مصدرية او موصولة اي مجيء الطامة يكون في اليوم
الذي يتذكر الانسان فيه ما عمل في الدنيا من خيره وشره بما وجده في كتابه وذكر
كما قال في سورة الفجر يومئذ يتذكر الانسان اي يتعظ الانسان الذي كان همته الدنيا
وانى له الذكرى اي من اين له نفع الاتعاظ يقول يا ليتني قدمت لحيوتي اي ليتني
في حيوة الدنيا كانت حيوتي فيها منقطعة فانية لحيوتي هذه التي هي دائمة
باقية اي قدمت عملا صالحا ينال به الثواب والتخلص به من العذاب
وكان قتادة اذا قرا هذه الاية قال هناك حيوة طويلة فاعملوا لها قوله يتذكر
الانسان فان الانسان يتذكر في القيامة ويندم على تقصيره ويندم في القبر
قال القبر بيت الندامة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ميت يوضع على
سريره فيخطى به ثلاث خطوات الا ينادي نداء يسمع ما شاء الله من الخلايق غير
الثقلين تقول يا اخوتاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان
كما لعب بي خلفت ما جمعت لورثتي ولم يحملوا من خطيئتي شيئا والديان يحاسبني
ويحاسبني ويخاصمني وانتم تشيعوني ثم تسلموني الى منكر ونكير واندامتاه واندامتاه
وروي ان عمر بن الخطاب دخل المقابر فنادى يا اهل المقابر الاموال قد قسمت
والدور قد سكنت والازواج قد نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما
عندكم قال فهتف به هاتف يا ابن الخطاب وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا
خسرنا ما خلفنا والجبار سائل منا عن جميع ما فعلنا وروي عن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمر احد في المقابر الا وينادي اهل القبر يا غافل

يومئذ يتذكر الانسان يعني يتعظ الكافر وانى له الذكرى يعني من اين تنفعه العظة ويقال يومئذ يتذكر يعني يظهر الانسان التوبة ومن اين له التوبة يعني كيف ينفعه التوبة يومئذ

لو علمت ما نحن نعلم لذاب لحمك وجسدك كما يذوب الثلج في النار وقال كعب
ما من يوم الا والقبر تنادي بخمس كلمات فتقول يا ابن ادم تمشي على ظهري فمصيرك
الي ههنا تفرح على ظهري وتحزن في بطني تذنب على ظهري ثم تعذب في بطني
تضحك على ظهري ثم تبكي في بطني تاكل على ظهري ثم تاكلك الديدان في بطني ويروي
انه ينادي المنادي كل يوم من قبورهم ثلث مرات يا اهل الدار عجلوا عجلوا
فانا نحن اهل القبور محبوسين لاجلكم الرحيل الرحيل فما بقي من العمر الا القليل
وبين ايديكم السفر الطويل فان لم تستعدوا الآن فمتى تستعدون لا تحسبوا الدور
خربوا ما بنيتم واتركوا ما جمعتم نورتم البيوت واظلمتم القبور وزينتم البيوت
ونسيتم القبور وعمرتم البيوت وخربتم القبور ووسعتم البيوت وضيقتم
القبور تندمون غدا كما ندمنا ولا ينفعكم الندم كما لم ينفعنا ما وجدتم المهلة
فالبدار البدار ويروي انه ما من يوم الا وملك يهتف بالمقابر فينادي يا اهل
القبور من تغبطون اليوم يقولون اهل المساجد يصلون ولا نقدر ويصومون
ويتصدقون ويذكرون ولا نقدر وما من يوم الا والقبر تنادي انا بيت الدود
انا بيت الظلمة انا بيت الحسرة انا بيت الوحشة انا بيت التراب من دخلني لا يخرج
الي يوم القيامة لا يطلع في شمس ولا قمر ويروي انه ينادي كل يوم يا هذا
تزود لنفسك من الجماعة لهذه الوحدة وتزود من غناك لهذه الفقر وتزود
لنفسك من النور لهذه الظلمة كل يوم ينادي القبر انا البيت الذي من دخلني
مطيعا خرج عني مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مني مثبورا روي
انه رؤي عمر بن عبد العزيز مقبلا من المقابر منتفخا اوداجه قال اتيت
قبور الاحبة قبور ابائي فسلمت عليهم فلم يجيبوني فلما ذهبت نادى التراب
يا عمر الا تسألني ما لقيت الاحبة قال قلت وما لقيت قال خرقت الاكفان
واكلت الابدان فلما ذهبت نادى الا تسألني ما لقي الاحبة نزعت المقلتان
واكلت الحدقتان وقطعت الكفين من الرسغين ومما من الذراعين ومما من

خمس مرات

المرفقين ومما من العضدين ومما من المنكبين ومما من الكتفين ومما من الجنبين
ومما من الصلب ومما من الوركين ومما من الفخذين ومما من الركبتين ومما من الساقين
ومما من القدمين فلما ذهبت نادى التراب فقال يا عمر عليك بالكفان لا تبلى قلت
وما هي قال التقوى والعمل بالطاعة ونهي النفس عن الهوى وروي عنه يعني عن
عمر بن عبد العزيز انه دخل عليه سابق البربري فقال له عمر عظني يا سابق واوجز
قال نعم يا امير المؤمنين وانشد شعره حتى بلغ هذه الابيات فكم من صحيح بات للموت امنا
اتته المنايا بغتة بعد ما هجع فلم يستطع اذ جاءه الموت بغتة فرارا ولا منه بقوته امتنع
فاصبح تبكيه النساء مقنعا ولا يسمع الداعي وان صوته رفع وقرب من لحد فصار مقيله
وفارق ما قد كان بالامس قد جمع فلا يترك الموت الغني لماله ولا معدما في المال ذا حاجة يدع
قال فلم يزل عمر يبكي ويضطرب حتى غشي عليه قال فقمنا فانصرفنا عنه الحكاية
عن عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول كان عابدا من عباد
بني اسرائيل يعبد الله في صومعة له وحوار يحور الثياب في نهر اسفل الصومعة
فجاء فارس فنزل ونزع ثيابه وحل هميانه واغتسل والراهب ينظر ثم خرج
ومضى ونسي هميانه وجاء صياد فراى هميانه فاخذه ومضى فرجع الفارس فقال
للحواري هميان نسيته ههنا قال ما رايت شيئا فسل سيفه وقتله فكاد الراهب
يفتتن ثم قال الهي وسيدي ياخذ الصياد الهميان ويقتل هذا فلما كان الليل اوحى الله
اليه في منامه ايها العبد الصالح لا تفتتن ولا تدخل في علم ربك فربك يفعل ما يشاء
وبحكم ما يريد ان هذا الفارس قتل اب الصياد واخذ ماله وهذا الحوار كانت صحيفته
مملوة بالحسنات ولم يكن له الا سيئة واحدة وهذا الفارس كانت صحيفته مملوة
بالسيئات ولم يكن له الا حسنة واحدة فلما قتل هذا الحوار امتحت حسنة وسيئة
الحوار ورجع المال الي صاحبه الحكاية حدثنا عبد الله بن صدقة عن مرداس
البكري عن ابيه قال نظرت الي ثلثة اقبر على شرف من الارض مما يلي
بلاد انطابلس فاذا على احدهم مكتوب وكيف يلذ العيش من هو عالم

اي اعطيت حسنات الفارس الى الحوار وسيئة الحوار الى الفارس

بان الله الخلق لابد سائله ؞ فيأخذ منه ظلمه لعباده ؞ ويجزيه بالخير الذي هو فاعله ؞
قال واذا على القبر الثاني ؞ وكيف يلذ العيش من هو موقن ؞ بان المنايا بغتة ستعاجله ؞
فتسلبه ملكا عظيما ونخوة ؞ وتسكنه البيت الذي هو اهله ؞ واذا على القبر الثالث الى جنبهما ؞
وكيف يلذ العيش من كان صايرا ؞ الى جدث تبلي الشباب منازله ؞ ويذهب رسم الوجه من بعد
سرعة وتبلي جسمه ومفاصله ؞ قال واذا هي قبور مسنمة على قدر واحد مصطفة
بعضها الى جنب بعض قال فلما نزلت القرية التي كانت بالقرب منها قلت لشيخ
لقد رايت في قريتكم عجبا قال فحدثتهم اعجب مما رايت فانهم كانوا ثلثة اخوة امير
يصحب السلطان عبد الملك بن مروان وكان ظالما غشوما ويؤمر على المداين
والجيوش وتاجر موسر مطاع وزاهد قد تفرد بعبادته فحضرت العابد
الوفاة فاجتمعا عنده فقالا لنا مالا فاوص منه ما احببت وانفذ منه
ما بدا لك فاقبل عليهما فقال لا حاجة لي في مالكما ولكني ساعهد اليكما عهدا
فلا تخالفا عهدي قالا اعهد قال اذا مت اكتبا على قبري وكيف يلذ العيش
من هو عالم فائتياني كل يوم مرة ففعلا فكان اخوه يركب في جنده حتى يقف
على القبر فينزل فيقرا عليه ويبكي فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء
بالجنود فنزل وبكي فسمع هدة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف
مذعورا فزعا وجلا فلما كان الليل راى اخاه في منامه فقال اي اخي
ما الذي سمعت من قبرك قال تلك هدة المقمعة قيل لي رايت مظلوما
فلم تنصره قال فاصبح مهموما فدعا اخاه وخاصته وقال اني اشهدكم
اني لا اقيم بين ظهرانيكم ابدا فترك الامارة ولزم العبادة وكان ياوي الجبال
والبراري حتى حضرته الموت فبلغ اخاه ذلك فاتاه فقال اي اخي الا توصي قال
ما لي مال ولكن اكتب على قبري وكيف يلذ العيش من كان موقنا الى آخره ثم تعاهدني
ثلثا فادع لي لعل الله عز وجل يرحمني ففعل فلما كان في اليوم الثالث سمع وجبة
من القبر كادت تذهل عقله فرجع مقلقلا فلما كان من الليل اذا باخيه في

منامه

منامه قد اتاه فقال يا اخي كيف انت قال بخير ما اجمع التوبة لكل خير قال فقلت كيف
اخي ذاك قال ذاك مع الايمة الابرار فما امرنا قبلكم قال من قدم شيئا وجده فاغتنم
وجدك قبل فقدك قال فاصبح اخوه معتزلا للدنيا قد انخلع منها ففرق ماله
وقسم رباعه واقبل على طاعة الله ونشا له ابن ذو الوجه الجميل فاقبل على التجارة
حتى بلغ وحضرت اباه الوفاة فقال يا ابه الا توصي فقال يا بني ما لابيك مال
فيوصي ولكن اعهد اليك عهدا اذا انا مت فادفني مع عمومتك واكتب على
قبري وكيف يلذ العيش من هو صاير البيتين فتعاهدني في نفسك ثلثا
فادع لي ففعل الفتى ذلك فلما كان في اليوم الثالث سمع من القبر صوتا اقشعر
له جلده وتغير له لونه فرجع منه محموما الى اهله فلما كان من الليل اتاه
ابوه في منامه فقال له اي بني انت عندنا عن قليل والامر باخره والموت
اقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتاهب لرحيلك وحول جهازك من
المنزل الذي انت عنه ظاعن الى المنزل الذي انت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به
المبطلون قبلك من طول امالهم فقصروا عن امر معادهم فندموا عند الموت
اشد الندامة واسفوا على تضييع العمر اشد الاسف فلا الندامة عند الموت
تنفعهم ولا الاسف على التقصير انقذهم من شر ما وافاه المغبونون منكم يوم القيامة
اي بني فبادر ثم بادر ثم بادر قال عبد الله بن صدقة بن مرداس قال ابي قال
الشيخ الذي حدثني بهذا الحديث فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته من هذه
الرويا فقصها علينا وقال ما ادري الامر الا كما قال ابي ولا ادري الموت الا قد اظلني
قال فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضي ما عليه من الدين ويستحل خطباءه
ومعامليه ويحللهم ويسلم عليهم ويودعهم ويودعونه كهيئة رجل قد انذر بامر
فهو يتوقعه وكان يقول قال ابي فبادر ثم بادر ثم بادر فهذه ثلث ساعات
قد مضت فليست بنا او ثلثة ايام واني لي بها او ثلثة اشهر وما اراني ادركها
او ثلث سنين فهو الكثر ذكر وما احب ان يكون ذلك كذلك فلم يعط ويقسم ويتصدق

خلطاءه

لكل راء بحيث لا يخفى على احد فاصح

ويتصدق ثلثة ايام حتى اذا كان في آخر اليوم الثالث من صبيحة ليلة هذه الرؤيا
دعا اهله وولده فودعهم وسلم عليهم ثم استقبل القبلة فمد نفسه واغمض
عينيه وتشهد بشهادة الحق ثم مات رحمه الله قال فمكث الناس حينا يتزاورون
قبره من الامصار فيسلمون عليه وبرزت الجحيم لمن يرى أظهرت اظهارا بينا
مكشوفا يراها اهل الساهرة كقولهم قد تبين الصبح لذي عينين يريدون لكل
من له بصر وهو مثل في كل الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد فاما جواب
فاذا جاءت الطامة الكبرى فان الامر كذلك من طغى عصى وتجاوز الحد وآثر
اختار الحيوة الدنيا عطف تفسيري لمن طغى مفسر لمعنى طغى فالمراد من الطغيان
ههنا ايثار العاجلة واتباع الهوى فان الجحيم هي المأوى والمعنى فان الجحيم مأواه
كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة بل للتعريف
فيهما ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره ترك
الاضافة قال صلى الله عليه وسلم ليحشرن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر
بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومونه ويأخذون
هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم
لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا من اصابة عينها وقال عمار
بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال
يا معاشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا على سخطة ولو ماتوا على غير ذلك لتدافنوا
فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم
يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك
يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في هاوية قال وكيف
ذاك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم الدنيا قال حب الصبي
لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم
ملجمون بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال كيف اجبتني من بينهم قال

لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني فانا معلق على شفير جهنم لا ادري
انجو منه ام اكبكب فيها فقال عيسى عليه السلام لاكل خبز الشعير بالملح ولبس المسوح والنوم
على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل
يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى
برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل
جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك فرطت في هذا بشيء من فرض عليك
من صلوة لم تصلها لوقتها او فرطت في ركوعها وسجودها ووضوءها فيقول لا يا رب كسبت
من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال
في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال
لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل فيقول يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت
علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك
فيخاصمون فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته
ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال
قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك في اكلة وشربة او نعمة او لذة فلا يزال
يسأل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله
وما والاه وعالم او متعلم وقال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن
احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال سهل التستري رحمه الله
قوله تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة قال اي جحد حقوق الله وكفر نعمه وآثر
الحيوة الدنيا اتباعا في طلب الشهوات ومتابعة المراد ثم قال ما طلعت الشمس
ولا غربت على احد الا وهو جاهل الا من يؤثر الله على نفسه وروحه ودنياه
وآخرته قيل ما علامة بغض الدنيا قال ان تهون عليه مصيبات الدنيا حتى نفسه
وولده كما قال مسلم بن يسار حين مات ولده يا بني شغلني الحزن عليك فقد

لك عن الحزن صح

انا نستحي بل هو ان يترك الفضل ما الاجنبه الله و لا تحسبنه ...
... المجالس الحياء من الله حق الحياء ما تحسبونه او تقولونه بالعمائم

جعلت ثوابك لي عليه له والثاني يهون عليه نعيم الدنيا ولو روحه والثالث لا يكون
شيء اقرب اليه من الله عز وجل كقول عامر بن عبد القيس ما نظرت الي شيء الا
رايت الله اقرب اليه مني وقال السلمي في تفسيره قال الجنيد الطغيان تعدي
الحقوق وقال قال ابو عثمان الطغيان الاعراض عن الاخرة والاقبال
علي الدنيا قال الله تعالي فاما من طغي واثر الحيوة الدنيا عن ابن مسعود ان
نبي الله صلي الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء
قالوا انا نستحي من الله يا نبي الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيي من الله
حق الحياء فليحفظ الراس وما وعي والبطن وما حوي وليذكر الموت والبلي
ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء رواه
احمد والترمذي فوله تعالي فان الجحيم هي الماوي قال النسفي وفي الاخبار
انه لما نزل قوله وان جهنم لموعدهم اجمعين ووصف جبريل عليه السلام لرسول الله
ما في جهنم احتجب عن الناس اياما يبكي وجاء سلمان فاطمة واخبرها به فجاءت
الي النبي صلي الله عليه وسلم فقالت يا ابتاه ما اصابك فذكر لها نزول الاية وبعض
ما وصف له جبريل من ذلك وقال ان حرها شديد وقعرها بعيد وحليها
حديد وشرابها الحميم والصديد وثيابها مقطعات النيران لو ان مثل خرق
ابرة فتح منها لاحرق اهل الدنيا ولو ان ثوبا من ثياب اهلها علق بين السماء
والارض لماتوا من حرها ونتنها ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله
في القران وضع علي جبل لذاب الي الارض السابعة ولو ان رجلا بالمغرب يعذب
لاحترق الذي بالمشرق لها سبعة ابواب بعضها اسفل من بعض من باب الي
باب مسيرة سبعين سنة ولكل باب منها اشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا
يساق اعداء الله اليها فاذا انتهوا الي بابها استقبلهم الزبانية بالاغلال والسلاسل
ويسلك السلسلة من فيه ويخرج من دبره وتغل يده اليسري الي عنقه
وتدخل يده اليمني في فواده وتنزع بين كتفيه ويسحب علي وجهه ويضرب

الوعي الضم ومنه الوعاء اي ما وعاه الراس من السمع والبصر والشم والذوق والحبال والفكر والحفظ فلا يستعمل ذلك كله الا في طاعة الله وحوي اي جمع اي ليحفظ ما جمعه بطنه من الكبد والعروق والامعاء من الاغذية المحرمة

بمقامع من حديد فلم تحتمل قلب فاطمة فخرت مغشيا عليها ولما افاقت بكت وصاحت
فقالت وهي تبكي يا ليتني كنت شاة تذبح وقال عمر رضي الله عنه ليتني كنت شجرة تعضد
وقال عثمان رضي الله عنه ليتني لم اخلق وقال علي رضي الله عنه ليتني لم اولد وهرب مالك
بن سلمه الي الغيافي وهو يصيح النار النار وبكي الناس لبكائه وخرجت الصحابة يطلبونه
فوجدوه في جبل يصيح فردوه الي النبي صلي الله عليه وسلم فناشده ان يقراها عليه
مرة اخري ففعل فصاح وخر ميتا وكانت له بنت صغيرة فاخبرت بموت ابيها فخرجت
الي النبي صلي الله عليه وسلم فوجدت اباها ميتا فقالت ما اصابه فذكروا لها انه سمع اية فاشتد
خوفه وخرج روحه فقالت اقروا علي تلك الاية فقروها عليها فصاحت وخرت ميتة
فهذا رسول الله صلي الله عليه وسلم وولده وكبراء اصحابه والطاهرون من اهل عصره يخافون
جهنم هذا الخوف فكيف ينبغي لنا ان نفعله قوله تعالي فاذا جاءت الطامة الي قوله فان الجحيم
هي الماوي وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله وضع الجنان علي العرش ووضع دركات
النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها لظي وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها
الجحيم وفوقها السعير وفوقها هاوية وهاوية للموحدين عن ابن مالك عن بلال قال كان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يصلي في مسجد المدينة فمرت اعرابية فاشتهت ان تصلي خلف
رسول الله صلي الله عليه وسلم ركعتين فدخلت وصلت فقرا رسول الله صلي الله عليه وسلم
وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم فخرت الاعرابية
مغشيا عليها فسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم وجبتها فانصرف فقال يا بلال علي بماء فصبت
عليها فافاقت وجلست فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم يا هذه ما حالك قالت جاءني ما تري
يا رسول الله الكل عضو من اعضائي يعذب علي كل باب منها قال يا اعرابية يعذب علي
كل باب علي قدر اعمالهم فقالت والله اني لامرءة مالي مال الا سبعة اعبد اشهدك يا رسول الله
ان تبت ورجعت الي الله تعالي وما تركت منذ امنت حقوق الله علي وليس لاحد حق
واشهدك ان كل عبد منهم علي كل باب من ابواب جهنم حر لوجه الله فاتاه جبريل فقال
يا محمد بشر الاعرابية ان الله قد حرم عليها ابواب جهنم كلها وفتح لها ابواب الجنة كلها

عن انس بن

فاتي بماء

وحكي ان شابا اتي الي مجلس ابن عباس وكان ابن عباس يكرمه ويدنيه فقال له
جماعة من اصحابه يا صاحب رسول الله انك تدني هذا الشاب وتقربه وهو شاب
سوء فقال ابن عباس سبحان الله تقعون في اخيكم المسلم شاب مثل هذا يأتينا ويغشي
مجلسنا قيل يا صاحب رسول الله انه نباش فقال ما كنت بالذي اصدق حتي اري
بعيني قالوا نحن نريك ذلك قال فلما امسي القوم اتوا ابن عباس فقالوا قم بنا حتي نريك
فلما اتوا المقابر ارتقبوا في ناحية المقابر فلما اجنهم الليل اذا هم بالشاب قد اقبل يتخلل
القبور فقالوا ارايت بعينك وعلمت صدقنا وتحققت ما قلنا قال ابن عباس رايته
دخل المقابر وما رايت انه ينبش القبر قالوا ولم يكن نباشا لم يدخل في الليل المقابر
قال لعل له عذرا وانتم تلومون قالوا فقم نذهب خلفه حتي ناخذه بايدينا في القبر
وهو مشتغل باخذ الكفن قال نعم فذهبوا خلفه فسمعوا انه يتاوه ويقول الموت الموت
كيف التجرع غصص الموت ويذكر نفسه وهو يقول يا من الموت غايته يا من الكفن
قميصه يا من القبر منزله يا من اللحد فراشه يا من اللبن ستره يا من الديدان جيرانه يا من
منكر ونكير زواره يا من علي جسر جهنم ممره ثم قال السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم
اخواني السلام عليكم اباي وامهاتي السلام عليكم معارفي واصدقاي السلام عليكم ايتها
الشيوخ السلام عليكم ايها الشباب السلام عليكم ايها الوجوه الصباح المنعمة وايتها الخدود
الموردة وايتها العيون المكحلة وايتها الافواه بالدر مزينة وايتها الشفاه كاليواقيت المحمرة
وايتها الابدان مثل الحرير الملينة كيف حالكم في التراب بين الديدان والحيات والهوام
في دار الاغتراب كيف بدلتم القصور بالقبور كيف رضيتم بذلك وكنتم في الدنيا لا تستبدلون
الادني بالذي هو خير كيف رضيتم الان فذلك التجارة مجبالكم وكيف بدلتم ملاعبة الجواري
والغلمان الي مقاساة لدغات الهوام والديدان وكيف بدلتم التنعم بسماع الاغاني والملاهي
وشرب الشراب الي التمرغ في التراب وكيف بدلتم انس ذلك العشرة الي وحشة
هذه الوحدة والغربة وكيف بدلتم المضجع الوثير الي هذه المصرع الوبيل كيف وجدتم
منازلكم كيف رايتم مهادكم كيف عاينتم زوادكم كيف وجدتم محدثكم ليت شعري كيف حالكم

امظلمة بيوتكم ام منيرة اضيقة لحودكم ام متسعة ليت شعري كيف حالكم وكيف
محاسن وجوهكم ليت شعري اكلتكم الديدان ام مزقتكم الحيات يا ليت شعري
كيف صيركم البلي ام كيف صار جمال وجوهكم في الثري ام في غم الذنوب بقيتم ام في سرور
الي القيامة تركتم الا تذكرون نساءكم المشفقة الا تذكرون اولادكم البارة الا تذكرون
اصدقاءكم ايتمتم اولادكم واشتغلتم بانفسكم قطعتم الارحام واشتغلتم بانفسكم قلوبكم
النساء واشتغلتم بانفسكم اخواني اتاكم اوان الربيع فما لكم لا تنظرون اخضرت الارض
واورقت الاشجار فهلا تخرجون الي النزهة مع الاصحاب والاخوان والاهل
والولدان وقد ازهرت الاشجار نسيم فلا تذكرون اخذوا اموالكم فلا ترحمون
سكنوا منازلكم فلا تحمدون قسموا اموالكم فلا تشكرون يا اهل القبور دعيتم فلا تجيبون
سلم عليكم فلا تردون بدلتم بالحيوة موتا والنطق صمتا وبالسرور غموما وبالضحك
بكاء وبالاجتماع افتراقا ثم اقبل علي نفسه فقال ايها المفتون اعتبر باخوانك يا ايها
المجنون اعتبر باخوانك ويا ايها المغبون اعتبر باباءك ويا ايها المغرور اعتبر بامهاتك
ثم مضي في وسط المقابر فاذا هو بقبر قد حفر وسوي لحده فاضطجع في ذلك القبر
وانشا ينادي يا ويلاه اذا نزلت لحدي ونطقت الارض من تحتي فقالت لا مرحبا ولا
سهلا قد كنت ابغضك وانت علي ظهري فكيف وقد صرت في بطني انما انتظر بك دولتي
فني برحمتي في وسط لحدي وعن ابي سعيد الخدري خرج النبي صلي الله عليه وسلم لصلوة
فراي الناس كانهم يكتشرون قال اما انكم لو اكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما اري
الموت فاكثروا ذكر هادم اللذات الموت فانه لم يات علي القبر يوم الا تكلم فيقول انا بيت
الغربة وانا بيت الوحدة وانا بيت التراب وانا بيت الدود واذا دفن العبد المؤمن
قال له القبر مرحبا واهلا اما ان كنت لاحب من يمشي علي ظهري الي فاذ وليتك
اليوم وصرت الي فستري صنيعي بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الي الجنة
واذا دفن العبد الفاجر والكافر الحديث اين ابي اين امي اين اهلي اين ولدي اين جيراني
اين اصدقاءي واحسرتاه واندامتاه ذهبت ايامي من يدلني علي طريق النجاة من

ينجيني من ضيق اللحد من تخلصني من سوال منكر ونكير من ينجيني ياويلي اذا
اخرجت من قبري وحدي احمل وزري على ظهري وقد تبرا مني ابي وامي وزوجي
وولدي ومن كان ياكل كدي وسعيي ياويلاه اذا نظرت الي الانبياء وقوفا والملايكة
صفوفا وحبيبي محمد صلي الله عليه وسلم ينظر الي ويقول ياشاب ممن انت فاقول
من امتك فيقول فاين العمل بالقران والاحاديث وصحيح الاخبار واين الحج والاعتمار
واين صيام النهار وقيام الليل مع التهجد الابرار واين الورع والزهد والتقوي واين
صلة الارحام والاحسان الي ذوي القربي اين التسارع الي الخيرات اين الاجتناب
عن الملهيات واين الانتهاء عن المنهيات واين ترك الشبهات واين ثمن الجنة
واين فداء نفسك من النار واين الزاد لسفرك وقد قال ربي وتزودوا فان
خير الزاد التقوي واين الجواز علي الصراط واحسرتي اخواني من القاضي الاكبر
من يومنني ومن المظلومين من يستنقذني ومن ايدي الخصماء من تخلصني
هذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول اغتبتني وهذا يقول
عاملتني وهذا يقول بايعتني فاخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت
في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول
وجدتني مظلوما وكنت قادرا علي دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني قال تعالي
اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم كيف انت اذا اخذ من حسناتك واعطيت
الي خصمائك ووجدت في ديوانك ذنوبا كنت تجاهد غاية الاجتهاد وعلي الصراط من
يثبت قدمي الامن رآني وسمع ندائي فلا يقوم مقامي ولا يسلك طريقي ثم قال الهي
وسيدي ان كنت تاركا احدا فاتركني لا لي ولا علي قال فاقبل ابن عباس حتي وقف
علي شفير القبر ثم قال الويل لمن ظن بك السوء قم يا ولي الله فاجعلني في حل مع اخواني
من سوء ظننا بك فنعم النباش فما انبشك للذنوب والخطايا واخذ بيده فاعتنقه
ثم قال اتقوا الله عباد الله انظروا في عيوبكم واشتغلوا بها وادفعوا عن اخوانكم ظن
السوء وعن الحسن قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم علي اصحابه فقال

هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمي ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا
وطال امله فيها اعمي الله قلبه علي قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله اعطاه الله
علما بغير تعلم وهدي بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل
والتجبر ولا الغني الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوي الا فمن ادرك الزمان منكم
فصبر للفقر وهو يقدر علي الغني وصبر علي البغضاء وهو يقدر علي المحبة وصبر
علي الذل وهو يقدر علي العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله تعالي ثواب خمسين
صديقا قال ابو الدرداء قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو
تعلمون ما اعلم لخرجتم الي الصعدات تبكون علي انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها
ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل
فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهايم التي
لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان علي
دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرايركم ولو اجتمعتم علي البر لتحاببتم ما لكم
تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه علي امر اخرته ما هو
الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا
لاثرتم طلب الاخرة لانها املك بامورکم فان قلت حب العاجل غالب فانا نراكم تدعون
العاجل من الدنيا للاجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراق في طلب امر لعلكم لا تدركونه
فبيس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به
محمد صلي الله عليه وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنرينكم من النور ما تطمين به قلوبكم والله
ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم لتبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون
بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون علي اليسير
منها تفوتكم حتي يتبين ذلك في وجوهكم وتظهر علي السنتكم وتسمونها المصايب وتقيمون
فيها الماتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني

لا رأى الله تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره
فاصبحتم على الغل وتنبت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت
ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير
فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم
وعن عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين
كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وانشد في معناه
ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ،، ولا اراهم رضوا في العيش بالدون ،،
واستغن بالدين عن دنيا الملوك ،، كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ،، وعنه عليه السلام يا طالب
الدنيا لتبر تركك لها ابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل
النار الحطب واوحى الله الى موسى ان يا موسى لا تركن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة
هي اشد عليك منها وعنه عليه السلام انه مر برجل يبكي فرجع وهو يبكي فقال يا رب
عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع
يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا وعن بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء
من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا
عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في اكلة وصم الدنيا وافطر على الآخرة وان راس
مال الدنيا الهوى وربحها النار وروي ان نعمان بن المنذر نزل تحت شجرة ليلهو
فقال له عدي ايها الملك هل تدري ما تقول هذه الشجرة ثم انشا يقول ،،
رب ركب قد اناخوا حولنا ،، يشربون الخمر بالماء الزلال ،، ثم اضحوا عصف الدهر بهم ،،
وكذاك الدهر حالا بعد حال ،، فتنغص على النعمان يومه وتزهد بعد ذلك وقيل
تقى الرحمن للمرء افتخار ،، وفي عصيانه ذل وعار ،، وعقبى من اطاع الله روح ،،
وريحان ومن يعصيه نار ،، فلا تغترن بالدنيا ونعماها ،، وجنبها كما اجتنب الخيار ،،
فما دنياك الا مثل حلم ،، تقضى او كتاب يستعار ،، وفكر في الذين مضوا وبادوا ،،
اليس تصير حتما حيث صاروا ،، هم كانوا اشد قوى وباسا ،، وكان لهم على الدنيا اقتدار ،،

فكم ملكوا الورى ظلما وعسفا ،، وكم حكموا بظلمهم وجاروا ،، وكم بنوا القصور وشيدوها ،،
وكم عمروا الديار وكم اثاروا ،، فتلك بيوتهم منهم خلاء ،، بدا منهم لذي اللب اعتبار ،، دعاهم بغتة داعي المنايا ،،
فلم يمكنهم منه فرار ،، ولا استطاعوا اذا ما جاء دفعا ،، ولم يك عندهم منه انتصار ،، ادار عليهم كاسا فطيعا ،،
علينا بعدهم حتما يدار ،، فكن منهم على حذر وشمر ،، فما للموت اذا جاء انتصار ،، ولا تغفل وبادر ثم بادر ،،
فما مثل التقى للمرء جار ،، عساك تكون في جنات عدن ،، جوار محمد نعم الجوار ،، ولبعض اهل الاشارات
ان لله عبادا فطنا ،، تركوا الدنيا وخافوا الفتنا ،، فكروا فيها فلما علموا ،، انها ليست لحي وطنا ،،
جعلوها لجة واتخذوا ،، صالح الاعمال فيها سفنا ،، وقيل لبعض الزهاد كيف ترى
الدنيا قال تخلق الابدان وتجدد الامال وتقرب المنية وتبعد الامنية قيل
فما حال اهلها قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقيل في معناه ،، ومن يحمد الدنيا بعيش يسره ،،
فسوف لعمري عن قليل يلومها ،، اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ،، وان اقبلت كانت كثيرا همومها ،،
وقيل الا انما الدنيا غضارة كوكب ،، اذا اخضر منها جانب جف جانب ،، هي الدار ما الامال الا فجايع ،،
عليها ولا اللذات الا مصايب ،، فكم سخنت في الامس عين قريرة ،، وقرت عيون دمعها اليوم ساكب ،،
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ،، على ذاهب منها فانك ذاهب ،، قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم
القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها وتشرف على الخلايق
فيقال تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم
عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي
يا رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال النبي صلى الله عليه وسلم
انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا يبتل قدماه
ومن هذا يعرف جهالة الذين يزعمون انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم
عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم
فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق
بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا
تمنعه حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى طعام فلا

يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوة ومع ما يجد
من حلاوة الدنيا الحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب ولم تمتهن تنفرت وتصعبت وتغير
خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت وبنصب العبادة تقسو وتغلظ الحق
اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يتخلل يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك القلوب
ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية الحكمة وعن
سلمان الفارسي مثل الدنيا مثل الحية تلين مسها وتقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها
لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها ولتكن اسر ما تكون
منها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الي سرور اشخصته عنه الي مكروه
وقال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد
عطشا حتى يقتله واعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة ويجد
العبد شهوات الدنيا عند الموت في قلبه من الكراهية والقبح والنتن ما يجده من الاطعمة
اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة
كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها
وكراهيتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره
واخذ اهله وولده وماله فيكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته
فيها وحبه لها وحرصه عليها فكل ما عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى
وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب
ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم فانظر الي ما يخرج من ابن ادم وان فرحه وملحه الي ما يصير
وقال الحسن قد رايتهم يطيبونها بالافاويه والطيب ثم يرمون بها حيث رايتم وكان بشر بن كعب
يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب به الي مزبلة فيقول انظروا الي ثمارهم ودجاجهم
وسمنهم وعسلهم وقال عمر بن الخطاب في خطبته ايها الناس اعلموا انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون
به فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به انكم لهلكى وانما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار
تنقلون وقال محمد بن الحسن لما علم اهل العلم والمعرفة والعقل والادب ان الله تعالى

قد اهان الدنيا وانها لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي
وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ما يسد الجوعة
فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة صبروا قليلا
ونعموا طويلا احبوا ما احب لهم مولاهم وكرهوا ما كره لهم مولاهم وقال حكيم الدنيا
دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب
من يطلبها وقال الشافعي يعظ اخا له في الله يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار
مذلة عمرانها الي الخراب صاير وساكنها الي القبور زاير شملها على الفرقة
موقوف وغناؤها الي الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع
الي الله وارض برزق الله ولا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك وان عيشك فيء
زايل وجدار مايل اكثر من عملك وقصر من املك وعن يحيى بن معاذ العاقل
ثلث من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل
ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها تلهيك عن طاعة الله
فكيف الوقوع فيها وعن بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا
كان كمطفي النار بالتبن وقيل اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في
سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها يعني الحرص حتى
تصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به
ومن اقبل على الله تعالى احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال
علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم وملبوس ومشروب ومركوب
ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو من ذبابة واشرف المشروبات
الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف
المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المشمومات المسك وهو من دم
واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شي منها ويراد

اي بول

اقبح شي منها ثم اعلم ان معرفة ماذكرنا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان تجتنب منها وما الذي لا تجتنب فلا بد وان نتبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة لله قاطعة لطريق الله فاعلم ان الدنيا والاخرة عبارتان عن حالتين من احوال القلب فالقريب منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت فالمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت وكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ذلك ليس بمذموم بل لها طرفان اقصى وهو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزايدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورقيق الثياب ولذيذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضلا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي ان عمر استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المومنين الى ابي الدرداء قد كان لك في بناء فارس والروم ما يكتفي عن عمارة الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا راه فضولا من الدنيا فليتامل فيه وادنى منها وهو كل حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الخشن وكل ما لا بد منه للبقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل فهما اتيا وله الانسان على قصد الاستعانة به على العلم والعمل وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الاول وصار من جملة الدنيا والدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اتقن واقوى وعلمه اغزر واكثر كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام

وضع راسه على حجر لما نام ثم رماها اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان في ملكه كان يطعم الناس الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذايذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا عليه السلام وكان يطوي اياما ويشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة شفقا وحبا له لا بخلا عليه وبالجملة كل ما ليس لله فهو الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قيل فما الذي هو لله قلنا الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله ويمكن ان تجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاث اذا لم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الاخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول من الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لمصلحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله ومنها ما صورتها حظ النفس ويمكن ان تجعل معناها لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاوه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كان صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشارة بقوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى اي نهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المؤدي ومنع اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين

مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد

قال م لو بكى عبد من خشية غفر الله له ولمن حوله ولو كان عشرين الفا

علي ايثار الخيرات وافعال الجميلة والاخلاق الحميدة ومجامع الهوي خمسة امور
وهي ما جمعها الله تعالي في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة امور وقد
جمعها الله تعالي في قوله زين للناس حب الشهوات الاية وقد عرفت ان كل ما هو
لله ليس من الدنيا وقدر الضرورة القوت وما لا بد منه من ملبس ومسكن
ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم فهو لغير الله وبين التنعم والضرورة
درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرق يقرب من حد الضرورة
فلا يضر فان الاقتصار علي حد الضرورة غير ممكن وطرق يقرب من جانب
التنعم وينبغي ان تحذر وبينهما وسايط متشابهة ومن حام حول الحمي يوشك
ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوي والتقريب من حد الضرورة ما امكن
اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الي قدر الضرورة حتي ان اويس
القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه علي نفسه فبنوا له بيتا
علي باب دارهم فكان يأتي عليه السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان
يخرج اول الاذان ويأتي الي منزله بعد العشاء الاخيرة وكان طعامه ان يلتقط النوي
وكلما اصاب الحشف خباه لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوي
وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوي واشتري ما يقوته وكان لباسه مما يلقي
الي المزابل فيلتقط الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الي بعض ثم يلبسها فكان
ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه
ان كنتم ترمونني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان ترموني فيحضر الصلوة
ولا اصيب الماء فهذا كان سيرته ولهذا اعظم رسول الله صلي الله عليه وسلم امره فقال
اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشاره اليه ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من مراد
فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال

نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسال عن ذلك يا امير
المؤمنين والله ما فينا احمق ولا اجن منه ولا فينا احوج منه ولا ادني فبكي عمر وقال
ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة
ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان
اطلب اويس القرني فاسال عنه حتي سقطت عليه جالسا علي شاطئ الفرات نصف
النهار يتوضا ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد
الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر قال
فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه
فابي ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله وخنقتني العبرة
من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتي بكيت وبكي وقال وانت فحياك الله
يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله قال لا اله الا الله سبحانه
ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا رآني
فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرف
روحي روحك حتي كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها نفس كنفس الاجساد وان المؤمنين
ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون
وان نأت بهم الديار وتغربت بهم المنازل قلت يا اخي اقرا علي اية من القرآن ان
اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله
حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي علي شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم ثم بكي ثم قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث
حديثه واصدق الكلام كلامه قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتي انتهي الي انه هو العزيز
فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك
ان تموت فاما الي جنة واما الي نار ومات ابوك آدم وماتت امك حوا ومات نوح

وماة ابراهيم خليل الرحمن ومات موسي نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن
ومات محمد رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب
اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي
ربي ونعي الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتي كانه قد كان ثم صلي علي النبي صلى الله عليه وسلم
ثم دعي بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي لك يا هرم بن حيان كتاب الله ونعي الصالحين
المؤمنين عليك بذكر الموت لا تفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت
اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم
فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك
وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه
ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته
من الدنيا فيسر له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير
الجزاء ثم استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم
رحمك الله ان لا تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم
مع هولاء الناس فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك علي بال وان لم ارك وترني واذكرني
وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا
فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكي وابكاني وجعلت
انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سالت بعد ذلك عنه فما وجدت احدا يخبرني
عنه بشي رحمه الله وغفر له وعن عايشة رضي الله عنها قالت لبست درعا جديدا
لي فجعلت انظر اليه واعجب به فقال ابو بكر رضي الله عنه ما تنظرين ان الله
ليس بناظر اليك قلت ومم ذلك قال اما علمت ان العبد اذا دخله العجب بزينة
الدنيا مقته الله عز وجل حتى يفارق تلك الزينة قالت فنزعته فتصدقت به
فقال ابو بكر عسي ذلك ان يكفر عنك وعن ابي ضمرة قال حضرت الوفاة ابنا لابي بكر
فجعل الفتى يلحظ وسادة فلما توفي قالوا لابي بكر راينا ابنك يلحظ الي الوسادة فوجدوا
تحتها خمسة دنانير فضرب ابو بكر بيده الي الاخرى يرجع يقول انا لله وانا اليه راجعون
يا ابا حسب جلدك يتسع لها وعن سالم بن عبد الله قال ان عمر بن الخطاب كان يشدد علي
نفسه ويضيق وكان قوته خبزا غير منخول وكان يقول والله ما نعيا باللذات
العيش ان نامر بصغار المعزي فيسمط لنا ونامر بلباب الحنطة فيخبز لنا ونامر
بالزبيب فينبذ لنا حتى اذا صار مثل عين العقوب اكلنا هذا وشربنا هذا ولكنا
نريد ان نستبقي طيباتنا لانا سمعنا الله تعالى يقول اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا
فهكذا كانت سيرة العلماء في الاعصار الماضية في الاعراض عن الدنيا فقد تبين الان ان
حد الدنيا ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله تعالى وما يوخذ بقدر الضرورة
من الدنيا لاجل قوة طاعة الله ليست من الدنيا ولنبين هذا بمثال وهو ان الحاج
اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل تجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف
الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم تحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج
وكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقي به قوته
علي سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد به تلذذ
البدن وتنعمه من هذه الاسباب كان منحرفا عن الاخرة ويخشي علي قلبه القسوة
قال الطنافسي كنت علي باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة
الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه
اعمي الله تعالى عين قلبه ثم اعلم ان للدنيا اعني ما اقلته الغبراء واظلته السماء من الاعيان
الموجودة التي للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل مع العبد علاقتين علاقة مع القلب
وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب العاشق
الواله لها ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل
والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر
وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية
مع البدن وهو اشتغاله بالاصلاح هذه الاعيان ليصلحها لحظوظه وحظوظ غيره

وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميت دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها الوان الحشيش ويبرد لها الماء حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه منه في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما يشغل الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا فانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت تعب اشغال الدنيا واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها واكبوا على الحرف والصناعات بسبب اضطرارهم الى القوت والمسكن والملبس وتداعي الحرف بعضها الى بعض وشيء منها لا يمكن مباشرتها الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وبعضهم لا يشتغل بها في الصبى لكسل او مانع او لعدم من يحمله الى ان يأكل مما سعى فيه غيره فحدثت بسبب ذلك حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية ثم ان الناس تحرزوا من اللصوص والمكدين وتحفظوا عنهم اموالهم

فافتقروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فبعضهم يطلب اعوانا للشوكة والقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق اما راجلا او راكبا اما في البحر او في البر وبعضهم يفزع الى الحيل لضعفه اما بالنقب او الطر او السل او غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما نتجة الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالتعامي او التعارج او التجانن او التمارض او غير ذلك ويظهرون ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك المحنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وبعضهم يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس فينبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتسخر والمحاكاة والشعبذة وغير ذلك من الافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة الموزونة والكلام المسجع مع حسن الصوت او بالاشياء المحركة الداعية الشوق من اهل المجانة لصنعة الطبائعي او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشايش الذي تخيل انها ادوية ليخدع بها الصبيان والعوام او كاصحاب القرعة والفال والنجوم ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن عندهم طايل علمي وكان غرضهم اخذ اموالهم ويدخل في هذا الجنس ايضا الذين يبنون الزوايا يجلسون فيه ويدعون لانفسهم الشيخية والمرشدية والكرامات مع الخلو عن ذلك وانواع صنعة الكدية يزيد على الالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة وجر الناس الى ذلك كله القوت والكسوة ونسوا في اثناء ذلك كله انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت

في س اخلاقهم

آرائهم فغلبت على بعضهم الغفلة والجهل فلم ينفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم
فقالوا المقصود ان نعيش في ايام الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل
حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكله فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون لياكلوا
وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين
فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليتعب نهارا وذلك سير السواني فهو سفر لا ينقطع
الا بالموت ويزعم بعضهم انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس المقصود ان يسعى الانسان
بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من الدنيا وهو شهوة البطن
والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة
ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات
وشغلهم ذلك عن الله واليوم الآخر ويظن بعضهم بسبب جهلهم وغفلتهم ان السعادة
في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون
في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون
ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان ينقص وهذه
لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من
ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها ثم الذين
يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون ويظن بعضهم بسبب الجهل ان
السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة
فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على انفسهم في المطعم والملبس والمشرب
ويصرفون جميع اموالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون
الدور وابوابها وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة
ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس
وبعضهم يظن ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع و
والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد

الاعمال السلطانية لينفذوا امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انه اذا اتسعت
ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا وسعادة عظيمة وان ذلك نهاية الطلب
وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس وهؤلاء شغلهم حب تواضع
الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هذا
للناس آراء وخيالات يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين اغتروا بها فضلوا
واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن
فنسوا ما يراد له هذه الامور الثلثة والقدر الذي يكفي منه وانجرت بهم اوائل اسبابها
الى اواخرها وتداعى بهم الى مهاوي لم يمكنهم الترقي منها فلا تحرص في شغل وحرفة
وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد
بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال
وفرغ القلب وغلب ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر
الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب بتجهيد البدن
به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا
شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك بعضهم فاعرض عن الدنيا فحسدهم
الشيطان ولم يتركهم فاضلهم في الاعراض ايضا حتى ظن بعضهم انه لا بد من اماتة
الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب
بالكلية ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة
وبعضهم فسد عقله وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز
عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال فطعن في الشرع فوقع في الالحاد
وظن بعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد فعادوا الى
الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من
صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله غني عن عبادة العباد وظن بعضهم ان المقصود
من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة

فقد وصل وبعد الوصال يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق وورآء هذا آرآء باطلة وضلالات هايلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ الى نيف وسبعين وانما الناجي فرقة واحدة وهو من كان على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيوخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي من الدنيا ولا يطلب كل شي منها بل يعلم مقصود كل شي من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيوخذ من القوت ما يقوي به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومن اقبالها حتى لا تجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتدآء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه صلى الله عليه وسلم لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله كما سبق ذكره ثم اعلم ان للتارك الدنيا في تركه لها ثلث درجات الاولى وهي الدرجة السفلى ان يترك وهو لها مشتهي وقلبه اليها مايل ونفسه ملتفتة لكنه يجاهدها ويكفها ويقال له المتزهد وهو على خطر فانه ربما يغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة بها في قليل او كثير الثانية ان يترك طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه فالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار

الاولى صح

قليل لكن هذا يلتفت الى فعله فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه الثالثة ان يترك طوعا ويترك التفاته الى تركه فلا يرى تركه اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خنفسآء واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الآخرة اخس من خنفسآء بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في ترك الدنيا وسببه كمال المعرفة ومثل هذا التارك آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخنفسآء بالجوهرة آمن من طلب الاقالة ومثل من ترك الدنيا للآخرة مثل من منعه عن باب الملك كلب فالقى لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلب في مقابلة ما يناله فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي الى النتن والقذر ويحتاج الى اخراج الثقل فمن تركها لطمع لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهي ولو كان يتمادى الف الف سنة صافيا عن كل كدورة لكان لا نسبة له الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد وتارك الدنيا للآخرة كبايع الثلج بالجواهر فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجواهر التي لا فناء لها كما مر في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وكما سيجي عند قوله والآخرة خير وابقى فينبغي ان لا يعسر تركه لتارك الدنيا للآخرة كما لا يعسر لبايع الثلج بيعه بالجواهر فمن قوي يقينه ببيع نفسه وماله كما قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة وقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة

بقوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير الاية وفيها وصف تارك الدنيا بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا اي على ترك الدنيا وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا اي ايهم اترك الدنيا وازهد لها فوصف بانه من احسن الاعمال وقال من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه الاية روي انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وكانت من احب اموالهم وانفسه عندهم فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا هذه الاية ولا تمدن عينيك الاية وقال تعالى الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة فيه وصف الكفار فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بغير ذلك وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا وعن جابر قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا تخلط بها غيرها صفه لنا وفسره فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شي من هذا وجبت له الجنة وقد جاء في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ اخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله وقال ابرهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية فلن ينكشف للعبد اليقين حتى يرفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والمعجب محبط قيل

لعيسى بن مريم لو امرتنا ان نبني لك بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف نستقيم بنيان على الماء قال فكيف يستقيم عبادة على حب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وروي عن يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى نقب جلده فسالته امه ان يلبس مكانه جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى يا يحيى اثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى مكانه ولترك الدنيا درجات في متماته

الدرجة الاولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة
في الادخار		
ان لا يدخر في غدايه لعشايه	ان يدخر لاربعين يوما	ان يدخر لسنة فقط
في الخبز		
كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة	خبز الشعير والذرة	خبز البر غير منخول
في الادام		
الملح او البقل والخل	الزيت وقليل من الادهان اي دهن كان	اللحم في الاسبوع مرتين
في وقت الاكل		
ثلاثة ايام او اسبوع وما زاد عليه	يصوم يشرب ليلة ولا ياكل ويأكل ولا يشرب	ياكل مرة في اليوم والليلة

قالت عايشة رضي الله عنها كانت تاتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وصلى في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانيه فاختار

لبس الكساء على الثوب الناعم وكان عليه السلام قد احتذى نعلين فاعجبه حسنهما

فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج

بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه وقال لعايشة ان اردت اللحوق بي فاياك

ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه قال الحسن مات رسول الله صلعم

ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عليه السلام من بنى فوق

ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد

شرا اهلكه ماله في الماء والطين وكل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما

اكن من حر وبرد وفرشت له فراش جديد ليلة وكان ينام على عباءة مثنية

فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لعايشة اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا

الفراش عني قد اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة فسهر ليلة حتى اخرجها

من اخر الليل قالت عايشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه فهذه

طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اوصى امته باتباعه اذ قال من احبني فليستن

بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ

وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم اعلم ان ترك الدنيا بيع و

معاملة واستبدال للذي هو ادنى بالذي هو خير وكما ان العمل الصادر

من عند البيع هو اخراج المبيع واخذ العوض فكذلك ترك الدنيا فيخرجها من

يده بالكلية مع اسبابها ومقدماتها وعلايقها ويخرج من القلب حبها ويدخل

حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد

والعين وساير الجوارح وظايف الطاعات والاذكار كمن سلم المبيع ولم ياخذ

الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي

بايع به وعلم ان الترك على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب

وعلى سبيل الطمع لا مدخل لها في العبادات بل هو من محاسن العادات

اذ العوض منها حسن الذكر وميل القلوب اليه من حظوظ العاجلة وكما ان ترك

المال على سبيل السخاء طمعا في العوض ليس من العبادات فكذلك تركه طمعا في الذكر

والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء او استثقالا لما في حفظ الاموال من المشقة

والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من العبادات بل استعمال

حظ اخر للنفس بل التارك المحمود من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر

على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ فتركها خوفا من ان يانس

بها فيكون انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله غير الله

او تركها طمعا في ثواب الاخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة

وترك التمتع بالسرايا والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين

طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التجمل والتزين بزينة الدنيا طمعا في

زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم

طيباتكم في حيوتكم الدنيا فاثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في

الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير وابقى وما سوى ذلك فمعاملات

دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا وينقسم ترك الدنيا ايضا بحسب المطلوب و

المرغوب فيه على ثلاث درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار

وساير الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي

العبد من الاهوال كما مر من الايات والاخبار اذ فيه ان الرجل ليوقف في الحساب

مائة سنة بعير عطاشا على عرقه لصدر رواء فهذه درجة الخايفين وكانهم

رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية

ان يترك رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور العين

والقصور وغيره وهذه درجة الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم

والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دايم على نعيم دايم لا اخر له الدرجة الثالثة

وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد

الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى

وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الذي لا يطلب غير الله لان من طلب
غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالنسبة الي مطلوبه كما مر
من قوله تعس عبد الدينار الحديث وقوله تعالي افرايت من اتخذ الهه هواه
وقوله عليه السلام ابغض اله عبد في الارض الهوي وغير ذلك وطلب غير الله
من الشرك الخفي كما مر في قوله تركته وشركه وهذا درجة المحسنين وهم العارفون
لانه لا يحب الله الا من عرفه واما المتروك فخارج عن الحصر وقد ذكر الله سبعة
منها فقال زين للناس حب الشهوات الاية ثم رده في اية اخري الي خمسة فقال
اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب الاية ثم رده في موضع اخر الي شيئين فقال وما الحيوة الدنيا
الا لعب ولهو ثم رد الكل الي واحد في موضع في هذه الاية فقال ونهي النفس عن
الهوي فان الجنة هي الماوي فالهوي لفظ يجمع حظوظ النفس في الدنيا وامر المنفرد
في جميع ذلك اخف من امر المعيل قال ابو سليمان ينبغي للرجل ان يدعوا اهله الي
الزهد فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المذكور
تخص لتارك الدنيا ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يتركهم سدي فيما يخرج
عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة
بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة عن ثوبان قال كان رسول الله
اذا سافر كان اخر عهده بانسان من اهله فاطمة واول من يدخل عليها فاطمة
فقدم من غزاة وقد علقت مسحا علي بابها وحلت الحسن والحسين قلبين من فضة
فقدم فلم يدخل فظننت انما منعه من ان يدخل ما راي فهتكت الستر وفكت القلبين عن
الصبيين وقطعته فانطلقا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يبكيان فاخذه منهما فقال
يا ثوبان اذهب بهذا الي ال فلان ان هؤلاء اهلي اكره ان ياكلوا طيباتهم في حيوتهم الدنيا
يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج فظهر بهذا انه يجب
علي الرجل ان يدعوا اهله الي القناعة والضرورة والضيق ولبس الخشن واكل
الخشن فان اجابوا فبها ونعمت والا يشتغل بنفسه ويردهم علي قدر الحاجة فاذن

ما يضطر اليه الانسان من حاجة ومال ليس بمحدود بل الزايد علي الحاجة سم قاتل
والمقتصر علي الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب الزيادة
وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا
ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه مشتبهة خ
امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل علي نفسه ومن
استكمل الزينة وترك ما يريبه ورد نفسه الي مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم
وهو من فرقة الناجية لا محالة والمقتصر علي الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب
الي الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط
من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابرهيم صلوات الله عليه اصابته حاجة
فذهب الي صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحي الله تعالي اليه
لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك شيئا
منها فاوحي الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه
وبال في الاخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك تعرفه من احوال الاغنياء وما عليهم من
المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل وغاية سعادته به ان
يسلم لورثته فياكلونه وهم اعداؤه وربما يستعينون به علي المعصية فيكون
هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال
ينسج علي نفسه حتي يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب
عمله الذي عمل بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم علي قلبه
سلاسل يقيده بما يشتهيه حتي يتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه
والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وساير حظوظ الدنيا فلو
خطر له انه قد اخطا فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراي قلبه
مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر علي قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره
كان ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الي ان يفرق ملك الموت بينه وبين

وبين جميعها دفعة فيبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي هي فانية وخلفها
فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى
الآخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمنشار
وينفصل احد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار
انما يتألم بدنه وتألم من حيث يسري اثره الى قلبه فكيف الظن بألم يتمكن
من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهو اول عذاب
يلقاه قبل ما رآه من حسرة فوت النزول في عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع
الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة
الا على محجوب كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الآية فوتب العذاب
بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة
اليه فنسال الله تعالى ان يقربنا في سمعنا ما نفث في روح رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قيل احبب ما احببت فانك مفارقه الحديث قال الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب
وتهلك غمّا وسط ما هو ناسجه ولما علم السلف ان العبد يهلك نفسه بشعبة الدنيا
وكسبه واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن
رحمة الله عليه رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم
وكانوا اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا
ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم
يعرض المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب
كان يخاف من فساده الذي اماتت حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال رضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وقال واعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم
من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك
فقال اخرج مالك والحقني قال لا استطيع فقال بشدة يدخل الغني الجنة وروي انه ما من
يوم ذر شارقه الا وان بجنبيه املاك ينادون في الآفاق باربع اصوات ملكان بالمشرق وملكان
بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر
اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان في المغرب لدوا للموت وابنوا
للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب اعلم ان معرفة سقوط المحبة
والميل الى الدنيا مشكلة فينبغي ان يعول الرجل في باطنه على ثلاث علامات
الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال
ويفرح بفقده والثاني ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة سقوط
الرغبة عن المال والثاني علامة زوال الرغبة عن الجاه والثالث ان يكون انسه بالله تعالى
والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا
واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان
وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان
بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا انظر الايمان في سويداء القلب
وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام
اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل
مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وقال الشعراني
الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها
ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله لا يلتفت اليها يسالونك عن الساعة ايان
مرسيها اي متى ارساها اقامتها يعني متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها فيم انت من ذكريها
اي في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة
ويسال عنها فلما نزلت على جوابهم لا تزال تذكرهم وتسال عنها الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يوت
علمها احدا من خلقه وقال في بعض التفاسير فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال انت من

اي ليس عندك علمها

او حيث منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه

اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد

ذكراها اي اسالك ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها لانك خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولامعنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من تخشيها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لافايدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا الاعشية او ضحيها يعني ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكوة مغرما وتعلم لغير الدين واطاع الرجل امرأته وادنى صديقه واقصى اباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع وقال صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون النساء لخمسين امرأة القيم الواحد وفي رواية يقل العلم ويظهر الجهل وقال في حديث طويل ويصبح الناس يتبايعون ولايكاد احد يؤدي الامانة فيقال ان في بني فلان رجلا امينا ويقال للرجل ما اعقله وما اظرفه وما اجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال بادروا بالاعمال فستكون فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض الدنيا وقال ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به فاذا وقعت فمن كان له ابل فليلحق بابله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له ارض فليلحق بارضه فقال رجل يارسول الله ارايت من لم يكن له ابل ولا غنم ولا ارض قال يعمد الى سيفه فيدق على حده ثم لينج ان استطاع النجاة ثم قال اللهم هل بلغت ثلاثا

فقال رجل يارسول الله ارايت ان اكرهت حتى ينطلق بي الى احد الصفين وضربني رجل بسيفه او يجيء سهم فيقتلني قال يبوء باثمه واثمك ويكون من اصحاب النار وقال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف بك اذا بقيت في حثالة الناس مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قال فبم تامرني قال عليك بما تعرف ودع ما تنكر واياك وعوامهم وفي رواية الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة نفسك ودع امر العامة وقال صلى الله عليه وسلم بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه واشار باصبعيه السبابة والوسطى

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى اعرض ان جاءه لان جاءه الاعمى وهو عبد الله بن شريح وكان يلقب بابن ام مكتوم ومايدريك يعني اي شيء يجعلك داريا وعالما بحاله لعله يزكى يتطهر من ذنوبه بما يتعلم ويعمل به ولعله هو الباعث لمجيئه بلا فايدة وسرعة سواله عنك وطلبه التعليم له منك او يذكر يتعظ فتنفعه الذكرى الموعظة في اعماله واجادة اعماله والمعنى انك لاتدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر من ترك او فعل ولو كنت تعلم ذلك لما فرط منك التعبس والتولي وسبب نزول الاية هو ان رؤساء قريش عتبة وشيبة وابو جهل والعباس وامية بن خلف والوليد بن المغيرة كانوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدعوهم الى الاسلام ويرجو اسلامهم واسلام غيرهم بسبب اسلامهم اذ كانوا يمنعون قبائلهم عن الاسلام محمد عليه السلام فدخل عبد الله فاخذ يقول يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء لامتلاء قلبه بمحبة الله وكمال رقة قلبه وقلة صبره عن المعرفة وكان لايدري انه مقبل على دعوة غيره مشتغل بهم عنه فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع كلامه حتى ظهرت الكراهة في وجهه عليه السلام ووقع في نفسه ان يطعن هؤلاء الصناديد ويقولوا انما اتبعه

العميان والعبيد والاراذل فعبس واعرض واقبل علي هؤلاء الصناديد يكلمهم ويدعوهم
الي الاسلام فانزل الله تعالي هذه الاية فعاتبه وانكر لما افرط منه وفي الاخبار
عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب وفي ذكر الاعمي دليل علي زيادة الانكار وما
عبس رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد ذلك في وجه فقير ولا تصدي لغني ولقد
تادب الناس بادب الله في هذا تادبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله
ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وقال المؤمل ما رايت الغني اذل منه في مجلس
الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري وكانوا اذا حضروا مجلسه
يغيرون ثيابهم ويلبسون ثياب الفقراء وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكرم ابن
ام مكتوم بعد نزول الاية وكان اذا راه يقول مرحبا من عاتبني فيه ربي
ويقول له هل من حاجة وجعل اميرا علي المدينة مرتين في غزاتين غزاهما
وقال انس بن مالك رايته القادسية عليه درع ومعه راية سوداء قال ابن زيد
لو كتم رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئا من الوحي لكتم هذا اما من استغني اثري
فانت له تصدي تتعرض وتلتفت اليه وتصغي الي كلامه وتقبل اليه وما عليك
اي ليس عليك باس ان لا يزكي في انه لا يتزكي بالاسلام عن الشرك والمعاصي ان
عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعي يسرع في طلب الخير وهو يخشي الله فانت عنه
تلهي تعرض وتتغافل وتشاغل بغيره فان قلت قوله فانت له تصدي تلهي كان فيه
اختصاص قلنا نعم معناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان
يتصدي للغني ويتلهي عن الفقير كلا ردع عن المعاودة اي لا تفعل مثل هذا بعدها
فليس الامر كما فعلت من اقبالك علي الغني الكافر واعراضك عن الفقير المؤمن
انها يعني هذه الموعظة تذكرة موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن
شاء من عباد الله عز وجل ذكره اتعظ به وذكر الضمير لان التذكرة في معني الذكر
والوعظ في صحف يعني انها مثبتة في صحف يعني اللوح المحفوظ وقيل كتب الانبياء عليهم السلام
مكرمة عند الله مرفوعة ذاته وشانه وقدره عند الله مطهرة منزهة عن ايدي

الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين بايدي سفرة يستنسخون الكتب من اللوح المحفوظ
قال ابن عباس ومجاهد هم الملائكة وقال ابن منبه هم اصحاب محمد عليه السلام
كرام بررة قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصاري
شدائد الدنيا وفظايعها ما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله تعالي
ولا تري اسلوبا اغلظ منه ولا اوحش مثنا ولا ادل علي سخط وذم ولوم ثم اخذ
في وصف حاله من ابتداء حدوثه الي ان ينتهي وما هو مغمور فيه من اصول النعم
وفروعها وما هو غارز فيه راسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الي
ما يتقلب فيه والي ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه من اي
شيء حقير خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه واقرب شيء الي الانسان
نفسه وفيها من العجايب الدالة علي عظمة الخالق ما تنقضي الاعمار في الوقوف علي
عشر عشيرة وهو غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع
في معرفة غيرك وقد امرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز في مواضع فقال وفي
انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان
ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه وقال الم يك نطفة من مني يمني وقال
الم نخلقكم من ماء مهين وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وقال انا خلقنا
الانسان من نطفة فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التدبر
في معناه فانظر الان الي النطفة وهي قطرة من ماء قذر لو تركت ساعة ليضربها الهواء
فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين
الذكر والانثي والقي الالف والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الي
الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض
من اعماق العروق وجمعها في الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بدم الحيض
وغذاه حتي نما وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف
جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة الاجزاء متساوية الي العظام والاعصاب

والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة
فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير المنافذ ثم مد اليد والرجل
وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب
والمعدة والكبد والطحال والرية والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص
بعمل مخصوص وكيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين
من سبع طبقات لكل مقدار مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها
او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف ما في احاد
هذه الاعضاء من العجايب والايات لانقضى فيه الاعمار فانظر الى العظام وهي
اجسام قوية صلبة كيف خلقها الله من نطفة سخيفة رقيقة ثم خلقها قواما للبدن
وعمادا اليه ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل
ومستدير ومصمت وعريض ودقيق وغليظ ولما كان الانسان محتاجا
الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضايه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا
بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركة وقدر شكل
كل واحد منها على قدرة وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض
باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصق بالطرف الاخر بالرباط ثم خلق في احد طرفي
العظم زوايد خارجة منها وفي الاخر نقرا غايصة فيها موافقة لشكل الزوايد لتدخل
فيها وينطبق عليها فصار العبد ان اراد ان يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل
لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمس
وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى
له كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل
والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي
الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها في اسفله خرزات مجوفات
مستديرات فيها تجويفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض يطول وجه ذكر

الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربعة
وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلثة اجزاء مختلفة ويتصل به من اسفله عظم
العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام
الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم ركب عظام الفخذين والساقين
واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدده ومجموع عدد العظام في بدن الانسان
مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشيت بها خلل المفاصل فانظر كيف
خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان تعرف
عددها فان هذا علم قريب يعرفه المشرحون وانما الغرض ان تنظر منها في مدبرها
وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا
العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه
ولو نقص منها واحد لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف
وجه العلاج في جبرها واهل البصاير ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها
ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الالات لتحريك العظام وهي
العضلات فخلق في بدن الانسان خمسماية عضلة وتسعة وعشرين عضلة والعضلة
هي مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب
اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون عضلة منها لتحريك حدقة العين
واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين فهكذا لكل عضو عضلات
بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين
وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول وفي احاد
هذه الاجزاء ثم في احاد الاعضاء ثم في جملة البدن من عجايب قدرة الله ما لا يدخل
تحت الحصر والاحصاء كل ذلك نظر الى عجايب اجسام البدن وعجايب المعاني والصفات
التي لا تدرك بالحواس الظاهرة اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته
لترى فيها من الصنعة ما يقضي به التعجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة فسبحانك

ما اعظم شانك هذا صنعتك في قطرة ماء فما صنعك في ملكوت سمواتك وكواكبك وما
حكمتك في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق
بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ايها الغافل
عن نفسه والجاهل عما خلق فيه وانظر من عجايب قدرة الله وحكمته ان ذرة
من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع
من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجايب السموات ولذلك قال
، انتم اشد خلقا ام السماء بناها الاية فارجع الان الى النطفة وتامل حالتها اولا وما
صارت اليه ثانيا وتامل لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا
او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيه عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا
هل يقدرون عليها بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق
لعجزوا عنه فاعجب عنك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حايط تانق
النقاش في تصويرها حتى قرب من صورة الانسان وقال الناظر اليه كانه
انسان عظم تعجبك من تصوير النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته
وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ وبالقلم
وبالحايط وباليد والقدرة والعلم والارادة وشي من ذلك ليس من فعل النقاش
ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحايط بترتيب
مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت النطفة القذرة كانت معدومة
فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها
وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء
مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها
ورتب عروقها واعصابها وامعاءها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب
بقائها وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا فخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن
حاويا لالات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن

شكلها ولونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها
ثم اظهر في مقدار عدسة صورة السموات والارض مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها
فهو ينظر وشق اذنيه واودعهما ماء مرا لحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها
بصدفة الاذن ليجمع الصوت فيردها الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل
فيها تجويفات واعوجاجات ليكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقها فيتنبه عن
النوم صاحبها اذا قصدها الدابة في نوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله
وفتح منخريه واودع حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته
وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهوا غذاء القلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم
واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان وليكون
الة الطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد روسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية
الروس متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق
على الفم فيسد منفذها وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها لخروج الاصوات
وخلق اللسان وقدره للحركات والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف
بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة
والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلف بسببها
الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقين حتى يميز السامع بعض
الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعر والاصداغ وزين الوجه
باللحية والحاجبين وزين الحواجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين
بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد بفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج
الغذاء ويدفع عنه بعض الفضلات الى الامعاء وبصير الغذاء فيه كيلوسا وسخر الكبد
ليصير الغذاء الى الدم وسخر الطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد والطحال تخدمه
لجذب السوداء عنه والمرارة تخدمه لجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه لجذب
المائية عنه والمثانة تخدم الكلية لقبول الماء عنه ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق

تخدم الكبد في ايصال الدم الى ساير اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما ليمتد الى المقاصد
وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلثة انامل ووضع الاربعة في جانب
والابهام في جانب ليدور الابهام الى الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق
الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضع عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت
الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بها صلح القبض والبسط
والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب
وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت له مجرفة ثم خلق
الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا يتقطع وليلتقط بها الاشياء
الدقيقة التي لا يتناولها الانامل وليحك به بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس
الاشياء لو عدمه الانسان فظهر له حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه
في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة
الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله في
النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه
لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا شيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رايت مصورا
وفاعلا لا يمس آلته ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه
ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه
السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج
اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية
الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم لبنا خالصا
سايغا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت فيهما الحلمة على قدر ما ينطبق عليها فم الصبي
ثم فتح حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن الا تدريجا فان الطفل لا يطيق
منه الا القليل ثم كيف هداه الى الامتصاص حتى يستخرج من المضيق اللبن الكثير عند شدة
الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لا يتقوى الا باللبن

لانه في الحولين صح

وهو

العظام سان

وهو مستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج
الطعام الى المضغ والطحن وانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه
كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام
بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما
لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه الله القدرة والتمييز والعقل
والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا فانظر الى اللطف
والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجايب الحضرة الربوبية فالعجب كل العجب لمن
يرى خطا حسنا ونقشا على حايط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش
والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما
احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب في نفسه وفي
غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره ولا يدهشه عظمته ولا تحيره جلاله وحكمه فهذه
نبذة من تفسير قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقد اشار فيها الى عجايب بدنك
التي لا يمكن استقصاؤها والى طرف من شواهد عظمته وانت غافل عنها مشغول ببطنك
وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب
فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهايم والسباع كلهم وانما خاصية الانسان التي حجبت البهايم
عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجايب الافاق والانفس
اذ بها يدخل العبد في زمرة الصالحين ويحشر معهم ويصير مقربا من رب العالمين وليس
هذه الرتبة للبهايم ولا للانسان رضي من الدنيا بشهوات البهايم فانه شر من البهيمة بكثير
اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها
فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا قوله فقدره اي احياه واسمعه وبصره
وقواه وعلمه وخلق له الاعضاء بما فيها من العجايب والآيات واغناه واشبعه
وكساه وهداه بعد ما كان جمادا نطفة اصم واعمى وضعيفا وجاهلا وفاقد الاعضاء والآلات
وفقيرا وجايعا وعريانا وضالا فانظر الى كرمه وعميم احسانه ولطفه كيف نقله من تلك

الذلة والحقارة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة وانما خلقه من اخس الاشياء ليعرفه
خسة نفسه فيعرف بها نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عجايب
قدرته وحكمته ولطفه وعظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به فمن كان هذه احواله
فكيف يليق الكبر والفخر به وهو اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو فوض اليه امره
بعدما اكمله لجاز ان يطغى ويختال ويفخر ويتكبر ولكنه سلط عليه انواع الاسقام والالام
والافات والطبايع المتضادة التي يهدم البعض من اجزائه البعض وسلط عليه الاعداء
والجوع والعطش والحر والبرد والموت والذباب والبعوض والقمل والبراغيث
والصئبان والدرن وغير ذلك ولا يامن ساعة في عمره ان يسلب سمعه وبصره وعقله
وروحه وجميع ما يحبه ويهواه ويفلج اعضاءه واني يليق له الكبر والخيلاء لولا جهله
ثم السبيل يسره اي السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر يسره اي اعلمه
واقدره عليه ومكنه وقيل فقدره هياه لما يصلح له ويختص به ثم السبيل
يسره سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه وقال ابن عباس معناه بين له سبيل
الخير والشر ثم اماته فاقبره اي سلب جميع ما اعطاه فصيره مقبورا جيفة منتنة قذرة
كما كان في الاول نطفة مذرة فتنخر عظامه وتبلى اعضاؤه وتاكل الحيات والعقارب
والذرايح والنمل وساير الديدان اجزاءه فيصير دودا في اجواف الديدان ويكون جيفة
يهرب عنه الحيوان لشدة الانتان ثم يصير ترابا يعمل الدنان والكيزان او يعمر منه العمران
وليته بقي كذلك بل يعذب في قبره بانواع من العذاب ان كان عاصيا او منافقا او كافرا
وينجو ان كان متقيا مؤمنا حقا صادقا في ايمانه لا يشوبه شك في البعث والجزاء قال
ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان
ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان
مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقولان
له انا كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور
له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام نومة العروس

وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء انشره اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه انما هو موكول الى مشيته

الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا
قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان انا كنا نعلم انك تقول ذلك
ثم يقال للارض التامي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه
الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن
الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا ثلاثة اذرع
وشبرا ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك ثم يهيلوا عليك
التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف
وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثيان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك
فكيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الان قال نعم قال فاذن اكفيكهما وهذا
نص صريح على ان العقل لا يتغير بالموت قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان للقبر ضغطة لو نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا
يا رسول الله راينا فيك شانا ثم ذا قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر
فانبئت ان الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عليه اصحابه انه ليسمع
قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد فاما المؤمن
فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقول له انظر الى مقعدك قد ابدلك الله به مقعدا
من الجنة فيراهما جميعا واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول
لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من
حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبر الميت اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال
لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله

اي المشرق والمغرب

اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا
ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول
ارجع الي اهلي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه
حتي يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون قولا
فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التامي عليه
فتلتام عليه فيختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتي يبعثه الله تعالي من مضجعه
ذلك ورواه البراء بن عازب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يأتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام
فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك
فيقول قرات كتاب الله فامنت به وصدقت فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا الاية قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من
الجنة وافتحوا له بابا من الجنة قال فياتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مد بصره واما والبسوه من الجنة
الكافر فذكر موته قال فيعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك
فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما هذا الرجل
الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب فافرشوه
من النار وافتحوا له بابا من النار قال فياتيه من حرها وسمومها قال فيضيق عليه والبسوه من النار
قبره حتي تختلف فيه اضلاعه ثم يقيض له اعمي واصم معه مرزبة من حديد لو ضرب
بها جبل لصار ترابا فيضربه بها يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين
فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح وقال ابو هريرة ان الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون
عنه مدبرين فان كان مومنا كانت الصلوة عند راسه والزكوة عند يمينه والصيام
عند يساره وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الي الناس
عند رجليه فيؤتي من عند راسه فتقول الصلوة ما قبلي مدخل فيؤتي من عند
يمينه فتقول الزكوة ما قبلي مدخل فيؤتي من عند يساره فتقول الصيام ما قبلي مدخل

فيؤتي من عند رجليه فتقول فعل الخيرات ما قبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس
قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له اخبرنا عما نسالك فيقول دعوني
حتي اصلي فيقال انك ستفعل فاخبرنا عما نسالك فيقول عم تسالوني فيقال ارايت
هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد عليه فيقول محمد فيقال له نعم فيقول اشهد انه
رسول الله وانه جاء بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له علي ذلك حييت وعلي ذلك
مت وعلي ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ثم يفتح له
باب الي الجنة فيقال انظر الي ما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا الحديث وقال
مقاتل ان المومن اذا مات بعث الله اليه ملكا يقال له رومان فيدخل قبره فيقول
له انه ياتيك الان ملكان وهو منكر ونكير اسودان ازرقان فظان غليظان اعينهما كالبرق
الخاطف واصواتهما كالريح العاصف معهما مرزبة فيقعدانه ويسالانه ولا يشعران
بدخول رومان فيقول ربي الله ونبيي محمد وديني الاسلام فيقولان له عشت سعيدا
ومت شهيدا ثم يقولان اللهم ارضه كما ارضاك ويفتح له في قبره باب الي الجنة ياتيه من
التحف فاذا انصرفا عنه قالا له نم نومة العروس فقال فهذا هو التثبيت يعني معني قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين يعني
لا يلقيهم وذكر ان الظالم اذا مات ودخل عليه الملكان قالا له من ربك وما دينك ومن نبيك
قال لا ادري قالا له لا دريت عشت عصيا ومت شقيا ثم يقول له نم نومة المنهوس
ويفتح له في قبره من جهنم ويضربانه ضربة بتلك المرزبة فيشهق شهقة يسمعها كل حيوان
الا الثقلان ويلعنه به من سمع صوته فذلك قوله تعالي ويلعنهم اللاعنون وروي ابو نضرة
عن ابي سعيد الخدري قال كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في جنازة فقال يا ايها
الناس ان هذه الامة يبتلي في قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق اصحابه جاء ملك في يده
مطراق فاقعده فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مومنا قال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب
الي النار فيقال له هذا منزلك كان لو كفرت بربك فاما اذا امنت به فان الله ابدلك به هذا

ثم يفتح له باب الى الجنة فيريد ان ينهض له فيقال له اسكن ثم يفسح له في قبره واما
الكافر والمنافق فيقال له ما يقول في هذا الرجل فيقول لا ادري فيقال له لا دريت
ولا اهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال هذا منزلك لو امنت بربك فاما اذ كفرت
فان الله تعالى ابدلك به ثم يفتح له باب الى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه
خلق الله كلهم الا الثقلين قال بعض اصحابه يا رسول الله ما منا احد يقوم على راسه
ملك بيده مطراق الا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين
روى البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن
قال فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من
ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد
فينتهرانه ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهي اخر فتنة يعرض
على المؤمن فيثبته الله تعالى فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي الحديث عن عثمان انه كان اذا
وقف على قبر بكى حتى لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر اول منزل من منازل
الاخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد منه وعن
محمد بن كعب القرظي كان يقرا قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال اذا راى العاصي عذاب القبر وندم
يقول ذلك قال الله تعالى اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس
الغراس وتبني البنيان وتشقق الانهار وتفعل كذا وكذا قال لا لعلي اعمل
صالحا فيما تركت قال يقول الجبار كلا انها كلمة هو قايلها اي يقلها عند ذلك
وعن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهسه وتلدغه حتى تقوم

الساعة لو ان تنينا منها نفخ في الارض ما انبتت خضراء وقال ابو هريرة قال النبي صلعم
المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعين ذراعا ويضيء حتى
يكون كالقمر ليلة البدر وهل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله
ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعين تنينا
هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس تخدشونه
ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون وتقييد ذلك بتسعة وتسعين اختلف
في حكمته فالاصح ان التقييد بذلك العدد لحكمة علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق النبوة
والوحي ولم يعرفه غيره كتقييده عليه السلام الاستغفار بسبعين مرة او بماية مرة
وتقييده التكبير والتحميد والتسبيح دبر الصلوة تارة بعشر مرة وتارة بثلثة وثلثين
وكذلك تقييد اعداد الركعات والحدود وغير ذلك وقال بعض السلف انما قيد بذلك
لان لله تعالى تسعة وتسعين اسما ما به الا واحدة وكل اسم ماخوذ من صفة كالواحد
والاحد والوتر والرحمان والرحيم وغير ذلك فالكافر انكر الاسماء هذه الصفات واشرك
بمنزلة هذه الاسماء فوكل عليه بعدد كل اسم منها تنين وحصل للمؤمنين المتقين
بعدد كل اسم منها قربة واتصف به بقدر استطاعته رحمة ومن لا يخاف من
العصيان كيف يؤمن بانه قهار ومنتقم ومن صار عبد الدينار والدرهم والخميصة والزوجة
والهوى واستعبدته هؤلاء واتخذ الهه هواه كيف يؤمن بان الله هو الملك المستحق
للعبادة لا اله الا هو ولهذا قيل ان من اداب من امن بالله ملك الناس كله له الملك
لا اله الا هو ان يتبرا عن الدعوى ويسلم الملك اليه ولا يقول لي وفي ولهذا قال
قال بعض العلماء التوحيد اسقاط الياءات ومن امن بان الله تعالى هو المهيمن
والرقيب على كل شيء واليه من سواد عينه قريب يعلم افعاله ويسمع اقواله ويعد
انفاسه كيف يقدم على شر وفساد ومعصية ومخالفة وروى ان الجنيد
قد راى يوما على اصحابه الفوط فقال ليس التصوف بالفوط من ظن ذلك فقد غلط
ان التصوف يا اخي لهو الصفاء من السقط اوما علمت بان ادم حين خالف انهبط

ومن آمن بان الله عزيز ينبغي ان يعزه واعزازه امتثال امره واجتناب ما نهاه فمن
استهان باوامره فلم يمتثل ولم ينته عما نهاه فمحال ان يكون مقرا ومو قنا بعزته
ولهذا قال رجل لبعض العلماء ما علامة انك تعرف الله عزيزا فقال ما همّ بمخالفته
الا نادى مناد من قلبي استحيي منه روي عن احمد بن الفراء قال اجتمع ابو الحسن
البوشنجي مع ابي بكر الفارسي رحمهما الله فسال واحد من الاصحاب فقال لما ضيق
الحق الطريق اليه فقال ابو بكر لانه عزيز والطريق الى العزيز عزيز وروي ان
رجلا جاء الى ابي تراب النخشبي فقال ما بالي افنيت عمري في الطلب ولم احصل من
الله على شيئا قال لانك تحب وتعز ثلثة وهي ليس لك تحب النفس وتعزها
وهي للدود والتراب وتحب المال وتعزه وهو للورثة وتحب الروح وتعزها
وهي لله فلا تعظم الا الله ثم قرا من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وروي عن
احمد الدينوري قال سمعت ذا النون المصري بينا انا اسير في جبال انطاكية فاذا
انا بجارية كانها مجنونة عليها جبة من صوف فسلمت عليها فردت علي السلام
قالت الست ذا النون المصري قلت عفاك الله كيف عرفتني فقالت عرفتك باتصال
معرفة حب الحب ثم قالت اسالك عن مسالة قلت سلي فقالت ايش السخاء قلت
البذل والعطاء قالت هذا سخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قلت المسارعة الى طاعة
الله قالت فاذا سارعت الى طاعة الله فهو ان يطلع على قلبك وانت تريد منه شيئا
بشيء ويحك يا ذا النون المصري اني اريد ان اطلب شهوة منذ عشرين سنة فاستحيي
منه مخافة ان اكون كالاجير السوء اذا اعمل طلب الاجرة ولكن اعمل تعظيما لهيبته
واعزاز الجلاله ومن آمن بان الله عزيز كيف يعتقد لمخلوق عزا ولهذا قال
العلماء الماضون الراسخون في العلم المعرفة حقر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار
سوى ذكره ولهذا قال من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه وكيف يؤمن
بان الله جبار مصلح كيف لا يتوكل عليه في جميع احواله ولا يفوض جميع اموره اليه سئل
بعض الصالحين عن سبب توبته فقال اني كنت رجلا دهقانا فاجتمع علي اشغال

يوم الجمعة وكنت احتاج ان اسقي زرعي وكنت حملت حنطة الى الطاحونة وضل
حماري وتركت هذه الامور واشتغلت بالجمعة وصليت فلما انصرفت واجتزت
بالزرع فاذا هو قد سقي فقلت من سقى هذا فقيل ان جارك اراد ان يسقي زرعه
وانفتق البثق ودخل الماء زرعك قال فلما اتيت الدار فرايت الحمار على المعلف قلت
من اين هذا فقالوا صال عليه الذئب فالتجا الى البيت ورايت الدقيق موضوعا
في البيت فقلت كيف سببه فقالوا ان الطحان طحن هذا بالغلط فلما علم ان ذلك رده
الى المنزل فقلت ما اصدق ما قيل من كان لله كان الله له ومن اصلح امر الله اصلح
الله اموره فتركت وتبت الى الله وكيف يؤمن بان الله غفار واذا ايس من رحمته
واصر على الذنب ولم يبادر الى التوبة قبل ان تختطفه ملك الموت بغتة وقد
قال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال حكاية
عن نوح صلوات الله عليه وقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا وهذا نص صريح
ودليل قطعي وحجة واضحة الى ان الله تعالى غفار لمن استغفر ولو كان
غفارا مطلقا لما قال قلت استغفروا ربكم ولما اهلك قوم نوح وفي الحديث
يقول الله تعالى ان العبد ليعرض عني حتى كانه لم يعرفني واذا اقبل الي
وتاب افتح له بابي حتى كانه لم يعرض عني وقد مر تحقيق هذه المسالة
بالاستشهادات في قوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم ونذكر ههنا في سبب نزول هذه الآية قضية لم نذكر ثمه وهو ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في المسجد يوما اذ دخل عليه معاذ وهو
يبكي قال عليه السلام وما يبكيك يا معاذ قال ان بالباب شابا طري الجسد
حسن الصورة يريد الدخول عليك ويبكي بكاء شديدا فقال عليه السلام ادخله
يا معاذ فدخل وقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام يا شاب
ثم قال ما يبكيك فقال ولم لا ابكي وقد ركبت ذنوبا عظاما لو اخذني الله
ببعضه خلدني في جهنم فقال ويحك يا شاب اشركت بالله وكفرت قال لا فقال

ان الله يغفر الذنوب اذا استغفرت وتبت توبة نصوحا ولو كان مثل الجبال فبكا بكاء شديدا وقال يا رسول الله ذنوبي اعظم مما ذكرت ثم قال يا شاب ذنبك اكثر ام البحار قال ذنبي قال ذنبك اعظم ام السموات قال ذنبي ثم قال يا شاب ذنبك اكثر ام رحمة الله فخر الشاب ساجدا يقول يا واسع المغفرة اغفر لي ذنبي وتب علي يا واسع المغفرة اغفر لي ما اجترات وتب علي ثم سكت النبي والشاب ساعة يبكي حزينا من غير رفع صوته فقال النبي عليه السلام ويحك يا شاب اخبرني بذنب واحد من ذنوبك قال نعم يا رسول الله كنت شابا انبش القبور منذ عشرين سنة ولم يكن يعرف حالي الا بنت من بنات الانصاري من جيراني فلما مرضت ارسلت الي اربعمائة درهم سرا وقال خذ هذا ولا تنبش قبري اذا مت فلا تفضحني ولم تواعضائي احدا فقلت للتي جاءت بالدرهم اذهبي اليها وقولي لها لا تهتكي ستري عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عند احد وانا لا اهتك سترك ولا ستر احد وقد تبت ولا انبش بعد هذا فلما توفيت وكفنت في اثواب لها قيمة وكانت من اهل بيت ذي نعمة وسخاء ومروة فلما جن الليل وسوسني ابليس وقال مال كثير تتركه في القبر فذهبت ونبشت قبرها فاخرجتها الي راس القبر ونزعت لباسها فنادت وقالت الويل لك يا شاب تركتني عريانا في عسكر الموتي فالبت الشاب ذكر فخار كالثور وسقط عند النبي عليه السلام كانه ينتزع منه الروح حتى بكي النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رحمة له ثم قال تنح عني يا فاسق ما اقربك من النار فبكي الشاب وخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا صارخا فدخل سوق المدينة وتزود منها ولبس المسح وصعد بعض جبال المدينة وغل يده بالحديد ثم نادي الهي وسيدي هذا عبدك مغلولا بين يديك فارحمني يا غياث المستغيثين اغثني ولا تقنطني من رحمتك فلم يزل يدعو اربعين يوما حتى استانست الطيور والوحوش معه فلما تم اربعون يوما تاب الله عليه وانزل هذه الاية على محمد فجاء جبريل فقال يا محمد ان الله يقرؤك السلام ويقول اتاك عبدي تائبا فطردته فالتجا الي بابي وتضرع الي فاين

يذهب عبدي فمن يطلب الرحمة يا محمد بشر عبدي بهلولا بالجنة فخرج النبي عليه السلام علي اصحابه وقال هل تعلمون ما فعل بهلول فقال معاذ بن جبل بلغني انه في جبل كذا فمضي النبي عليه السلام مسرعا بلا زاد ولا راحلة حتى صعد والجبل فاذا هو قايم بين الصخرتين قد غل يده فقد اسود وجهه من الشمس وعميت عيناه من البكاء والحني ظهره من الجوع الهي اتنزلني الجنة مع المتقين او في النار مع الكافرين والشياطين فدخل النبي عليه السلام ودنا منه ومسح بعض التراب عن راسه بكمه ثم قال ارفع راسك وابشر فانك عتيق من النار فخر ساجدا واستبشر ثم التفت النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال فهكذا تداركوا فعاش بهلول بعد ذلك ثلثة اشهر ومن كان يؤمن علي ان الله وهاب كيف يخشي من الفقر ومقاساة الاقلال وكيف يرجع حوايجه الي غير الله وكيف يعتمد في اموره الي غيره ومن كان يؤمن بان الله هو الرزاق ذو القوة المتين كيف يخاف الفقر ويحزن لاجل الرزق ويجتهد ليلا ونهارا ويقاسي مشقة الاسفار كما قال بعض من تفطن بعد طول المقاساة في الاسفار حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي وادبار واقبال ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي بمشرق الارض طورا ثم مغربها لا يخطر الموت من حرص علي بالي ولو قنعت اتاني الرزق من دعة ان القنوع الغني لا كثرة المال عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله وروي حاتم الاصم دخل علي امراته فقال اني اريد سفر الحجاز فكم تحتاجين من النفقة حتى اصنعها لك فقالت تقدر حيوتي فقال وما ادري كم تعيشين فقالت كلني الي عالمه ومن عرف ان الله هو الرزاق وامن به افرده بالقصد اليه وعلم انه لا شريك له في رزقه كما لا شريك له في خلقه وكيف لا وقد تري كثيرا بين الناس من يرزقهم الله بغير بضاعة ولا جهد وتري كثيرا ممن كثرت بضاعتهم ثم سرقت او هلكت كما قيل وباطل المال غير من جمعه ويجمع المال غير من اكله لا يهين الفقر علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

يقول ع

وقال العلماء السالفون لا يبطل ايمان الرجل حتى يعلم بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه
وبان كل ما تقدره على العبد من فقر او غنى وموت وحيوة فهو خير له مما عناه
قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب
فقد طعن على التوحيد فهذا سر قوله عليه السلام ايها الناس ليس شي يقربكم
الى الجنة ويباعدكم من النار الا قد امرتكم وليس شي يقربكم من النار ويباعدكم من
الجنة الا قد نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل
رزقها الا فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء رزق ان تطلبوه بمعاصي
الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فان قلت فهل من
دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله
في تيسير الاسباب الخفية قلنا نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان
وحسن الظن بالله قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشعوف بسماع تخويف الشيطان حكي
عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له وجه معلوم فقال الامام لو اكتسبت لكان افضل
لك فلم يجبه حتى اعاد ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم
رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا
لو لم تكن اماما بعذ بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في الايمان والتوحيد لكان خيرا لك
اي فضلت وعد يهودي على ضمان الله بالرزق وقال امام مسجد لبعض المصلين
من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليت خلفك واجيبك وعن حذيفة
المرعشي وكان خدم ابرهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت فقال بقينا في طريق
مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابرهيم وقال
يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب
بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى انا حامد

وفي نسخة انا الغضبان بغضبتها حمتني الغضبت بغضبتها اجارني صح

انا شاكر انا ذاكر انا جايع انا بايع انا عاري مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبدك
من عذاب النار ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة
الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة
فاخذ وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلاني فدفع
الي صرة فيها ستماية دينار ثم لقيت رجلا اخر فقال هذا نصراني فجئت الى ابرهيم
فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجي الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني
واكب على راس ابرهيم واسلم وروي انه في الزمن الاول رجل في سفر ومعه
قرص فقال لو اكلت مت فوكل الله ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تطعمه
غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل وبقي عنده القرص قال ابو الحسن
سمعت شيخا ينشد هذه الابيات يا طالب الرزق في الافاق مجتهدا ؞
اتعبت نفسك حتى شقك الطلب ؞ كم من ضعيف ضعيف العقل تعرفه ؞ ؞
له الولاية والاوراق والذهب ؞ ومن حسيب له عقل يزينه ؞ ؞ ؞
بادي الخصاصة لم تعرف له سبب ؞ فاسترزق الله مما في خزائنه ؞ ؞ ؞
فالله يرزق لا عقل ولا حسب ؞ وحكي عن بنان حمال قال كنت في طريق مكة اجي من
مصر ومعي زاد فجاءتني امرءة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم
انه لا يرزقكم قال فرميت مزادتي اني على ثلاث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق
فاقول في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما يعطيني شيئا فنرده فاذا انا بتلك المرءة
قالت لي انت تاجر تقول يجي صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت
انفقه فاكتفيت بها الى قريب من مصر وحكي عنه انه احتاج الى جارية تخدمه
فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنا وقال هو ذا يجي النفر فنشتري ما وافق فلما
ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه
فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فلم يبع فسالوا عن شانها فقال انها لبنان الحمال
اهدت اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت القصة وقال ابو يعقوب

فقلت من صاحب هذه البغلة صح

النقص

الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي فخرجت
الي الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت
في قلبي منها وحشة وكان قايلا يقول لي جعت عشرة ايام فاخر يكون حظك سلجمة
متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين
يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في
البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة علي الغرق فنذرت ان خلصني الله
ان تصدقت بهذه علي اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من
لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا اسمد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت
قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الي بناتك هدية مني لكم وقد قبلتها
ثم قلت في نفسي رزقك تسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي وروي
عن ابي عبد الله الصوفي قال سمعت بعض فقراء الصوفية يقول ضاقت يد
صوفي فنازعته امراته فقالت اخرج غدا فاطلب لنا شيئا فبات مغموما فحدث
المرأة فرأى في المنام ان قيل له اذا غدوت فاذهب الي مكان كذا الذي واحفره فان
فيه جبتين مملوتين احدهما دراهم والاخر دنانير فاصبح وحدث المرأة بذلك واخذ فاسا
وخرج الي ذلك المكان ووقف عليه ثم يذكر قوله تعالي وفي السماء رزقكم فقال ان الله تعالى
قال وفي السماء رزقكم وانا اطلبه في الارض لا افعل هذا فرجع فقالت امراته مالك رجعت
فحكاها ما خطر بباله فحدثت امراته امراة جاره لها بما راي زوجها في المنام فحدثت
امراة الجار زوجها بذلك فاخذ زوج الجارة الفاس وذهب الي ذلك المكان فحفرها
فوجد جبتين مملوتين احدهما حيات والثاني عقارب فغضب من ذلك فقال
اجيئها فادمي في جوف الليل الي دار جاري فاتي بهما فلما كان جوف الليل رمي بها
الي سطح جاره الفقير فلما اصبح الفقير راي سطحه مملوا دراهم ودنانير بقدرة الله تعالى
فاخذ فقال صدق الله تعالي وفي السماء رزقكم ولما نزل الهجرة فاموا بها فقال قوم
كيف نهاجر الي ارض ليس لنا فيه عشيرة فينزونا ولا معارف فيطعمونا فنزل وكاين

من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم اي لا يطيق يحمل ولا يدخر لغد قيل لا يدخر
شيئا من الحيوان قوتا الا ابن ادم والفارة والنمل قال محمد بن المراغي سمعت ابا الخير
يقول بقيت بمكة سنة فاصابني ضر وفاقة وكلما اردت ان اخرج في المسئلة هتف بي
هاتف يقول الوجه الذي تسجد لي به تبذل لغيري وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من زرع علي الارض ولا ثمر علي الاشجار الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا رزق فلان بن فلان وذكر احد تفاسير قوله تعالي وما تسقط من ورقة الا
يعلمها الاية فان قلت لم لا يدفع الله رزق العبد بمرة ودفعة قلنا الحكم كثيرة احدها
لئلا يعلم العبد اجله والثاني لو دفع مرة لقطع قلبه عن الله واتكل علي المال والثالث
ليس للعبد مكان تجمعه جميع رزقه والرابع لئلا ياخذه اللصوص ولا ياكله السوس
ولا يفسد وغير ذلك من الحكم وقال ابن عباس ما شجرة في بحر ولا بر الا وبها ملك بعضه خير بت
موكل يعلم من ياكل وما تسقط ورقها عن ابي جعفر بن محمد بن علي بن احمد قال
اخبرنا علي بن عيسى بن ابرهيم الوراق قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثني
احمد بن ابي الخليل قال حدثني يزيد بن هارون عن ابن محمد بن اسحق عن نافع عن ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من زرع علي الارض ولا ثمار علي اشجار الا
عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان بن فلان وذكر قوله في محكم
كتابه وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس
الاية ومن امن بان الله هو الفتاح للابواب الميسرة للاسباب كيف يتعلق قلبه
بغير الله فينبغي له ان لا يتعلق بغيره قلبه ولا يشغل بدونه لبته فلا يزداد بلاء الا
ويزداد لربه ثقة ورجاء كيعقوب عليه السلام قال لبنيه بعد ما طال الامر وتمادي
الفتنة يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فان لله الطافا خفية يظهر
بغتة وهي معني قوله ولا تيأسوا من روح الله وذلك لقوة ايمانه بهذا الاسم ولهذا امدحه
الله واثني عليه في كلامه العزيز وقدمه ومن اداب من علم هو الله الفتاح ان يكون
حسن الانتظار لوجوه لطفه ومن اهل الفتوح والفتح هو احمد بن خضرويه البلخي رحمه الله

فنذرنا ... ان خلصنا الله ... ان نتصدق ...

ومانفدون ...

روي انه كان عليه سبعمائة درهم ودينار وغرماؤه اجتمعوا عليه عند الشيخ ففتح عينه
فنظر اليهم وقال يا فتاح افتح علي بابواب السماء ودوحي رهن بايديهم فان اردت
قبضها فاقض حقوقهم فدق داق الباب وقال اين غرماء احمد فقضى عنه دينه
فغاب ولم يره احد بعده وكان هو الخضر عليه السلام وروي ان الشيخ الروحاني ابا بكر
محمد بن علي الكتاني كان هو في الصلوة فدخل داره لص ودفع ثوبا من ثيابه فاتى به
السوق واعطاه الدلال فشلت يداه في الحال فصاح بالغوث فقال الثوب لفلان
ردوه اليه واحملوني لديه فحملوه اليه فتضرع وبكى واعتذر فقال الشيخ اخبرنا بالحكاية
فقص عليه القصة فقال بعزة فناء الغور لا من اخذه ولا من رده اشور ثم قال اللهم
قد رد نا احد منا فرد ما اخذت منه فصحت يداه في الحال ثم قال اذا جالستم اهل الصدق
فجالسوهم بالصدق فانهم جواسيس القلوب فقال القلب اذا اتقى لا ينال اذا عصى واعتنى
الله تعالى من هذا الاسم حظا وافرا للعلماء حيث يفتح بلسانهم معاليق المشكلات وينزل
معونتهم بالعسير على الخلق من الافعال الدينية والدنياوية وقد قال صلى الله عليه وسلم
لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم وقال لولا العلماء ما عبد الله في الارض وما اخرجت
الارض نباتها ولا الاشجار ثمارها ولا العيون مياهها ولا السماء امطارها هذا في حق علماء
واما في حق الامام ابي حنيفة رحمه الله فقد قال صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه يفتخرون
بي وانا افتخر بابي حنيفة هو سراج امتي قاله ثلثا وقال الشافعي اذا كان لي مشكل
في مسئلة فكنت اذهب الى روضة ابي حنيفة فينفتح لي وينكشف ذلك ببركته وقال
يحيى بن معاذ رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له اين اطلبك فقال عند علم
ابي حنيفة وانه كان عالما بعلوم الآخرة واحوال القلب ومعالجة امراضها ومعرفة
صفاتها المحمودة والمذمومة وكيفية ازالتها وتزكيتها حيث قال قد افلح من زكيها وقد
كان فقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى وتسمى علماء هذا الزمان
لهذه الحضيرة الاخيرة وهو الجهد في تفاريع الفقه لانها تصلح للدنيا والآخرة فلصلاحها
للدنيا تسموا الها وادعوا بها مشابهته فهيهات هيهات كيف يقاس الملائكة بالحدادين

فلم يقبل

وقد دعاه السلطان فلما جاء التمس السلطان لمن يتولى مفاتيح خزاينه فابى فالح
فابى فحلف ان يضربه عشر بن سوطا ان لم يقبل فاحتمل العذاب وهرب عن ذلك
وقد دعا سلطان آخر الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح له فقيل لم فقال ان كنت صادقا
فلا اصلح له وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء قال ابن ابي ليلى قاضي المدينة
لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحايك لا نفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة
قال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحايك ام هو لكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب
منها واما علماء زماننا فليس مقصودهم من العلم الا الدنيا والمال والجاه ولا يشتغلون
من العلوم الا ما هو وسيلة الى المال والجاه ولقد قال صلى الله عليه وسلم من طلب علما
مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة
وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلب فلا ينتفع يومئذ
عالمه بالعلم ولا متعلمه فيكون قلوب علمائهم مثل السباخ ينزل عليها القطر فلا
يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة
فعند ذلك سلبها الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم
حين يلقاك انه يخشى الله بلسانه فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب
فوالله الذي لا اله الا هو ما ذاك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين
تعلموا لغير الله وكان ابو حنيفة رحمه الله صايم الدهر وكان ياخذ الخبز من بيته ويتصدق
ويدخل المسجد ويعلم الناس الى العصر ويظن الناس انه ياكل في بيته ويظن اهله
انه ياكل في المسجد وصلى الفجر بوضوء العشاء ثلثين سنة وكان يختم القرآن
في ركعة واحدة في التهجد وكان زاهدا لم يقبل منصبا حتى ضرب وحبس وكان
ورعا حتى انه ما قعد تحت ظل شجرة رجل استقرضه خوفا من الوقوع في
الربوا وكان شجاعا حتى انه كان قاعدا مع اصحابه في المسجد فسقطت حية
من السقف فهرب القوم كلهم وهو لم يبرح من مكانه فقام وقتل الحية بنعليه
فاخرجها من المسجد وكان عارفا بالله تعالى فغاية خوفه وورعه وكثرة عبادته

وبكايه دليل علي معرفته بربه قال رجل لامراته ان لم اقربك نهارا في شهر رمضان
فانت طالق ثلثا فسال ذكر الرجل علما زمانه مثل ابن ابي ليلي وغيره ولم يجبه
احد فسال اباحنيفة فقال سافر بها ثم اقربها فانظر كيف فتح الفتاح علي قلبه
ذلك وكثيرا من المسئلات مثل مسيلة الحمامي وغيرها وكذلك الحكم في ساير صفات
الله فلا حاجة الي ادا كلها وبالجملة فان من امن واعتقد بامر يعمل بمقتضاه فان
من اعتقد ان السم مهلك يحترز عنه جدا ومن اعتقد ان الارض يعطي الكثير
..... مما يلقي فيه من البذر يلقي البذر ولا يخاف وكذلك اسماء الله وصفاته
يجب علي المعتقد المومن بها ان يكون جميع افعاله وحركاته وسكونه بمقتضاها قوله
تعالي ثم اذا شاء انشره ليحاسب ويجازي كل علي حسب عمله وقد مر تفسيرها
كلا ليس الامر كما يظن الانسان وقال الحسن حقا لما يقض اي لم يقض ما امره
الله وكان المتوقع منه ذكر اذا انعم عليه بهذه النعم الجليلة وهو جعله موجودا بعد
ما كان معدوما وتكريمه والرامه بانواع الكرامات بعدما كان نطفة قذرة
ولما عدد النعم في نفس الانسان اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان
الي طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء صبا يعني المطر
ثم شققنا الارض شقا بالنبات فانبتنا فيها حبا من الحنطة والشعير والذرة
والارز وساير الحبوب وعنبا وقضبا رطبة وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا
عظاما غلاظا اشجارها وفاكهة وابا يعني الكلا والمرعي الذي لم يزرعه الناس
مما ياكله الانعام والدواب وقال عكرمة الفاكهة مما ياكل الناس والاب
مما ياكل الدواب ومثله عن قتادة قال الفاكهة لكم والاب لانعامكم وقال سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال ابنتت الارض مما ياكل الناس والانعام وروي عن ابرهيم
التيمي ان ابا بكر رضي الله عنه سيل عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني
واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وروي ابن شهاب عن انس
رضي الله عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا هذه الاية ثم قال كل هذا

قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصاه كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن
ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا منفعة
لكم يعني الفاكهة ولانعامكم يعني العشب ثم ذكر القيامة فقال فاذا جاءت الصاخة يعني
صيحة القيامة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع اي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لا يلتفت الي واحد منهم لشغله
بنفسه حكي عن قتادة قال في هذه الاية يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه قال يفر هابيل من قابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام
من ابيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه يشغله
عن شان غيره عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس حفاة عراة غرلا
قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الي
بعض فقال شغل الناس لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة
مشرقة مضيئة ضاحكة بالسرور مستبشرة فرحة بما نال من كرامة الله عز وجل
ووجوه يومئذ عليها غبرة سواد وكآبة للهم ترهقها قترة تعلوها وتغشاها
ظلمة وكسوف قال ابن عباس تغشاها ذلة قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة
القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان اسفل في الارض اولئك هم
هم هذا هم الكفرة الفجرة جمع الكافر والفاجر فلذلك يجمع الي سواد وجوههم الغبرة
بسم الله الرحمن الرحيم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
من احب ان ينظر الي يوم القيامة فليقرا اذا الشمس كورت قوله تعالي
اذا الشمس كورت قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن ابن عباس اظلمت
وقال قتادة ومقاتل والكلبي ذهب ضوءها وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج
لففت كما تلف العمامة فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الي بعض ثم تلف فاذا فعل بها
ذلك ذهب ضوءها وقال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة
في البحر ثم يبعث الله عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا وعن ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر تكوران يوم القيامة واذا النجوم انكدرت
اي تناثرت من السماء وتساقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما
ولا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال سيرت عن وجه الارض فصارت هباء منبثا واذا
العشار وهي النوق الحوامل التي اتى على حملها عشرة اشهر واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك
اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس مال عند العرب عطلت تركت هملا بلا راع اهملها
اهلها وكانوا لازمين لاذنابها ولم يكن لهم مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة
واذا الوحوش يعني دواب البر حشرت جمعت بعد البعث ليقتص بعضها من بعض
وروي عكرمة عن ابن عباس قال حشرها موتها وقال حشر كل شيء الموت غير الجن والانس
فانهما يوافقان يوم القيامة وقال ابي بن كعب اختلطت واذا البحار سجرت قال ابن
عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد ومقاتل يعني فجر بعضها الى
بعض العذب والملح فصارت البحور كلها بحرا واحدا وقال الكلبي مليت وهذا ايضا
معناه والمسجور المملو وقيل صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لاهل النار وقال
الحسن يبست وهو قول قتادة قال ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة وروي ابو العالية
عن ابي بن كعب انه قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء
الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت
واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش
وماج بعضهم في بعض وذلك قوله عز وجل واذا الوحوش حشرت اختلطت واذا العشار
عطلت واذا البحار سجرت قال قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر
فاذا هي نار تأجج قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض
السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم وعن
ابن عباس ايضا انه قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي
ما ذكر من بعد قوله تعالى واذا النفوس زوجت روي النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة

ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وهذا قول عكرمة وقال الحسن وقتادة
الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقال الربيع بن خثيم
يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقال عطاء ومقاتل
زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين
وروي عن عكرمة قال واذا النفوس زوجت ردت الارواح في الاجساد واذا الموؤدة
سئلت وهي الجارية المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها
اي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة
قالوا وكان الرجل من العرب اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من
صوف وشعر ترعى له الابل والغنم في البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت
سداسية قال ابوها لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها
بئرا في الصحراء فاذا بلغ بها البئر قال لها انظري الى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل
على راسها التراب حتى يستوي البئر بالارض وذلك قوله تعالى ايمسكه على هون ام يدسه
في التراب الآية روي عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه كانت المراة في الجاهلية
اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فان
ولدت جارية رمت بها في الحفرة وان ولدت غلاما حبسته باي ذنب قتلت
معناه تسال الموؤدة فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها
تقول قتلت بغير ذنب وروي ان جابر بن زيد كان يقرا واذا الموؤدة سالت
باي ذنب قتلت ومثله قرا ابو الضحى واذا الصحف نشرت يعني صحايف
الاعمال تنشر للحساب واذا السماء كشطت قال الفراء نزعت فطويت وقال
الزجاج قلعت كما تقلع السقف وقال مقاتل تكشف عن كل من فيها كما تكشط الجلد
عن السنام واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعداء الله واذا الجنة ازلفت
قربت لاولياء الله علمت نفس عند ذلك ما احضرت من خير او شر وهذا
جواب لقوله اذا الشمس كورت وما بعدها فلا اقسم بالخنس ولا زايدة معناه

اقسم بالخنس الجوار الكنس قال قتادة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتخفى
فلا ترى وعن علي رضي الله عنه انها الكواكب تخنس بالنهار ولا ترى وتكنس تاوي
الى مجاريها وقال قوم هي النجوم الخمسة السيارة زحل والمشترى والمريخ والزهرة
وعطارد تخنس في مجراها اي ترجع وراءها وتكنس اي تستتر وقت اختفائها وغروبها
كما تكنس الظباء في مغارها وقال ابن زيد معنى الخنس انها تخنس اي تتاخر عن مطالعها
في كل عام تاخرا تتاخر عن تعجيل ذلك الطلوع فتخنس عنه والكنس اي تكنس
بالنهار فلا ترى وقيل انها هي الوحش قال سعيد بن جبير هي الظباء وهي رواية
العوفي عن ابن عباس الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس ان تاوي الى مكانسها وهي
المواضع التي تاوي اليها الوحش والليل اذا عسعس قال الحسن اقبل بظلامه وقيل
ادبر تقول العرب عسعس الليل وسعسع اذا ادبر ولم يبق منه الا اليسير والصبح اذا
تنفس اقبل وبدا اوله وقيل امتد ضوؤه وارتفع انه يعني القرآن لقول رسول كريم
يعني جبريل عليه السلام اي نزل به جبريل عن الله عز وجل ذي قوة وكان من قوته
انه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها
وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه
نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط
من السماء الى الارض ويصعد في اسرع من الطرف عند ذي العرش مكين في المنزلة
مطاع ثم اي في السماء تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة اياه انهم فتحوا ابواب السماء
ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله
امين على وحي الله ورسالته الى انبيائه وما صاحبكم بمجنون يقول لاهل مكة وما
صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون وما يقوله من عند نفسه ولقد رآه يعني
رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته بالافق المبين وهو الافق الاعلى
من ناحية المشرق قاله مجاهد وقتادة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى

قال

قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات
قال ذلك بالحرى ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل
قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب
وراسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه
قال فتحول جبريل في الحال الى صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف
لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في التخوم السابعة وان العرش
لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور
حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب اي على
الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من الانباء والقصص بظنين
قرا اهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء اي بمتهم يقال فلان يظن بكذا ويزن اي يتهم به والظنة
التهمة وقرا الاخرون بالضاد اي ببخيل بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن
ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وما هو يعني القرآن بقول شيطان رجيم قال الكلبي
ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش فاين تذهبون اي تعدلون عن هذا
القرآن وفيه الشفاء والبيان قال الزجاج اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي
قد بينت لكم فقال ان هو اي ما القرآن الا ذكر للعالمين موعظة للخلق اجمعين لمن شاء
منكم ان يستقيم ان يتبع الحق ويقيم عليه وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين اعلمهم
ان المشيئة في التوفيق اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله عز وجل وفيه اعلام
ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت
واذا الكواكب انتثرت قطعت واذا البحار فجرت فجر بعضها في بعض واختلط
العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقال الربيع فجرت فاضت واذا القبور بعثرت
بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء يقال بعثرت الحوض وبحثرته
اذا قلبته فجعلت اسفله اعلاه علمت نفس ما قدمت واخرت قيل ما قدمت من عمل

صالح او سيء او اخرت من سنة حسنة او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت
من التركات على ما ذكرنا في قوله ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم ما خدعك وسول لك الباطل حتى اضعت ما وجب عليك
والمعنى ماذا امنك من عقابه قال ابن عباس معنى ما غرك يعني ما قطعك عن صحبة
مولاك وقيل اي شيء خدعك حتى اقدمت على المعصية وقال عطاء نزلت في الوليد
بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الاشدين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يعاقبه الله عز وجل فانزل الله هذه الاية يقول ما الذي غرك بربك الكريم
المتجاوز عنك اذ لم يعاقبك عاجلا بكفرك قال قتادة غره عدوه المتسلط عليه يعني
الشيطان قال مقاتل غره عفو الله عنه حين لم يعاقبه في اول امره وقال السدي
غره رفق الله به قال ابن مسعود رضي الله عنه ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة
فيقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت
المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة فقال ما غرك
بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ
لو اقامني بين يديه فقال ما غرك بي قلت غرني بك برك بي سالفا وانفا وقال
ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض
اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون ساير اسمائه وصفاته كانه لقنه الاجابة
حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك فسويك فعدلك قرا اهل الكوفة وابو جعفر
فعدلك بالتخفيف اي صرفك واما لك الى اي صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا
وقرا الاخرون بالتشديد اي قومك وجعلك معتدل الخلق والاعضاء في اي صورة ما
شاء ركبك قال مجاهد والكلبي ومقاتل في اي شبه من اب او ام او خال او عم وجاء
في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا
في اي صورة ما شاء ركبك وذكر الفراء والزجاج قولا اخر في اي صورة ما شاء ركبك اما
طويلا او قصيرا او حزنا وغير ذلك قال عكرمة وابو العالية في اي صورة ما شاء ركبك ان شاء

في صورة انسان وان شاء في صورة دابة او حيوان اخر كلا بل تكذبون بالدين بالجزاء
والحساب وان عليكم لحافظين رقباء من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما
على الله كاتبين يكتبون اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون من خير او شر
ان الابرار لفي نعيم الابرار الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء فرايض واجتناب
معاصيه وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم
المدني ليت شعري ما لنا عند الله فقال امير المؤمنين اعرض عملك على كتاب
الله تعالى فانك تعلم ما لك عند الله قال فاين اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين
يصلونها يوم الدين يدخلونها يوم الدين يوم القيامة وما هم عنها بغايبين
ثم عظم ذكر اليوم فقال وما ادريك ما يوم الدين ثم كرر تعجبا لشانه فقال ثم ما
ادريك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يعني هذه الاشياء في يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا قال مقاتل يعني لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله اي لا يملك
في ذلك اليوم احد شيئا كما ملكهم في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين يعني
ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس قال الزجاج انما قيل للذي
ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء
اليسير الطفيف عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل
وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة
ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله تعالى هذه الاية فالله تعالى
جعل الويل للمطففين ثم بين ان المطففين من هم فقال الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واراد اذا اكتالوا من الناس اي اخذوا منهم ومن وعلى يتعاقبان قال
الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل واراد الذين اذا اشتروا لانفسهم

استوفوا في الكيل والوزن وإذا كالوهم أو وزنوهم أي كالوا لهم أو وزنوا لهم أي للناس
يخسرون أي ينقصون حقوقهم قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله
وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم
إلى أنصاف آذانهم ألا يظن يستيقن أولئك الذين يفعلون ذلك أنهم مبعوثون ليوم
عظيم يعني يوم القيامة يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين أي لأمره ولجزائه
ولحسابه عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب
العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه قال سليم بن عامر عن المقداد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين
قال سليم لا أدري أي الميلين يعني مسافة الأرض أو الميل الذي يكحل به العين فتصهرهم
الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه
إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما فرأيت رسول الله
وهو يشير بيده إلى فيه يقول ألجمه إلجاما كلا ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه
فليرتدعوا وتمام الكلام ههنا وقال الحسن كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى
حقا إن كتاب الفجار الذي كتب فيه أعمالهم لفي سجين قال عبد الله بن عمر وقتادة
ومجاهد والضحاك سجين هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار عن البراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون في السماء
السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب
الأحبار فقال أخبرني عن قول الله عز وجل إن كتاب الفجار لفي سجين
قال إن أرواح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط بها إلى الأرض
فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو
موضع جند إبليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت خد إبليس
بمعرفتها للهلاك لحساب يوم القيامة وإليه ذهب سعيد بن جبير قال سجين

رد لما قالوه وبيان لما أدى بهم إلى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل

تحت خد إبليس وقال عطاء الخراساني هي الأرض السابعة السفلى وفيها إبليس وذريته
وقال الكلبي هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها يجعل
كتاب الفجار فيها وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا قال سجين صخرة تحت الأرض
السفلى خضراء خضرة السماوات منها تقلب فيجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هي
آخر سلطان إبليس وجاء في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح
وقال عكرمة لفي سجين أي في خسار وضلال وقيل لفي حبس وضيق شديد وما
أدراك ما سجين قال الزجاج أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك كتاب مرقوم
ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله إن كتاب الفجار أي
كتاب مرقوم أي مكتوب أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا
به قال قتادة ومقاتل رقم عليه بشر كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه كافر
ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد
أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا قال مقاتل أي لا يؤمنون ثم استأنف
فقال بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم
إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه
منها وإن عاد زادت حتى تعلو على قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقله ترين
رينا وريونا إذا غلبت عليه وسكر ومعنى الآية غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت
بها وعمي بها وغشيتها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس
ران على قلوبهم طبع عليها كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال بعضهم عن كرامته
ورحمته ممنوعون وقال قتادة هو أن لا ينظر إليهم ولا يزكيهم وقال أكثر المفسرين
عن رؤيته قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة
عن رؤيته وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد
لزهقت أنفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى

لاوليائه حتى ولوه قال ابن سليمان بت يوما عند الشافعي رحمه الله وجاءه كتاب
من الصعيد يسألونه عن قوله كلا انهم عن ربهم الاية فكتب فيه لما حجب قوما
بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا فقلت له اوتدين بهذا يا سيدي فقال
والله لو لم يوقن محمد بن ادريس انه يري ربه في المعاد لما عبده في الدنيا
وقال الشافعي في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله
يرون الله تعالى ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار
فقال ثم انهم لصالوا الجحيم لداخلوا النار ثم يقال اي تقول لهم الخزنة هذا اي
هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون كلا قال مقاتل لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه
ثم بين محل كتاب الابرار فقال ان كتاب الابرار لفي عليين روينا عن البراء مرفوعا
عليون في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجد
خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال كعب وقتادة هو قائمة
العرش اليمني مقابل ساق العرش وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال
الضحاك سدرة المنتهي وقال بعض اهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد
شرف ولذلك جمعت بالياء والنون قال الفراء هو اسم موضوع على صيغة
لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلثين عن عبد الله بن عمر ان اهل عليين
ينظرون الي اهل الجنة من كذا فاذا اشرف رجل اشرقت الجنة وقالوا قد
طلع علينا رجل من اهل عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم اي مكتوب
اعمالهم كما ذكرناه في كتاب الفجار وقيل كتب هناك ما اعد الله لهم من الكرامة
وقيل رقم لهم بخير وتقدير الاية التقديم والتاخير مجازها ان كتاب الابرار
كتاب مرقوم في عليين وهي محل الملائكة ومثله ان كتاب الفجار كتاب
مرقوم في سجين وهي محل ابليس وجنده يشهده المقربون يعني الملائكة
الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب او ذلك الكتاب اذا صعد
به الي عليين ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون الي ما اعطاهم الله من الكرامة
والنعمة

وقال مقاتل ينظرون الي عدوهم كيف يعذبون تعرف في وجوههم نضرة النعيم
اذا رأيتهم عرفت انهم من اهل النعمة مما تري في وجوههم من النور والحسن
والبياض قال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب قرا ابو جعفر ويعقوب
تعرف بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل نضرة رفع وقرا الاخرون
بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصب يسقون من رحيق خمر صافية طيبة وقيل
هي الخمر العتيق قال مقاتل الخمر البيضاء مختوم ختم ومنع من ان تمسه يد الي
ان يفك ختمه الابرار يوم القيامة قال مجاهد مختوم اي مطين ختامه
اي طينه مسك قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين
وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته مسك
وقال علقمة طعمه وريحه مسك والمختوم الذي له ختام اي اخر وختم
كل شيء الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وعن ابي الدرداء
قال شراب ابيض مثل الفضة يختمون به شرابهم وان رجلا من اهل الدنيا ادخل
اصبعه فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها والختام اخر كل شيء وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الي طاعة الله تعالى
وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وقال
مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون وقال عطاء فليستبق المستبقون
واصله من الشيء النفيس وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتطلبه وتتمناه
ويريده كل واحد منهم لنفسه وينفس به على غيره اي يضن ومزاجه من تسنيم
شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم قال الضحاك وهو شراب
اسمه تسنيم وهو من اشرف الشراب قال مقاتل سمي تسنيما لانه يتسنم فينصب
عليهم انصبابا من فوقهم في غرفهم في منازلهم تجري من جنة عدن الي اهل الجنان
قال ابن عباس وابن مسعود وهو خالص للمقربين يشربونها صرفا ويمزج
لساير اهل الجنة وروي يوسف بن مهران عن ابن عباس انه سئل عن قوله من تسنيم

فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة

قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عينا نصب
على الحال يشرب بها اي منها وقيل يشرب بها المقربون قال الجريري والواسطي
يشرب بها المقربون صرفا على بساط القرب في مجلس الانس وفي رياض القدس
بطائف الرضا على مشاهدة الحق تعالى ان الذين اجرموا اشركوا يعني كفار
قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل واصحابهم من مشركي مكة
كانوا من الذين امنوا يعني عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقرا
المؤمنين يضحكون وبهم يستهزؤن واذا مروا بهم يعني المؤمنين بالكفار يتغامزون
والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء واذا انقلبوا
يعني الكفار الى اهلهم انقلبوا فاكهين معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم
واذا راوهم راوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان هؤلاء لضالون يأتون
محمدا يرون انهم على شيء وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني على المؤمنين
حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم فاليوم يعني في الاخرة الذين امنوا من الكفار
يضحكون كما ضحك الكفار منهم في الدنيا قال ابو صالح وذكر انه يفتح للكفار ابوابا
ويقال لهم اخرجوا منها فاذا راوها مفتوحة اقبلوا اليها ليخرجوا والمؤمنون
ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى ابوابها اغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون
يضحكون وقال كعب بين الجنة والنار كوي فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى
عدو له كان في الدنيا اطلع اليه من تلك الكوى كما قال الله تعالى فاطلع فراه
في سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة الى اعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا
فذلك قوله عز وجل فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك
من الدر والياقوت ينظرون اليهم في النار قال الله تعالى هل ثوب الكفار
هل جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى
الاستفهام ههنا التقرير وثوب واثاب بمعنى واحد

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت انشقاقها

حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار

من علامات القيامة واذنت لربها اي سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من
الاذن وهو الاستماع وحقت وحق لها ان تطيع ربها واذا الارض مدت مد الاديم
العكاظي ويزيد في سعتها وقال مقاتل سويت كمد الاديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل
والقت واخرجت ما فيها من الموتى والكنوز وتخلت خلت منها واذنت لربها وحقت
واختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان
الثواب والعقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح ومجازه اذا السماء انشقت لقي
كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ يكون الواو زائدة ومعنى قوله كادح
الى ربك كدحا اي ساع اليه في عملك والكدح عمل الانسان وجهده في الامر من الخير والشر
حتى يكدح ذلك فيه يؤثر قال قتادة والكلبي والضحاك عامل لربك عملا فملاقيه اي ملاق
جزاء عملك خيرا كان او شرا فاما من اوتي كتابه ديوان اعماله بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا روي ان عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت
فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت عايشة فقلت اوليس
يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت قال انما ذلك العرض ولكن من نوقش
في الحساب يهلك وينقلب الى اهله يعني في الجنة من الحور العين والادميات مسرورا واما اوتي
من الخير والكرامة واما من اوتي كتابه وراء ظهره فتغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده
الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقال مجاهد تخلع يده اليسرى وراء ظهره
فسوف يدعو ثبورا ينادي بالويل والهلاك اذا قرأ كتابه يقول يا ويلاه يا ثبوراه
ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا يعني في الدنيا باتباع هواه وركوب شهواته انه
ظن ان لن يحور اي ان لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع ثم قال بلى اي ليس
كما ظن بل يحور الينا ويبعث ان ربه كان به بصيرا من يوم خلقه الى ان بعثه فلا اقسم
بالشفق قال مجاهد وغيره هو النهار كله وقال عكرمة ما بقي من النهار وقال ابن عباس
واكثر المفسرين هي الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وقال قوم هو البياض
الذي يعقب تلك الحمرة والليل وما وسق اي جمع وضم يقال وسقته اسقه وسقا اي جمعته
وما جمعه وستره من الدواب وغيرها

لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عم قرأ واسجد واقترب فسجد من معه من المؤمنين وقريش فوق رؤسهم فنزلت
واحتج ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد قاضي

واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والمعنى والليل وما جمع وضم ما كان منتشرا
بالنهار من الدواب وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماواه روى منصور
عن مجاهد قال ما لف واظلم عليه وقال مقاتل بن حيان اقبل من ظلمة او كوكب
وقال سعيد بن جبير ما عمل فيه والقمر اذا اتسق اجتمع واستوى وتم نوره وهو في
ايام البيض وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع لتركبن قرا
اهل مكة والكسائي لتركبن بفتح الباء يعني لتركبن يا محمد طبقا قال الشعبي ومجاهد
سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القربة من الله تعالى والرفعة
وقيل اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق
بالغمام مرة وتطوى اخرى وقرا الاخرون بضم الباء لان المعنى بالناس اشبه لانه
ذكر من قبل فاما من اوتي كتابه بيمينه وشماله وذكر من بعد فما لهم لا يؤمنون واراد
لتركبن حالا بعد حال وامرا بعد امر في موقف القيامة يعني الاحوال تتقلب بهم فيصيرون
في الاخرة على غير الحال التي كانوا في الدنيا عن بمعنى بعد وقال مقاتل يعني الموت ثم الحياة ثم الموت
ثم الحيوة وقال عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس يعني الشدائد
والاهوال الموت واحوالكم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن
سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا
يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن قوله عز وجل فما لهم لا يؤمنون استفهام
انكار واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون قال الكلبي ومقاتل لا يصلون عن ابي هريرة
قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السماء انشقت عن رافع
قال صليت مع ابي هريرة العتمة فقرا اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه السجدة
قال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه بل
الذين كفروا يكذبون بالقران والبعث والله اعلم بما يوعون في صدورهم من التكذيب
قال مجاهد يكتمون فبشرهم اخبرهم بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون غير منقطع ولا منقوص

بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة قاضي

قال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة سم

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم
الموعود وهو يوم القيامة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليوم الموعود يوم القيامة المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت ولا غربت
على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا
الا استجاب الله له او يستعيذ من شر الا اعاذه الله منه وعن ابي الدرداء قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا علي الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة
وان احدا لا يصلي علي الا عرضت علي صلوته حتى يفرغ منها قال فقلت وبعد الموت
قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق
وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وروى
عن ابن عمر عن ابن عباس وعمر الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر قال سعيد بن
المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى يوسف بن مهران عن ابن
عباس قال الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ذلك يوم مجموع له
الناس وذلك يوم مشهود قال عبد العزيز بن يحيى الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم
والمشهود الله جل وعلا بيانه قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وروى ابن ابي
نجيح عن مجاهد الشاهد ادم والمشهود يوم القيامة قال عكرمة الشاهد
الانسان والمشهود يوم القيامة وعنه ايضا الشاهد الملك يشهد على ابن ادم
والمشهود يوم القيامة وتلا وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم
مشهود وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو ادم وقال عطاء بن يسار الشاهد
ادم وذريته والمشهود يوم القيامة وروى الوالبي عن ابن عباس
الشاهد هو الله عز وجل والمشهود يوم القيامة قال الحسين بن الفضل
الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم بيانه وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس قال سالم بن عبد الله سألت سعيد بن جبير عن قوله

وشاهدٍ ومشهودٍ فقال الشاهد هو الله تعالى والمشهود نحن بيانه وكفى بالله شهيدا
وقيل الشاهد اعضاء بني ادم والمشهود ابن ادم بيانه يوم تشهد عليهم السنتهم الاية
وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم بيانه قوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال البلخي الشاهد
الحجر الاسود والمشهود الحجاج وقيل الشاهد الايام والليالي والمشهود بني ادم ودليله
الخبر المروي ما من يوم الا ينادي اني يوم جديد واني على ما تفعل عليك شهيد
فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الشاهد الله والملائكة
واولوا العلم والمشهود لا اله الا الله بيانه قوله شهد الله انه الاية وقيل الشاهد
الخلق والمشهود الحق وفيه يقول الشاعر يا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد
وقيل الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة قتل اصحاب الاخدود اي لعن
والاخدود والشق المستطيل في الارض كالنهر وجمعه اخاديد واختلفوا فيهم عن صهيب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك
اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في
طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه وكان اذا اتى الساحر
مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه فلما رجع من عند الساحر قعد الى
الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر
فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذا اتى على
دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ
حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه
الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال
له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان
ابتليت فاصبر فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من

كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود

قيل طوله اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا

سائر الادوية فسمع جليس الملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان
انت شفيتني قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فان انت امنت بالله دعوت
الله فشفاك فامن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك
من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه
فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من
سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله
فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك
فابى فدعا بمنشار فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس
الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه
ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا
به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه
فذهبوا به فصعدوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي
الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه
فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه
فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي
الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلي
حتى تفعل ما امرك قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على
جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمني
فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما
من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم
في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا برب
الغلام امنا برب الغلام فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر
قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود بافواه السكك فخد

واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها قال ففعلوا حتى جاءت
امرأة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري
فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم بن حجاج قال الضحاك تكلم في
المهد ستة شاهد يوسف وابن ماشطة بنت فرعون وعيسى ويحيى
وصاحب جريج وصاحب الاخدود وعن وهب بن منبه ان رجلا كان قد
بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فسار اليه ذو نواس
اليهودي بجنود من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخاديد
واحرق اثني عشر الفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم
البحر بفرسه فغرق قال الكلبي وذو نواس هو الذي قتل عبد الله بن
التامر وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتفرت
في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة
في راسه اذا اميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفي
يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذي
وجدتم عليه وروى عطاء عن ابن عباس قال كان بنجران ملك من ملوك حمير
يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شراحيل في فترة قبل مولد
النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر
وكان ابوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة
ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت
فاعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب الى ان قال الغلام للملك
انك لا تقدر على قتلي الا ان تفعل ما اقول قال كيف اقتلك قال تجمع اهل
مملكتك وانت على سريرك فترميني بسهم باسم الهي ففعل الملك فقتله فقال
الناس لا اله الا اله عبد الله بن تامر لا دين الا دينه فغضب الملك واغلق
باب المدينة واخذ افواه السكك وخد اخدودا وملأه نارا ثم عرضهم

رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبد الله بن تامر القاه في
الاخدود واحرقه وكان في مملكته امرأة اسلمت فيمن اسلم ولها اولاد ثلثة
احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا القيتك واولادك في النار فابت
فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فابت فالقي الثاني
في النار ثم قال لها ارجعي فابت فاخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهمت المرأة
بالرجوع فقال الصبي يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا باس عليك
فالقي الصبي في النار والقيت امه على اثره وقال ابن جبير وابن ابزي لما
انهزم اهل اسفيذهان قال عمر بن الخطاب اي شيء نجري على المجوس من
الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال علي بن ابي طالب بلى قد كان لهم كتاب
وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول
اخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت
وما المخرج منه قالت المخرج ان تخطب الناس وتقول يا ايها الناس ان الله قد
احل نكاح الاخوات فاذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا
فقال يا ايها الناس ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال الناس بجماعتهم معاذ الله ان
نؤمن بهذا او نقر به ما جاءنا به نبي ولا انزل علينا كتاب فبسط فيهم السوط فابوا
ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا فخد لهم اخدودا واوقد فيها النيران
وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن اجابه خلى سبيله وقال الضحاك اصحاب
الاخدود من بني اسرائيل اخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم اخدودا ثم اوقدوا
فيها النيران فاقاموا المؤمنين عليها فقالوا اتكفرون ام نقذفكم في النار ويزعمون
انه دانيال واصحابه وهذه رواية العوفي عن ابن عباس وقال ابو الطفيل
عن علي كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث نبي من الحبشة الى
قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك الاية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم فقتل اصحابه واخذوا وثق

فافلت منهم فخدّوا اخدودًا فملؤها نارًا فمن تبع النبيّ رُمي فيها ومن تابعهم تركوه
فجاؤا بامرءة معها صبيّ رضيع فجزعت فقال الصبيّ يا اماه مري ولا تنافقي
وقال عكرمة كانوا من النبط وقال مقاتل كانت الاخدود ثلثة واحدة بنجران
باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرّقوا بالنار اما التي بالشام فهو
انطياخوس الرومي واما التي بفارس فبخت نصّر واما التي بارض العرب
فهو يوسف ذو نواس فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله فيهما قرآنًا وانزل
في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل اجر نفسه في عمل
يعمله وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الانجيل
فذكرت ذلك لابيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى اخبره بالدين
والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا من رجل وامرءة وهذا بعد
ما رفع عيسى الى السماء فسمع ذلك يوسف بن ذو نواس فخدّ لهم في الارض واوقد
فيها النار وعرضهم على الكفر فمن ابى منهم ان يكفر قذفه في النار ومن رجع
عن دين عيسى لم يقذفه في النار وان امرءة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما
قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى
تقدمت فلم تزل كذلك ثلث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال
لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا لا تطفى فلما سمعت ذلك قذفا جميعا انفسهما
في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وثمانون
انسانا فذلك قوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود بدل
من الاخدود وقال الربيع بن انس نجّى الله المؤمنين الذين القوا في النار
بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود
من الكفار فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين
قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود وهم يعني الملك واصحابه
الذين خدّوا الاخدود على ما يفعلون بالمؤمنين حتى عرضهم على النار وارادتهم ان

وعن علي ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه وامر باخاديد النار فطرح فيها من ابى

وقيل لما تنصر اهل نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد

يرجعوا الى دينهم شهود حضور قال مقاتل يعني يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا
عبادة الصنم وما نقموا منهم قال ابن عباس ما كرهوا منهم الا ان يؤمنوا
وقال مقاتل ما عابوا منهم وقيل ما علموا فيهم عيبا قال الزجاج ما انكروا عليهم ذنبا
الا ايمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء من
افعالهم شهيد ان الذين فتنوا عذبوا وحرقوا المؤمنين والمؤمنات يقال فتنت
الشيء اي احرقته نظيره يوم هم على النار يفتنون ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم
ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل ولهم عذاب الحريق في الدنيا وذكر
ان الله عز وجل احرقهم بالنار التي احرقوا بها المؤمنين اذ ترفعت اليهم من الاخدود وقاله
الربيع بن انس والطبري وعن حذيفة بن اليمان قال اسرّ الي النبي صلى الله عليه وسلم
حديثا في النار فقال يا حذيفة ان في جهنم لسباعا من نار وكلابا من نار وسيوفا
من نار وانه يبعث ملائكة يعلقون اهل النار بتلك الكلاليب باحناكهم ويقطعون
بتلك السيوف عضوا عضوا ويلقونها الى تلك الكلاب والسباع فكلما قطعوا عضوا
عاد آخر مكانه عضوا جديدا ثم ذكر ما اعدّه للمؤمنين فقال ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير واختلفوا
في جواب القسم فقال بعضهم جوابه قتل اصحاب الاخدود يعني لقد قتل وقيل فيه
تقديم وتأخير تقديره قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج وقال قتادة
جوابه ان بطش ربك لشديد قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد
كقوله ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم احياء
بعد الموت وقال محمد بن كعب يبدي من التراب ويعيد الى التراب عن ابن عباس
يبدي العذاب في الدنيا للكفار ويعيد عليهم العذاب في الآخرة وهو الغفور لذنوب
المؤمنين الودود المحب لهم وقيل معناه المودود كالحلوب والركوب بمعنى
المحلوب والمركوب وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل المتودد الى اوليائه بالمغفرة
ذو العرش المجيد قرأ حمزة والكسائي المجيد بالجر على صفة العرش اي السرير العظيم

وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكريم وقال رب العرش الكريم وقرا
الاخرون بالرفع على صفة ذو العرش فعال لما يريد لا يعجزه شي يريده ولا يمتنع منه
شي يطلبه هل اتيك حديث الجنود قد اتيك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على
الانبياء عليهم السلام ثم بين من هم فقال فرعون وثمود بل الذين كفروا من قومك يا محمد
في تكذيب لك والقران كذب من كان قبلهم ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار والله من
ورائهم محيط عالم بهم لا يخفى عليه شي من اعمالهم واحوالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن قبلهم
بل هو قران مجيد كريم شريف كثير الخير ليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة وقيل
يعني غير مخلوق في لوح محفوظ بالرفع على نعت القران فان القران محفوظ من التبديل
والتغيير والتحريف قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقرا الاخرون
بالجر على نعت اللوح وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنتسخ
الكتب محفوظ من الشيطان ومن الزيادة فيه والنقصان عن مجاهد عن ابن عباس
قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده لا شريك له دينه الاسلام ومحمد عبده
ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة
قال واللوح لوح من درة بيضا طوله ما بين السما والارض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه
نور وكلامه بر معقود بالعرش واصله في حجر ملك يقال له ماطريون
لله عز وجل فيه في كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يحيي ويميت ويعز ويذل
ويفعل ما يشا وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش

بسم الله الرحمن الرحيم والسما والطارق

قال الكلبي نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز
ولبن فبينما هو جالس ياكل اذا انحط نجم فامتلا ما ثم نارا ففزع ابو طالب وقال
اي شي هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله
فعجب ابو طالب فانزل الله والسما والطارق وهذا قسم والطارق النجم يظهر
بالليل وما اتاك ليلا فهو طارق وما ادريك ما الطارق ثم فسره فقال النجم
الثاقب اي المضي المنير وقال مجاهد المتوهج قال ابن زيد اراد به الثريا
والعرب تسميه النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه تقول العرب
للطاير اذا لحق ببطن السما ارتفاعا قد ثقب ان كل نفس لما عليها حافظ
قرا ابو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد يعنون ما كل
نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل يجعلون لما بمعنى الا يقولون نشدتك
الله لما قمت اي الا قمت وقرا الاخرون بالتخفيف جعلوا ما صلة مجازه
ان كل نفس لعليها حافظ وتاويل الاية كل نفس عليها حافظ من ربها
يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشر قال ابن عباس هم الحفظة
من الملايكة وقال الكلبي حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى
يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها وروي ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة
العسل الذباب لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
فلينظر الانسان مم خلق اي من اي شي خلقه ربه فلينظر نظر التفكر ثم بين
فقال خلق من ما دافق مدفوق اي مصبوب في الرحم وهو المني فاعل بمعنى
مفعول كقوله عيشة راضية والدفق الصب واراد ما الرجل وما المرة
لان الولد مخلوق منهما وجعله واحدا لامتزاجهما يخرج من بين الصلب
والترايب يعني صلب الرجل وترايب المرة والترايب جمع التريبة وهي
عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وروى
الوالبي عنه بين ثديي المرة وقال قتادة النحر وقال ابن زيد الصدر
انه على رجعه لقادر قال مجاهد على رد النطفة في الاحليل وقال
عكرمة على رد الما الى الصلب الذي خرج منه وقال الضحاك انه على رد
الانسان ما كما كان من قبل لقادر وقال مقاتل بن حيان ان شيت رددته

من الكبر الي الشباب ومن الشباب الي الصبي ومن الصبي الي النطفة وقال
ابن زيد انه علي حبس ذلك الماء قادر حتي لا يخرج وقال قتادة ان الله علي
بعث الانسان واعادته بعد الموت قادر وهذا اولي الاقاويل يوم تبلي
السرائر وذلك يوم القيامة اي يظهر الخفايا قال عطاء بن ابي رباح السرائر
فرايض الاعمال كالصوم والصلوة والوضوء والاغتسال من الجنابة فانها سرائر
بين الله وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل
واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتي يظهر من اداها ممن ضيعها قال ابن
عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني
من اداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه اغبر فما له من قوة
ولا ناصر اي لهذا الانسان المنكر للبعث فما له من قوة يمتنع بها من عذاب
الله ولا ناصر ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال والسماء ذات الرجع اي
ذات المطر لانه يرجع كل عام ويتكرر وقال ابن عباس هو السحاب
يرجع بالمطر عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من حافظ
عليهن فهو ولي الله حقا ومن استخف بهن فهو عدو الله حقا الصلوة
والصوم والاغتسال من الجنابة والارض ذات الصدع اي تتصدع وتنشق
عن النبات والاشجار والانهار وجواب القسم قوله انه يعني القرآن لقول
فصل حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل باللعب والباطل
ثم اخبر عن مشركي مكة فقال انهم يكيدون كيدا يخاتلون النبي صلى الله عليه وسلم
ويظهرون ما هم فيه علي خلافه واكيد كيدا وكيد الله استدراجه اياهم من
حيث لا يعلمون فمهل الكافرين قال ابن عباس هذا وعيد من الله تعالى
انهما لا يسيرا لهم امهلهم رويدا قليلا ومعني مهل وامهل انظر ولا تعجل فاخذهم الله
يوم بدر ونسخ الامهال آية السيف

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الاسم صلة زيادة

اي نزه ربك الاعلى عما يقول الملحدون ويصفه به المبطلون وعن الابتذال
والذكر لا علي وجه الخشوع والتعظيم وعن كل ما لا يليق به وقال بعض المفسرين
معناه نزه تسمية ربك وذكرك اياه امر ان تذكره وانت له خاشع معظم ولذكره
محترم وجعلوا الاسم بمعني التسمية الذي خلق اي خلق كل شي فسوي وقد مر تفسيره
والذي قدر فهدي اي قدر لكل حيوان ما يصلحه وعرفه وجه انتفاعه به
وهدايات الله الانسان الي ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في
اغذيته وادويته وفي ابواب دنيه ودنياه والهامات البهائم والطيور وهوام
الارض باب واسع لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى الذي خلق
فسوي والذي قدر فهدي والذي اخرج المرعي النبات فجعله غثاء هشيما باليا
احوي اسود اذا هاج وقيل احوي حال من المرعي اي اخرجه احوي اسود من
شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته سنقرؤك سنعلمك فلا تنسي بشره الله
باعطاء آية بينة وهي ان يقرا عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب
ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله ان تنساه وهو ما نسخه الله فذهب به عن
حفظه برفع حكمه وتلاوته قال محمد بن عبد الله الفرغاني كان يغشي الجنيد
في مجلسه اهل النسك من اهل العلوم وكان احد من يغشاه ابن كيسان النحوي
وكان في وقته رجلا جليلا فقال له يوما يا ابا القاسم ما تقول في قوله عز وجل سنقرؤك
فلا تنسي فاجابه مسرعا كانه تقدم السؤال قبل باوقات لا تنسي العمل به فاعجب
ابن كيسان به اعجابا وقال لا يفضض الله فاك مثلك يتصدر انه يعلم الجهر وما يخفي
اي يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن ونيسرك
لليسري اي نوفقك لعمل الجنة فذكر ان نفعت الذكري اي عظ بالقرآن ان نفعت
التذكير قيل هو من صنعة الاكتفاء اي ان الذكر وان لم تنفع كقوله عز وجل سرابيل
تقيكم الحر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم
وما كانوا يزيدون علي زيادة الذكري الا عتوا وطغيانا وكان النبي عليه السلام

يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له فذكر ان نفعت
الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير سيذكر سيتعظ من يخشى الله وسوء
العاقبة ويتجنبها اي يتباعد عن الذكرى الاشقى الذي يصلى النار الكبرى يعني ان
الاشقى يدخل النار الكبرى والشقي يدخل النار الكبيرة والشقي العاصي والاشقى الكافر
لانه اشقى من الفاسق ثم لا يموت فيها ولا يحيى يعني لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه
قد افلح من تزكى اي تطهر من الشرك والمعاصي الظاهرة والباطنة وقال الحسن
من كان عمله زكيا والتزكية والانماء والاعلى بالتقوى اي تكثر من التقوى او تفعل
من الزكاة كتصدق من الصدقة نحو قوله واقام الصلوة واتى الزكوة وذكر اسم ربه عن
ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وقال ابو سعيد الخدري
اعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج الى العيد فصلى قبل اهل المدينة
لا يرون صدقة افضل منها وسقاية الماء وقال بعض المفسرين لا ادري ما وجه
هذا التأويل لان هذه السورة مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر بل تؤثرون
الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به والاخرة خير وابقى افضل في نفسها وانعم
وادوم قال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي
لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف نختار خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال
صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا
ما يبقى على ما يفنى وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلنا يا رسول الله لو امرتنا ان
نبسط لك ونعمل كذا وكذا فقال صلى الله عليه وسلم ما لي وللدنيا وما انا والدنيا الا كراكب
استظل تحت شجرة ثم راح وتركها قيل فمن الدنيا بحذو العين لم يركن اليها ولم يبال كيف
انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال
صلى الله عليه وسلم الا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم
او متعلم وقال صلى الله عليه وسلم والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم

الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم
وقال عليه السلام لتاتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وفي رواية
احذروا فانها اسحر من هاروت وماروت وقال عليه السلام يا عجبا كل العجب
للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى قال ابن زيد يعني قوله والاخرة خير وابقى قال قتادة تتابعت كتب الله
كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى عن علي رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحب سبح اسم ربك الاعلى واول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل قال النبي عليه السلام
اخبرني عن ثواب من قالها في صلوته وفي غير صلوته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة
يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي
وجبال الدنيا ويقول الله عز وجل صدق عبدي انا اعلى فوق كل شيء اشهدوا
ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم
فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله عز وجل فيقول
يا رب شفعني فيه فيقول شفعتك فيه اذهب به الى الجنة وعن ابي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عز وجل من الاجر
عشر حسنات بعدد كل حرف انزل الله على ابراهيم وموسى ومحمد وكان علي اللهم
اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس وكثير من الصحابة يقولونه
ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية يعني القيامة لانه يغشى كل شيء باهواله ويغشى الكفرة
والعصاة بانواع عذابه كما قال جل ذكره وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش
وجوه يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة يقال انصبني
اي اتعبني وازعجني قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله تعالى في الدنيا
فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهو رواية العوفي
عن ابن عباس قال قتادة تكبرت عن طاعة الله عز وجل فاعملها وانصبها

في النار وقال الكلبي يجرّون على وجوههم وقال الضحاك يكلّفون ارتقاء جبل
من حديد في النار والنصب الدؤوب في العمل كما قال عز وجل سأرهقه صعودا
قال النبي عليه السلام يكلّف ان يصعد جبلا في النار فاذا وضع يده ذابت واذا رفعها
عادت واذا وضع رجلا ذابت واذا رفعها عادت وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي عليه السلام يتصعّد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
وقدمر تفسيره في سورة المدثر وقال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل
في الوحل تصلى نارا حامية اي تدخل وتقاسي حرها تسقى من عين آنية متناهية
في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع نوع من الطعمة جهنم قال النبي عليه السلام شيء يكون
في النار شبيه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار سماه الله
ضريعا قال ابن كيسان هو طعام يضرعون منه ويذلون ويتضرعون الى الله عز وجل
وعلى هذا التاويل يكون بمعنى المضرع قال ابو الدرداء والحسن يقبح الله وجوه
اهل النار يوم القيامة بتشبيهها باعمالهم الخبيثة في الدنيا وان الله عز وجل يرسل
على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون من
الضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون
الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية
شربة لا هنية ولا مريئة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها
فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لا يسمن
ولا يغني من جوع يعني ان منفعة الطعام اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن
وهما منتفيان عنه كما قال لا ظليل ولا يغني من اللهب استهزاء وتهكم بهم وتعريض
بان طعامهم غير طعام المؤمنين وغير مغن من الجوع شيئا وجوه يومئذ ناعمة
ذات بهجة وحسن او متنعمة لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حين اعطيت
الجنة ونعيمها ونالت الملك العظيم وسلم من العذاب الاليم في جنة عالية مكانا ومرتبة
لا تسمع فيها لاغية اي لغوا لا ينطق اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من

ثانية السمها او القدر فاعي

النعيم الدائم فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس وقدمر بيانها
فيها سرر مرفوعة وقدمر تفسيرها واكواب موضوعة على حافات العيون
وقدمر تفسيرها ونمارق اي وسائد مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند
ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على نمرقة واستند الى الاخرى وزرابي يعني البسط
العظيمة العريضة الفاخرة مبثوثة مفرقة في المجالس افلا ينظرون نظر اعتبار
الى الابل كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث
خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاسعة فجعلها تبرك حتى تحمل عن
قريب وبيسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها
لا تعز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وروي ان فارة اخذت بزمام ناقة فجعلت تجرها
والناقة تتبعها حتى دخلت الجحر فجرت الزمام فبركت فجرته فقربت فمها من
جحر الفارة وحين ارادت ان تنوء بالاوقار بركت وطوال الاعناق وحين ارادها
ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر
فصاعدا وجعلها ترعى على كل نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر
البهائم وفيه حكم كثيرة يطول بذكرها الكتاب ولا يتناهى وقال الحسن تاكل النوى
والقت وتخرج اللبن قال قتادة ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها فقالوا
كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الآية والى السماء كيف رفعت وقدمر تفسيره
والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وفيها كثير
من الحكم والعجايب للمتفكرين وقدمر ذكر بعضها والى الارض كيف سطحت بسطت
سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد للمتقلب عليها او فيها بل في كل نبت وورقة
فيها من العجايب ما يتحير فيها عقول ذوي الالباب وقدمر ذكر بعضها فذكر
انما انت مذكر يعني افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة الى قدرة الخالق
حتى يوقنوا بالبعث والحساب فيسمعون انذار الرسول بالقرآن ويؤمنوا به
ويستعدوا للقائه فذكر اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون

ولا يذكرون انما انت مذكر ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط تكرههم على الايمان نسخت باية القتال الا من تولى وكفر قيل الاستثناء راجع الى قوله فذكر اي فذكر قومك الا من تولى وانقطع طمعك من ايمانه وكفر فانه لا ينفعه التذكير وقيل معناه لست عليهم بمسيطر الا على من تولى فانك مسلط عليه تقاتله وقيل هو راجع الى ما بعده وهو استثناء منقطع اي لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر من عذاب العاصي والفاسق ان الينا ايابهم اي ان ايابهم ليس الا الينا اي الى الجبار المقتدر المنتقم ان علينا حسابهم اي ان حسابهم ليس بواجب الا علينا بايجابنا

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرفها ولا يعلم احد على الحقيقة المراد منها وما ذكروه في تاويله لا يمكن جمعها ولا يرجح بعضها والله اعلم بحقايق تنزيله هل في ذلك قسم لذي حجر يعني هل في الذي ذكرت قسم مقنع لذي عقل اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه سمي العقل حجرا لانه يحجر صاحبه عما لا يحل كما سمي عقلا لانه يعقله عن القبايح والفضايح ونهى لانه ينهى عما لا ينبغي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العقل ثلثة اجزاء جزء معرفة الله وجزء طاعة الله وجزء الصبر عن معصيته وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهي عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقلت بابي انت وامي يا رسول الله وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله

وادّ فرايض الله تكن عاقلا وتعمل بالصالحات من الصلحات تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابو هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس فقال العاقل قالوا العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا وهذه من تسمية الشي باعتبار ثمرته كما يقال ان العالم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه ما يعقبه الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم واختلفوا في ارم والصواب انه اسم قبيلة او بلدة ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قيل ذات الطول والقوة والشدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الرجل منهم ياتي الصخرة فيحمل على الحي فيهلكهم وقال الطيبي كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وقال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشدد عمده ورفع بناه فالمعنى ذات بناء رفيع وهي ما روي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو في صحاري عدن اذ هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسئل عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما اخترق الحصن اذا هو ببابين عظيمين مرصعين بالياقوت الابيض والاحمر فلما راى ذلك دهش واعجبه ففتح احد البابين واذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا قصور وكل قصر معلق تحته اعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة يقابل بعضها بعضا مرصعة كلها باللؤلؤ وفيها بنادق من مسك وزعفران فهاله ما راى ثم نظر الى الازقة فاذا في شجر

في كل زقاق منها قد اثمرت تلك الاشجار وتحته انهار مطردة تجري ماؤها من
قنوات من فضة كل قناة اشد بياضا من الشمس فاخذ منها ما اراد فخرج
ورجع الى اليمن فاعلم الناس امره وباع بعض ما حمل فلم يزل امره كذلك حتى
بلغ معاوية خبره فارسل معاوية في طلبه فقدم عليه فخلا به وقص عليه ما راى
فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق هل في الدنيا مدينة
من ذهب وفضة قال نعم اخبرك بها ومن بناها انما بناه شداد بن عاد فاما المدينة
فارم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد قال
معاوية فحدثني حديثها قال ان عادا الاولى ليس عاد قوم هود انما هود وقوم هود
ولد ذلك وكان لعاد ابنان شداد وشديد فهلك عاد فبقيا وملكا وقهرا البلاد واخذاها
عنوة ثم مات شديد وبقي شداد فملك وحده ودانت له ملوك الارض وكان مولعا
بقراءة الكتب فلما مر فيها بذكر الجنة دعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله تعالى
فامر بصنعة تلك المدينة وامر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان
وكتب الى كل ملك في الدنيا ان يجمع له في بلاده من الجوهر وكان تحت يده مائتان
وستون ملكا فخرج قهارمته وتبددوا في الارض ليجدوا ما يوافقه حتى وقعوا على
صحراء عظيمة نقية من التلال واذا فيها عيون مطردة قالوا هذه صفة ارم التي امر
الملك بها فقدروا الطول والعرض ثم وضعوا اساسها من الجزع اليماني واقاموا
في بنائها ثلثمائة سنة حتى فرغوا منها وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه
فارغين قال انطلقوا واجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند
كل قصر الف علم يكون في كل قصر وزير من وزرائي ويكون فوق كل علم ناطور
فرجعوا واعملوا ما امرهم به فامر الف وزير ان يتهيئوا للنقلة اليها وامر لتلك الاعلام
برجال يسكنوها ويقيمون عليها وكان الملك واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا
اليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى من كان صيحة
من السماء فاهلكتهم جميعا فلم يبق احد منهم وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر

اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحاري
والرجل عند معاوية فالتفت اليه كعب فقال هذا والله ذلك الرجل وروى الشعبي
والشيباني عن علماء حمير قال لما هلك شداد بن عاد ملك من بعده ابنه فريد بن شداد
وقد كان ابوه خلفه يحضر موت على ملكه فامر بحمل ابيه من تلك المفازة الى حضرموت
فحمل ملطخا بالعنبر والكافور وامر فحفرت له حفيرة في مفازة فاستودعه فيها على
سرير من ذهب والقى عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند
راسه لوحا عظيما وكتب له بالمنشد ٭ اعتبر بي ايها المغرور بالعمر المديد ٭
انا شداد بن عاد صاحب الحصن العتيد ٭ واخو القوة والباساء والملك الحشيد ٭
ان اهل الارض لي في خوف وغد ووعيد ٭ وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد ٭
وبفضل الملك والعدة فيه والعديد ٭ فاتاهوهود وكنا في ضلال قبل هود ٭
فدعانا لو قبلناه الى الامر الرشيد ٭ فعصيناه وناديت الا هل من محيد ٭
فاتتنا صيحة تهوي من الافق البعيد ٭ فتوافتنا كزرع وسط بيداء حصيد ٭
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد بوادي القرى فاتخذوا منها بيوتا
كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا الاية قال اهل السير اول من نحت الجبال والصخر
والرخام ثمود فبنوا من الدور والمنازل الفي الف وسبعمائة الف مدينة كلها من الحجارة
وفرعون ذي الاوتاد عن عطاء عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد انه
كانت امرأة وهي امرأة خازنه حزبيل وكان مؤمنا يكتم ايمانه مائة سنة وكان لقي رجلا
من اصحاب يوسف عليه السلام وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينا هي ذات
يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله
فقالت بنت فرعون هل لك من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات
والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك
قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك واله ابيك واله السموات والارض
واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك

اكفري بالهك واقري اني الملك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل
عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين
قالت والله لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله قال وكان لها ابنتان فجا
بابنتها الكبرى فذبحها على فيها فقال لها اكفري بالله والا ذبحت ابنتك الصغرى
على فيك وكانت طفلا رضيعا تجد بها وجدا شديدا فقالت لو ذبحت من على
الارض على فيّ ما كفرت بالله قال فجا بابنتها فلما ان قدمت واضطجعت على
صدرها واراد ان يذبحها جزعت المرأة فاطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وهي
من الاربعة الذين تكلموا اطفالا فقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنا لك بيتا
في الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله عز وجل وكرامته قال فذبحت
فلم تلبث ان ماتت واسكنها الله عز وجل الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة
من اجمل بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة
وقالت كيف يسعني ان اصبر على ما يأتي فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينا هي
كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون
انت شر الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة فذبحتها قال فلعل بك الجنون
الذي كان بها قالت ما بي جنون وان الهي والهها والهك واله السموات والارض
واحد لا شريك له فمزق عليها وضربها وارسل الى ابويها فدعاهما فقال لهما الا
تريان الجنون الذي كانت بالماشطة اصابها فقالت اعوذ بالله من ذلك اني
اشهد ان ربي ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال ابوها يا آسية
الست خير نساء العماليق وزوجك قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول
حقا فقولا له يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله
فقال لهما فرعون اخرجا عني فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله عز وجل
لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فقبض الله روحها

واسكنها في الجنة الذين طغوا اي هم الذين طغوا او مجرور على وصف المذكورين
عاد وثمود وفرعون في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب
قال قتادة يعني من العذاب صبه عليهم وكان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله
اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها وقيل ذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا
من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى ساير ما يعذب به
ان ربك لبالمرصاد والمرصاد والمرصد الطريق قال مقاتل يرصد الناس على الصراط
فيجعل رصدا من الملايكة معهم الكلاليب والمحاجن وعن ابن عباس قال ان على
جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عند اولهن عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها
تامة جاز الى الثاني فيسأل عن الصلوة في الثاني فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل
عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز الى الرابعة فيسأل عن الصوم فان جاء بها تامة جاز
الى الخامسة فيسأل عن الحج فان جاء بها تامة جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها
تامة جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فان خرج عنها والا يقال انظروا فان كان له تطوع
اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه قرأ هذه
عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا فلان تعريضا له فلله دره
اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع
باحتجاجه فاما الانسان اذا ما ابتلاه متصل بقوله عز وجل ان ربك لبالمرصاد كانه
ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي
فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها وانما سمى الله تعالى
الغنى والفقر ابتلاء لانه اذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكره بالاحسان الى الايتام
والمساكين وبتحريض الناس على الاحسان باحسانه وبالاجتناب عن اكل الحرام
والشبهات والشهوات ام يكفره بترك ذلك كله واذا ضيق عليه فقد اختبر حاله
ايصبر ام يجزع والحكمة فيهما واحدة كما مر في قوله عز وجل ونبلوكم بالخير والشر الاية
ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
اهانن

صيق وجبر

اي اذا امتحنه بالسعة فاكرمه بالمال ونعمه بما وسع عليه فيقول ربي اكرمني
فيفرح بذلك ويسر واما اذا امتحنه وضيق عليه رزقه فيقول ربي اهانني
اذلني بالفقر ولم يشكر الله على نعمة الفقر وسلامة الجوارح والعافية والصحة
فلا يفرح ولا يشكر الا على المال وينسى جميع نعم الله عليه وروي انه شكا بعض الفقراء
الى واحد من السلف فقره واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى
ولك عشرة الف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون
الف درهم فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرون الف درهم قال لا قال
اما تستحيي انك تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الف درهم وروي
ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى في المنام كان
قايلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة
هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة ما يبلغ الافا وانت تشكو
واصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء
وهو يشربه فقال عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك
والا بقيت عطشانا فهل كنت تعطيه قال نعم فقال ولو لم تعط الا بملكك كله فهل
كنت تتركه قال نعم فقال لا تفرح بملك لا يسوى شربة ماء فما احسن ما قال
فلله دره وان نعمة على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها
بل لكل نفس يسوى ملك الارض كلها اخذ لحظة حتى انقطع الهواء عنه مات
ولو حبس في بيت حمام فيه هواء حار او في بير فيه هواء ثقيل برطوبة الماء مات
غما بل في كل ذرة في بدنه نعم لا تحصى كما قال عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال وقليل من عبادي الشكور يعني ان الشكر كفاء لنعمي وساعذبهم عذابا شديدا
ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ولا يعلم العبد المسكين ان العزة في الفقر ويعده
هوانا ويقول ربي اهانني والايات والاخبار في مدحه لا تحصى وقد مر بيانه
غير مرة في قطعه عز وجل للفقراء الذين احصروا الاية وغير ذلك من الايات

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا
في الجنة ضعفاؤها وقال اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت
في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء وقال عليه السلام اذا احب الله عبدا ابتلاه
واذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا
وقد نزل قوله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية في حق الفقراء
وقال ابو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة
غني الف عام ثم رد الله عز وجل عليه فقال كلا اي لم ابتليه بالغنى لكرامته علي
ولم ابتليه بالفقر لهوانه علي وان الفقر والغنى تقديري وفضلي فلا اكرم من
اكرمته بالغنى وكثرة الدنيا ولا اهين من اهنته بالفقر وقلة المال ولكن انما
اكرمته بطاعتي واهين من اهنته بمعصيتي قال الحسن كذبهما جميعا بقوله
كلا يقول ليس هذا لكرامتي ولا هذا لهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي
غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وقد مر تفسيره
غير مرة في قوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وفي قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وفي قوله فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولا يعلم المغرور ان نعيم الدنيا مبعدات من الله وان
الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو
يحبه كما رويناه في الحديث ولا ينظر الى شداد وفرعون وقارون والى ملوك
الارض كيف انعم الله عليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا ويظن ان انعامه عليه
في الدنيا احسانا وانه كريم عنده ويغتر بدليل لا يدل على الكرامة بل عند
اولي الالباب يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض
احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ليعلمه الادب
ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي ينفعه والذي

بعضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل ما يشتهي
فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه يمكنه من شهواته
ولذاته ويساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يجد عليه فذلك محض الغرور
بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا
لما وتحبون المال حبا جما يعني بل الهوان والشر هوان الله تعالى يغنيهم فلا يؤدون
ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض الناس على طعام المسكين
بفعله وقوله وتأكلونه اكل الانعام وتحبونه فتشحون به اللم الجمع اي اللا ذا
قال الحسن يأكل ميراثه وميراث غيره وقال ابن زيد الاكل اللم الذي يأكل
كل شيء يجد ولا يسئل عنه احلال ام حرام ويأكل الذي له والذي لغيره وقيل
يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في اكله بين حلاله وحرامه
ويحتمل ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا ومهلا من غير ان يعرق جبينه
فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة
والفواكه كما يفعل الورثة البطالون والحب الكثير الشديد حبا جما اي حبا كثيرا
شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم يعني
ما هكذا ينبغي ان يكون الامر ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم
وذكر تحسرهم على ما فرطوا حين لا تنفع الحسرة فقال اذا دكت الارض دكا دكا
اي دكا بعد دك يعني كرر عليه الدك حتى انكسر كل شيء على ظهرها فكانت هباء
منبثا وجاء ربك مجيئا منزها عن التحول والانتقال اذ لا يشبه صفاته
صفات المخلوقات كما لا يشبه ذاته ذات المخلوقات والملك صفا صفا
روي انه ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس
لهم اجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان يأخذوا بنواصي
العاصين الى موقف العرض على الجبار وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق
ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم المأخوذين فهذا حال المقربين

فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون
للملائكة افيكم ربنا لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فيفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا
لخالقهم عن ان يكون فيهم فينادوا باصواتهم منزهين سبحان ربنا ما هو فينا
ولكنه آت من بعد وعند ذلك يقوم الملائكة صفا صفا محدقين بالخلايق
من الجوانب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ما بين شفري
عينيه مسيرة مائة عام ثم يظهر نور العرش كما مر في قوله عز وجل واشرقت الارض
بنور ربها فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار وجيء
يومئذ بجهنم فيجيء جبريل فيقول يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل
على غيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلايق
وشهقت وسمع الخلايق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزنتها متوثبة الى الخلايق
غضبا على من عصى الله وخالف امره ويمتلي القلوب فزعا ورعبا فيتساقطون
على الركب جثيا ويسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون واويلاه
واويلاه واثبوراه واثبوراه وينادي الصديق يقول نفسي نفسي فبينما هم كذلك
اذ زفرت النار زفرتها الثانية فيتضاعف خوفهم ويتخاذل اقوامهم ثم زفرت الثالثة
فيتساقط الخلايق على وجوههم ويشخصون بابصارهم ينظرون من طرف
خفي خاشع ويبلغ القلوب الحناجر كاظمين وذهبت العقول من السعداء
والاشقياء وعن ابي سعيد قال نزلت هذه الآية فتغير لون رسول الله صلعم
وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه ما راوا من حاله فانطلق بعضهم
الى علي رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين لقد حدث امر قد رأينا في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء علي رضي الله عنه فاحتضنه من خلفه ثم قبل
بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي
غيرك قال جاء جبريل فاقرأني هذه الآية كلا اذا دكت الارض دكا دكا
وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم قلت كيف يجاء بها قال تجيء

بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت
اهل الجمع ثم اتعترض لجهنم فتقول مالي ولك يا محمد فقد حرم الله لحمك علي
ولا يبقي احد الا قال نفسي نفسي وان محمدا يقول رب امتي امتي وقال عبد الله
بن مسعود ومقاتل في هذه الاية تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد
سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتي ينصب علي يسار العرش يومئذ
يتذكر الانسان يتعظ وانّي له الذكري اي ومن اين له منفعة الذكري يقول
يا ليتني قدمت لحيوتي اي لحيوتي هذه وهي حيوة الاخرة او وقت حيوتي
في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا ابين دليل علي ان الاختيار كان في ايديهم
ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجورين عن الطاعات مجبرين
علي المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معني التحسر فيومئذ بدل
من اذا لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد
في الدنيا ولا يوثق كوثاقه احد في الدنيا وعلي قراءة الفتح معناه لا يعذب احد في الدنيا
كعذاب الله يومئذ ولا يوثق احد في الدنيا كوثاق الله في الاخرة يعني لا يبلغ احد
من الخلق كبلاء الله عز وجل في العذاب والوثاق وهو الارسال في السلاسل والاغلال
يا ايتها النفس المطمئنة وهي التي سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب
معارضة الشهوات واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية
ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عن تقصيرها في عبادة
مولاها كما مر في قوله تعالي لا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت
واطاعت لمقتضي الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء
وقد مر عن عمرو بن العاص قال اذا توفي العبد المؤمن ارسل الله عز وجل ملكين
وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الي
روح وريحان ورب عنك راض فيخرج كاطيب ريح ما وجده احد في انفه قط
والملائكة علي ارجائها فيقولون قد جاء من الارض ريح طيبة ونسمة طيبة فلا يمر

يعني ان يراد من اهتزاز العرش اهتزازه بقدوم سعد كما اهتز جبل احد وعليه النبي عم وابو بكر وعمر وعثمان

بباب الا فتح له ولا بملك الا صلي عليه حتي يؤتي به الرحمن ثم يسجد الملائكة ثم يقولون
ربنا هذا عبدك فلان توفيته كان يعبدك لا يشرك بك شيئا فيقول مروه فليسجد
فتسجد النسمة ثم يدعي ميكائيل فيقول اذهب بهذه فاجعلها مع انفس المؤمنين
حتي اسالك عنها يوم القيامة ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعا عرضه
وسبعين ذراعا طوله وينبذ له فيه الريحان ان كان معه شيء من القرآن كفاه
نوره وان لم يكن معه جعل له نورا مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس
ينام ولا يوقظه الا احب اهله اليه فيقوم من نومته كانه لم يشبع منها عن
سعيد بن جبير قال مات ابن عباس بالطائف فجاء طائر لم ير علي خلقه فدخل نعشه
ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية علي شفير القبر لا يري من تلاها
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك قال الحسن معناه ارجعي الي ثواب ربك
وكرامته راضية عن الله بما اعد لها مرضية رضي عنها ربها فادخلي في عبادي
وهم الذين ضمن ان تحرسهم عن غائلة الشيطان حيث قال ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان وجعلهم الشيطان مثنوية اليمين حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين وقد مر بيانه يعني ادخلي في جملتهم وانتظمي في سلكهم وادخلي
جنتي معهم وقيل نزلت في حمزة يوم احد وقيل نزلت في خبيب بن عدي وقد مر
قصتهما وحكمها عام في جميع المؤمنين المطمئنين

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد يعني اقسم بمكة
وانت يا محمد حل بهذا البلد في المستقبل تصنع فيه ما تريد افاد هذا القول معني
الاستقبال كما افاد قوله انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول
لمن تعده الاكرام انت مكرم وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده
كالحاضرة والمشاهدة يسلي رسوله بالقسم ببلده علي ان الانسان لا يخلو من
مقاساة الشدايد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية وقد انجز وعده
واحل لنبيه مكة يوم الفتح فاحل صلي الله عليه وسلم دم ابن خطل ومقيس وغيرهما

وحرم داود ابي سفيان ثم قال عليه السلام ان الله حرم مكة يوم خلق الله السموات والارض
فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي
الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل
لقطتها الا لمنشد الحديث ووالد وما ولد اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه
وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسمعيل واقسم بنبي ولده وهو ابراهيم وبنبي صلى الله عليه
وانما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد للتفخيم كقوله بما وضعت لقد خلقنا الانسان
في كبد اي نصب عن ابن عباس والحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة قال
يمان لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق وقال
ابو بكر الوراق يعني لا يبدل كل هواه ولا يبلغ مناه وقيل في معاناة ومقاساة وانتقال
احوال نطفة ثم علقة الى اخر تمام الخلق وقال ابن عطاء في ظلمة وجهل وعن محمد بن
علي الترمذي مضيعا لما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه واصل الكبد من الكبد فاتسع فيه
حتى استعمل في كل مشقة وعناء وشدة يعني خلقنا الانسان في شدائد وتلك الشدائد
ابتلاء الدنيا واتيان الاخرة اما شدائد الدنيا فانه تعالى خلق في اطوار كلها شدة
ومشقة تارة في بطن الام ثم في زمان الارضاع ثم بعد البلوغ في تحصيل وجوه
المعاش ودفع ضرر الاعداء ثم في ضرر الالام والاسقام وموت الاحباب كان يقول
ابن السماك يا ابن ادم انت في حبس منذ كنت في الصلب كنت محبوسا ثم تخرج الى الرحم
فتكون محبوسا ثم تخرج الى السرير والقماط فتكون محبوسا ثم تنشا فتصير في الكتاب
في حبس ثم تكبر فتصير محبوسا في الكد على العيال ثم تصير في القبر محبوسا فالطلب لنفسك
الراحة بعد الموت حتى لا تكون ايضا في حبس واما شدائد الدين فهو الشكر على
السراء والصبر على الضراء وكابد المحن في اداء العبادات والرضاء بالقضاء عند
نزول البليات واما شدائد الاخرة فالموت واهواله والقبر وسواله وظلمته
ووحشته ثم البعث وخطراته وما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص
عن الم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص عن الم الحر والبرد وما

يتخيل من اللذة في شرب الماء فهو خلاص عن الم العطش وكذلك جميع لذات الدنيا
فاذا تفكرت علمت انه ليس للانسان الا الالام او الخلاص عن الالام فهذا معنى قوله
لقد خلقنا الانسان في كبد اي هو في طول عمره في مكابدة الالام ومقاساة المتعبات
والموذيات ايحسب والضمير فيه للذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد وكانوا
يستضعفون المؤمنين ان لن يقدر عليه احد اي على الانتقام منه يقول اهلكت
مالا لبدا اي كثيرا بعضه على بعض يريد ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها
مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد فيسأله من اين
اكتسبه واين انفقه عن ابن عباس قال قال النبي عليه السلام لا تزول قدما
العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن حب اهل البيت الم نجعل له عينين
يبصر بهما المرئيات وفيهما من التركيبات البديعة والاصباغ العجيبة ما يدل على
جلال قدرة الخالق وكمال حكمته وقد عرفت الاشارة الى مجامعها لا الى احادها
فانها لا يمكن اذ لا يعلم تفاصيل حكمه في كل شيء الا هو ولسانا يترجم به عن ضمايره
ويجري منه ينابيع الحكم وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق
والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وقد مر عن ابي حازم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول يا ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه
بطبقتين فاطبق فان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه
بطبقتين فاطبق وهديناه النجدين اي بينا له طريق الحق والباطل والهدى
والضلالة وقال ابن عباس الثديين واليه ذهب سعيد بن المسيب فلا اقتحم
العقبة يعني فلم يجاوز العقبة فيامن يعني لم يشكر تلك الايادي بالاعمال
الصالحة وبما انفق ماله في فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان
الذي هو اساس كل خير وطاعة ليجاوز بهما العقبة يريد ان الانفاق على هذا الوجه
هو الانفاق المرضي النافع له عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله

كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا وكمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية وقدمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة جعل الله الاعمال الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وعن ابن عمر ان العقبة جبل في جهنم وقال كعب هي سبعون درجة في جهنم وقال الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط تضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهولا وصعودا وهبوطا قال ابن زيد فلا سلك الطريق الذي فيها النجاة والخير ثم بين ما هي وقال وما ادريك ما العقبة فك رقبة فمن اعتق رقبة كان فداؤه من النار وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم وعن ابي حنيفة رحمه الله ان العتق افضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي عليه السلام قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار قوله وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدرك صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وقال عكرمة يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة او اطعام في يوم ذي مسغبة مجاعة يتيما ذا مقربة ذا قرابة او مسكينا ذا متربة قد لصق بالتراب من الفقر فليس له مأوى الا التراب ثم كان من الذين امنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره لا يثبت عمل صالح الا به وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر بالرحمة على الخلق

عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن قال الحسن اصحاب الميمنة هم الميامين على انفسهم بالطاعة عليهم نار موصدة اي مطبقة مغلقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها قال مجاهد ضوءها وقال مقاتل حرها والقمر اذا تليها تبعها فاخذ من ضوءها وسار خلفها وذلك في النصف الاول من الشهر والنهار اذا جليها عند انبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء قال الفراء وجماعة من العلماء يعني والنهار اذا جلي الظلمة وان لم يجر لها ذكر والليل اذا يغشيها اي يغشى الشمس فتغيب فتظلم الافاق والسماء وما بنيها اي ومن خلقها وهو الله تعالى والارض وما طحيها خلق ما فيها وقيل سطحها او بسطها ونفس وما سويها عدل خلقها والماءات موصولات وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سويها وفي قولهم سبحان ما سخركن لنا فالهمها فجورها وتقويها بين لها الخير والشر قال العوفي علمها الطاعة والمعصية قال الكلبي اعلمها ما تأتي وما تتقي ومعنى الهامهما افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما وههنا موضع القسم اي سعد وفاز وقد خاب وخسر من دسيها فاهملها وخذلها ووضع منها واخفى محلها حتى عمل بالفجور وركب المعاصي والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وقال الحسن قد افلح من زكى نفسه فاصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل وقد خاب من دساها قال من اهلكها واضلها وحملها على معصية الله تعالى كذبت ثمود بطغويها اي بطغيانها وعدوانها اذ انبعث حين قام اشقيها وهو قدار بن سالف وقد مر قصته فقال لهم رسول الله ناقة الله نصبت على التحذير اي احذروا ناقة الله وسقيها شربها فلا تزاحموها فيه فكذبوه

يعني صالحا فعقروها فدمدم فاطبق عليهم العذاب واهلكهم ربهم بذنبهم بتكذيبهم
رسوله وعقرهم ناقة الله فسواها فسوى الدمدمة عليهم جميعا قال المورج الدمدمة
اهلاك باستيصال فسوى الدمدمة عليهم بصيحة جبريل على صغيرهم وكبيرهم قال
وذكر انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم فلما اشتركوا في
عقرها فدمدم عليهم ربهم فسواهم بالارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلكهم
الا رجلا واحدا كان في حرم الله قالوا يا رسول الله من هو قال ابو رغال وهو ابو ثقيف
ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض
الابقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى هو القادر العظيم القدرة الذي
قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان سعيكم لشتى وشتى جمع شتيت يعني ان مساعيكم
اشتات مختلفة وبيان الاختلاف فيما فصل على اثره وقيل ان سعيكم لشتى اي ان
عملكم لمختلف فساع في فكاك رقبته وساع في عطبها يدل عليه قوله عليه السلام
الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها او بائع نفسه فموبقها فاما من اعطى ماله
في سبيل الله واتقى ربه فاجتنب محارمه ولم يعصه وصدق بالحسنى بالخلف ايقن
بان الله سيخلف عليه وهذه رواية عكرمة وشهر بن حوشب عن ابن عباس يدل
عليها ما روى ابو الدرداء قال قال النبي عليه السلام ما من يوم غربت شمسه الا
وبجنبيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كله الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط
ممسكا تلفا فانزل الله في ذلك القرآن فاما من اعطى واتقى الاية وقال قتادة ومقاتل
والكلبي صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده ان يثيبه فسنيسره فسنهيئه
في الدنيا لليسرى للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل من يسر الفرس
للركوب اذا الجمها واسرجها وهيأها للركوب والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى
تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام واما من بخل بالنفقة في الخير واستغنى عن ربه فلم يرغب

في ثوابه وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن
نعيم الجنة لانه مقابلة واتقى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى اي العمل بما لا يرضاه
الله تعالى حتى يستوجب به النار فكانه قال نخذله ونؤديه الى الامر العسير وهو العذاب
او المعنى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى يكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده من
قوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا الاية او سمى الاعمال الصالحة باليسرى لان عاقبتها
اليسر والاعمال السيئة العسرى لان عاقبته العسر وما يغني عنه ماله اذا تردى
وهو تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر
جهنم ان علينا للهدى اي ان الارشاد واجب علينا بايجابنا علينا بنصب الدلايل
وبيان الشرايع وقال الفراء يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى وعلى
الله قصد السبيل تقول من اراد الله تعالى فهو على السبيل القاصد وان لنا للاخرة
والاولى فمن طلبهما من غيرنا كلهما فقد اخطا الطريق معناه نعطي ثواب الدارين
للمهتدي فانذرتكم نارا تلظى تتوقد وتتوهج لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وقد مر تفسيره في قوله كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى الاية قال
مالك صلى بنا عمر بن العبد العزيز المغرب فقرا فيها والليل اذا يغشى فلما اتى هذه الاية
وقع عليه البكاء فلم يقدر ان ينفدها من البكاء وقرا سورة اخرى وسيجنبها وسيبعد منها
الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى عن عروة ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه اعتق
سبعة كلهم يعذب في الله عز وجل بلال وعامر بن فهيرة وزهيرة وام عميس وغيرها
فاما زهيرة فكانت رومية وكانت لبني عبد الدار فلما اسلمت عميت فقالوا اعمتها
اللات والعزى فقالت هي كفرت باللات والعزى فرد الله اليها بصرها فرآها
ابو بكر انها تعذب فاشتراها بكذا وكذا اوقية واما بلال فاشتراه وهو مدفون
بالحجارة فقالوا لو ابيته الا اوقية واحدة لبعناك فقال ابو بكر لو ابيتم الا مائة
اوقية لاخذته وفيه نزلت يعني ابا بكر وسيجنبها الاتقى الاية قال واسلم وله
اربعون الفا فانفقها كلها وقد مر قصته قال ابن الزبير على المنبر كان ابو بكر

يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه يا بني لو كنت تبتاع من يصنع ظهرك
قال منع ظهري اريد فنزلت فيه وسيجنبها الاتقي الاية عن ابن عباس في
هذه الاية قال ان بلالا لما اسلم ذهب الي الاصنام فشتم عليها وكان المشركون
وكلوا امرءة تحفظ الاصنام فاخبرتهم المرءة وكان بلال عبدا لعبد الله بن جدعان
فشكوا اليه فوهبه لهم ومائة من الابل ينحرونها لالهتهم فاخذوه وجعلوه يعذبونه
في الرمضاء وهو يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ينجيك احد
احد ثم اخبر النبي عليه السلام ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فحمل ابو بكر رطلا
من الذهب فابتاعه وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال
لابي بكر حين قال له ابو بكر اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر
صاحب عشرة الف دينار وغلمان وجوار وكان مشركا وحمله ابو بكر علي الاسلام
علي ان يكون ماله له فابي فابغضه ابو بكر فلما قال امية بن خلف ابيعك
بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر فباعه به فقال المشركون ما بيعه ابو بكر
هذا ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله وما لاحد عنده او لئك الذين
اعتقهم من نعمة تجزي الا ابتغاء وجه ربه الاعلي ولسوف يرضي بثواب
الله في العقبي عوضا عما في الدنيا ويقر عينه

بسم الله الرحمن الرحيم والضحي والليل اذا سجي اي سكن
ظلامه والناس والاصوات اقسم الله تعالي بهذه الاوقات تنبيها علي شرفها
وعلي ان ثواب الطاعات يتضاعف فيها فينبغي ان يشتغل فيها بالاعمال
الصالحة واختلف المفسرون في المراد بالنهار والليل انه علي العموم او علي
الخصوص قيل هو علي العموم لتعلق مصالح الخلق ومنافعهم بهما وقيل
هو علي الخصوص قال جعفر بن محمد الصادق والضحي الساعة التي
كلم الله موسي فيها علي الطور والليل هو ليلة المعراج التي ناجي الله
حبيبه علي بساط النور فوق السموات في مقام دني فتدلي في مكان لم يدر

الكون اين قدمه ولم يدر قدمه اين نفسه ولم يدر نفسه اين قلبه ولم يدر
قلبه اين روحه ولم يدر روحه اين سره فكان الكون يطلب قدمه وقدمه
يطلب نفسه ونفسه يطلب قلبه وقلبه يطلب روحه وروحه يطلب سره
وقالوا ثم دني اشارة الي مقام نفسه فتدلي اشارة الي مقام قلبه فكان قاب
قوسين اشارة الي مقام روحه او ادني اشارة الي مقام سره فكانت نفسه
في مقام الخدمة وقلبه في مقام المحبة وروحه في مقام القربة وسره
في مقام المشاهدة وكانت حيوة نفسه بالخدمة وبقاء قلبه بالمحبة وقيام
روحه بالقربة وغذاء سره بالمشاهدة ولو نظرت نفسه الي الكون لبقيت
بلا خدمة ولو نظر قلبه الي نفسه لبقي بلا محبة ولو نظر روحه الي قلبه لبقي
بلا قربة ولو نظر سره الي روحه لبقي بلا مشاهدة دني مكيا فتدلي ملكيا
دني فرشيا فتدلي عرشيا باقدامه في حضرة القدس قدسيا
رسول له فوق المناصب منصب ما ودعك ما قطعك ربك قطع المودع وما قلي
والتوديع مبالغة في الودع نزلت حين تاخر الوحي اياما ففرح المشركون
وقالوا ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقد مر وللاخرة خير لك من الاولي
ولما كان في نفي التوديع والقلا ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا
تري كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الاخرة اعظم
من ذلك واجل وهو التقدم علي جميع انبياء الله وشهادة امته علي ساير الامم
ورفع درجات المومنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات
السنية كلم الله موسي علي الجبل وكلم محمدا علي السموات وسال موسي الروية
فما اعطي واعطي محمدا بلا سوال دني طالبا فتدلي واصلا دني افتقارا
فتدلي افتخارا دني مناديا فتدلي مناجيا واقسم الله تعالي بالضحي الذي
كلم موسي علي الطور وبالليل كلم محمدا علي بساط النور وقيل هو ضحي
الاوابين وليلة المتهجدين وقيل نهار دعوة النبي عليه السلام يا ايها المدثر

ثم فانذر اي بالنهار يا ايها المزمل قم الليل وقيل والضحى والليل ليلة مولده حبيب
صار انور من الضحى وقيل هو يوم نزول الوحي اليه وليلة العروج به الى السماء
وقيل اسمان من اسماء النبي عليه السلام سماه الله به كما سماه سراجا منيرا
ضحى منيرا على اوليائه وعلى اعدائه ليلا مظلما ولسوف يعطيك ربك فترضى
وقال جعفر الصادق دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعليها كساء
من وبر الابل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما ابصرها فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا لحلاوة الاخرة فقد انزل الله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الظفر يوم بدر
وقد من ويوم فتح مكة ودخول الناس في دينه افواجا وسيجي قصته
والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وفتح قلاع خيبر وبث عساكره وسراياه
في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن
وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب
اهل الشرق والغرب من الرعب ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه
الا الله واللام لام الابتداء والمبتدا محذوف والتقدير ولانت سوف يعطيك
ومعنى الجمع بين حرفي التوكيد والاستقبال ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما
فيه من المصلحة الم يجدك يتيما تعديد عليه نعمه وانه لم تخله منها من اول تربيته
ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى
وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره الم يجدك يتيما من الوجود بمعنى
العلم والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت
امه وهو طفل صغير فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته
فاوى ووجدك ضالا فهدى ليس المراد المعاصي لان الانبياء معصومون منها قبل
النبوة وبعدها قال الضحاك وشهر بن حوشب وابن كيسان وجدك ضالا عن معالم
النبوة واحكام الشريعة غافلا عنها فهداك اليها ونظيره قوله وان كنت من قبله

ما جعل سورة الضحى لمحمد ثم
وسورة والليل سورة ابي بكر
ما سبقه ذنب ومثاله
وههنا قدم الضحى لان الرسول
ابو بكر لانا ابا بكر سبقه كفر
فقدم الليل على النهار في سورة

التسوية ما فوق
ثلثمائة الى ما دون
اربعمائة

الايات صح

لمن الغافلين وقوله وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الاية وفي حديث كعب
الاحبار في مولد النبي عليه السلام حين اتت حليمة لترده الى عبد المطلب قالت
حليمة فاقبلت اسير حتى اتيت الباب الاعظم من ابواب مكة فسمعت مناديا ينادي
هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد عليك النور والزين والبهاء والجمال قالت وضعت
النبي لاقضي حاجتي واصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت
معاشر الناس اين الصبي فقالوا اي الصبي فقلت محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب الذي نضر الله وجهي به واغنى عيلتي وربيته حتى اذا ادركت فيه سروري
واملي اتيت به لارده واخرج من امانتي اختلس من بين يدي واللات والعزى
لئن لم اره لارمين بنفسي من شاهق هذا الجبل فاتقطعن اربا اربا قالوا ما
راينا شيئا فلما ايسوا وضعت يدي على راسي قلت وامحمداه واولداه فابكت الجواري
لبكائي وضج الناس معي بالبكاء حرقة لي فاذا انا بشيخ كالفاني يتوكا على عصاه
قال ما لك ايتها المرأة السعدية قلت فقدت ابني محمدا قال لا تبكي انا ادلك على
من يعلم علمه وان شاء ان يرده فعل قلت فداك نفسي ومن هو قال الصنم
الاعظم هبل قالت فدخل فطاف وانا انظر فطاف بهبل وقبل راسه وناداه
يا سيداه لم تزل منتك على قريش قديمة وهذه السعدية تزعم ان ابنا لها
قد ضل فرده اليها ان شئت واخرج هذه الوحشة عن بطحاء مكة فانها تزعم
ان ابنها قد ضل فانكب هبل على وجهه وتساقط الاصنام وقالت اليك عنا
ايها الشيخ انما هلاكنا على يدي محمد قالت والشيخ اسمع لاسنانه اصطكاكا
وبركبته ارتعاجا وقد القى عكازته من يده وهو يقول يا حليمة ان لابنك
ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل قالت فخفت ان يبلغ الخبر عبد المطلب قبلي
قالت فقصدته فلما نظر الي قال اسعد نزل بك ام نحس قلت بل النحس
الاكبر ففهمها مني فقال لعل ابنك ضل منك قالت قلت نعم وظن ان بعض قريش
قد اغاله فسل عبد المطلب سيفه لا يثبت له احد من شدة غضبه ونادى

باعلي صوته يا ال غالب يا ال غالب وكانت دعوتهم في الجاهلية فاجابته قريش باجمعها
وقالوا اما قصتك قال فقدت ابني محمدا قالوا اركب نركب معك فان تسنمت جبلا
تسنمناه معك وان خضت بحرا خضناه معك فركب وركبت قريش معه فاخذ
علي اعلي مكة وانحدر علي اسفلها فلما لم ير شيئا ترك الناس واتزر ببرد وارتدي
باخر واقبل الي البيت الحرام فطاف اسبوعا ثم انشا يقول يا رب رد ولدي محمدا
رده الي واتخذ عندي يدا يا رب ان محمدا لن يوجدا فجمع قومي كلهم مبددا
فسمعنا مناديا ينادي من الهوي معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله
ولا يضيعه قال عبد المطلب يا ايها الهاتف ومن لنا واين هو قال بوادي تهامة
عند شجرة السمرة فاقبل عبد المطلب راكبا متسلحا فلما صار في بعض الطريق
تلقاه ورقة بن نوفل فصارا جميعا يسيران فبينما هما كذلك اذا النبي صلي الله عليه وسلم
قايم تحت شجرة يجذب الاغصان ويلعب بالورق قال له عبد المطلب من انت
يا غلام قال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال عبد المطلب فداك نفسي وانا
جدك ثم حمله علي قربوس سرجه ورده الي مكة واطمانت قريش بعد ذلك وقيل
معناه وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل لا تعرف الطريق
فهداك الي ساق العرش وقد مر قصة المعراج وقال سهل وجد نفسك
نفس الشهوة والطمع فغيره الي سبيل المعرفة والشرع وقال الجنيد وجدك متحيرا
في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه ووجدك عايلا فقيرا فاغني بمال
خديجة ثم بالغنايم ثم بالقناعة وعن بعضهم وجدك عايلا يعول الخلق بالعلم
فاغناك بالقرآن والعلم والحكمة قال ابن عطاء وجدك فقير النفس فاغني قلبك
فاما اليتيم فلا تقهر فلا توذيه ولا تغلبه علي ماله وحقه لضعفه واذكر يتمك وفي
قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه قال ابو هريرة قال النبي
صلي الله عليه وسلم كافل اليتيم له او لغيره انا وهو كهاتين في الجنة اذا اتقي الله واشار
الي ذلك بالسبابة والوسطي وعن عمر بن الخطاب قال قال النبي صلي الله عليه وسلم ان اليتيم

اذا بكي اهتز لبكائه عرش الرحمن ويقول الله عز وجل لملايكته يا ملايكتي من ابكي
هذا اليتيم الذي غيبت اباه في التراب فتقول الملايكة ربنا انت اعلم فيقول يا ملايكتي
اني اشهدكم اني لمن اسكته وارضاه ارضيه يوم القيامة قال فكان عمر اذا راي
يتيما مسح راسه واعطاه شيئا وعن انس بن مالك قال من ضم يتيما فكان في نفقته
وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة ومن مسح براس يتيم كان له بكل
شعرة حسنة واما السايل فلا تنهر فلا تزجر عن الحسن انه قال اما انه ليس
بالسايل الذي ياتيك لكن طالب العلم وقال سمعت يحيي بن ادم يقول واما السايل
فلا تنهر اذا جاءك طالب العلم فلا تنهره وعن ابرهيم بن ادهم قال نعم القوم السوال
يحملون زادنا الي الاخرة وقال ابرهيم السايل يريد الاخرة يجي الي باب احدكم
فيقول هل توجهون الي اهليكم بشي وعن ابن عباس قال قال صلي الله عليه وسلم
اذا رددت السايل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره واما بنعمة ربك فحدث
يعني النبوة والقرآن واليه ذهب الطيبي وحكم الاية في جميع الانعام وكان عبد الله
بن غالب اذا اصبح يقول لقد رزقني الله البارحة خيرا قرات كذا وصليت كذا
وذكرت الله كذا وكذا وفعلت فيقال ان مثلك لا يقول مثل هذا فيقول ان الله تعالي
يقول واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله تعالي وانما
يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن علي نفسه
الفتنة والمعني انك كنت يتيما وضالا وعايلا فاواك الله وهداك واغناك
فمهما يكن من شي فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله وتعطف
علي اليتيم واوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله بك وترحم
علي السايل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك
بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه
الشرايع والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك يعني فسحناه

حتي وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا واحتمل المكاره التي بها يتعرض
الكفار واودعنا فيه العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي مع العمي والجهل
وعن الحسن ملي حكمة وعلما وقد مر تفسيره في بني اسرائيل ووضعنا اي حططنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك اي اثقل منك لما يثقل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
ويغمه من فرطاته قبل النبوة ومن جهله بالاحكام والشرايع ومن تهالكه علي
اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له وعلم الشرايع ومهد
عذره بعد ما بلغ وبالغ وقيل عصمناك عن احمال الوزر ورفعنا لك ذكرك عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلي الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام عن هذه الاية ورفعنا لك
ذكرك قال قال الله عز وجل واذا ذكرت ذكرت معي وذكرك في كلمة الشهادة والاذان والاقامة
والتشهد والخطبة وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله
ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله قال قتادة
رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا ينادي بها
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال الحسان وضم الاله اسم النبي باسمه
اذا قال المؤذن في الخمس اشهد وقال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرك معي وقيل
ورفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء وقيل باخذ ميثاقه علي النبيين والزامهم الايمان
والاقرار بفضله فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين
ومن اقامة ما انت بسبيله يسرا ورخاء بان يظفرك عليهم حتي ينقادوا للحق
الذي جئتهم به طوعا وكرها ان مع العسر يسرا كرره لتاكيد الوعد وتعظيم الرجاء
عن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال النبي عليه السلام ابشروا وقد جاءكم اليسر لن يغلب
عسر يسرين قال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه
اليسر حتي يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين اختلفوا في قوله عليه السلام
لن يغلب عسر يسرين واصح ما قيل فيه ان الله عز وجل بعث نبيه عليه السلام
مقلا مخفا فعيره المشركون بفقره وعيروا المؤمنين بالفقر حتي سبق الي

اي قليلا اي خفيف الحال

وهم انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله فعزاه الله عز وجل وعدده عليه نعماءه
ووعده الغنى فقال الم نشرح لك الي قوله ذكرك فهذا ذكر امتنانه عليه ابتداء بما
وعده من الغنى ليسليه ما جاء في قلبه فقال فان مع العسر يسرا والدليل دخول
الفاء ومجازه لا يحزنك ما يقولون فان مع العسر يسرا في الدنيا عاجلا من الخير
ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع ذات يده حتي كان يهب المائتين من
الابل ثم ابتداء فضلا آخر فقال ان مع العسر يسرا وهذا وعد عام جميع المؤمنين
ومجازه ان مع العسر يسرا في الدنيا للمؤمنين ويسرا في الآخرة انما يغلب احدهما
وهو يسر الدنيا واما يسر الآخرة فدايم غير زايل اي لا يجمعهما في الغلبة كقوله
عليه السلام شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان النقصان قال القتبي كنت ذات يوم في
البادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت ادري الموت لمن اصبح مغموما له
اروح فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف من الهواء الا يا ايها المرء الذي الهم به برح وقد
انشد بيتا لم يزل في فكره يسبح ... اذا اشتد بك العسر ... ففكر في الم نشرح
فان العسر مقرون بيسرين فلا تبرح ... قال فحفظت الابيات وفرج الله تعالي
غمي وانشد اسحق بن بهلول القاضي ... فلا تجزع وان اعسرت يوما
وقد ايسرت في دهر طويل ... ولا تظنن بربك ظن سوء ... فان الله اولي بالجميل
فان العسر يتبعه يسار ... وقول الله اصدق كل قيل ... وقال آخر اذا الحادثات بلغن
المدي وكادت تذوب لهن المهج ... وحل البلاء وقل العزاء ... فعند التناهي يكون الفرج
والتنكير في يسرا للتفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر فاذا فرغت فانصب
فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة
ووعده الآنفة بعث علي الشكر والاجتهاد علي العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها
وبعض ويتابع ويحرص علي ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة
ذنبها باخري وعن الشعبي انه راي رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود
الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه ودنياه من سفه الراي وسخافة
العقل

واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم فارغا
سبهللا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الاخرة والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه
خصوصا ولا تسئل الا فضله متوكلا عليه وحده وقرئ فرغب اي رغب الناس
الى طلب ما عنده

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون اقسم الله بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الثمار اما التين
فانه ليس مما يصلح ظاهره ويطيب باطنه ولا مما يطيب ظاهره ويصلب باطنه من
الثمار بل هو طيب الظاهر والباطن وانه غذاء ودواء وفاكهة اما كونه غذاء
فانه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة تلين الطبع وتخرج بطريق
الترشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن
ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه واحمدها وروي انه اهدي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من التين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت
ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فانها تقطع البواسير
وينفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول
الشعر وهو امان من الفالج واما كونه دواء فلانه يتداوى به في اخراج فضول
البدن وله خواص غير ما ذكر واما الزيتون فانها شجرة مباركة وهو ثمر
ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح فاكهة من وجه وادام من وجه ودواء
من وجه ولا يحتاج الى التربية وقال مريض لابن سيرين رايت في المنام قيل
كل الاثنين تشفى فقال كل الزيتون ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ
منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم
السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته
يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وقال ابن زيد التين مسجد دمشق
والزيتون مسجد القدس والاصح الاول لانه قول ابن عباس واكثر المفسرين
قال ابن عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون منه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه

الزيتا

وطور

وطور سينين والطور الجبل وسينين اسم البقعة يعني الجبل الذي كلم الله عليه
موسى وهذا البلد الامين قال ابن عطاء انهما بقعتا سكن فيها وكونك بها وان كونك
امان حيث ما كان يعني مكة يامن فيها الناس في الجاهلية والاسلام من او من الرجل
امانة وامانته ان تحفظ من دخله كما تحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان
يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوايل كما قال عز وجل حرما
امنا اي ذي امن ومعنى القسم لهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة
وما ظهر فيها من الخير والبركة فنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى
ومنشاه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى
للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وقد من تفسيرها والاشارة الى نبذة من محاسن معانيها واما استقصاؤها فلا يسع
في مجلدات كثيرة ثم رددناه اسفل سافلين بدلناه حالا بعد حال الى ان يرجع الى الهرم
ويبلغ الى ارذل العمر يعني اسفل طبقة الضعف اي الضعفى والزمنى والاطفال فالهرم
اسفل من هولاء جميعا يعني اخذنا منه كثيرا مما اعطيناه من الحسن والجمال وقوة البدن
وقوة العقل والادراكات وغير ذلك فضعفوا عن العبادات والاعمال الصالحات
فانقطعت اعمالهم ونوابها فصاروا لا يطيقون الصلوات والصيام وغيرها من الخيرات
فلا يكتب لهم الحسنات الا الذين امنوا وعملوا الصالحات في شبابهم وقوتهم فانه يكتب
لهم بعد الهرم مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة قال الحسن ومجاهد
معناها ثم رددناه الى النار ولان جهنم بعضها اسفل من بعض الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فانهم لا يسمعون حسيسها قال ابو العالية يعني الى النار في شر صورة في صورة
خنزير وقيل معناه خلقناه في احسن تعديل بشطه وصورته وتسوية اعضائه
ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه
اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب
النار ولو راى الناس العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقه وقبح صورته

ولو وجدوا الجنة لما تواهن منتها يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار
من تحتهم والنار من ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار
ولباسهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل
السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويصطرخون بين غواشيها ويستغيثون بالويل
والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد يهشم بها جباههم فينفجر الصديد من افواههم وينقطع من العطش
اكبادهم وتسيل من الخدود احداقهم وتسقط من الوجنات لحومها ويتمعط
من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعريت
من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في
لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون وقد سودت وجوههم اشد
سوادا من الحمم واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظام
وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وقال عكرمة الا الذين آمنوا اقرؤا القرآن وعملوا
الصالحات وعملوا بما فيها لم يردوا الى ارذل العمر فلهم اجر غير ممنون غير منقطع لانه يكتب له
كصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ولا يدخل النار بل هم فيما اشتهت انفسهم
خالدون فما يكذبك بعد بالدين فما يجعل كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل
يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك
الى ان يكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة ويقومه
بشرا سويا وتدرجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ
الى ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على
هذا كله لم يعجز على اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل
القاطع ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب
تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف يكذب ذاكر ويتكبر من قدرة الله وحكمته
من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشأة
الاولى فان الثانية مثلها او اسهل منها وان كنت قويت الايمان به فاستحق له والكثير
الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم حتى يتمكن من سويداء افئدتهم كما مر في قوله تعالى
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ويدل
على ذلك شدة تشميرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بالاستعداد
لليوم الآخر مع ان البلوغ الى الصيف والشتاء موهوم وكم من رجل قد استعد لهما
ولم يبلغ والبعث والنشر والحساب والجزاء قطعي لا ريب فيه لاحد منهم اذا سئلوا
عن اليوم الآخر نطقت به السنتهم ثم من اخبر ان ما بين يديه من الطعام مسموم وقال
لصاحبه صدقت ومد اليد لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب
العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد مر البحث بقوله كذبني ابن آدم الحديث وفي
قوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقوله ايحسب الانسان
ان يترك سدى الم يك نطفة الآية بالدين اي بالجزاء والحساب اليس الله باحكم الحاكمين
باقضى القاضين يعذب المكذبين ويثيب المصدقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ والتين والزيتون الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك
من الشاهدين

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق عن ابن عباس ومجاهد وكثير من المفسرين ان هذه السورة
اول ما نزلت من القرآن واول ما نزل خمس آيات من اولها الى قوله ما لم يعلم واكثر
المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزلت ثم سورة القلم عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان
لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث
فيه ثم يرجع الى خديجة فيتزود ثم يرجع الى الجبل فيتحنث حتى جاءه الحق وهو بغار حراء
فجاءه الملك فقال اقرأ قال قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال لي اقرأ فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد

ثم ارسلني فقال لي اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قالت فرجع بها رسول الله ترجف فؤاده
فدخل علي خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتي ذهب
عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر وقال لقد خشيت علي نفسي فقالت
خديجة كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق في الحديث وتحمل
الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين علي نوائب الحق فانطلقت
به خديجة حتي اتت به ورقة بن نوفل بن عم لخديجة وكان امرء تنصر في
الجاهلية وكان يكتب العربي وكتب من الانجيل بالعربية ما شاء ان يكتب وكان
شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له
ورقة يا ابن اخي ماذا تري فاخبره رسول الله صلي الله عليه وسلم خبر ما راي
فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل الله تعالي علي موسي يا ليتني فيها جذعا
يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم او مخرجي
هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي واوذي وان يدركني
يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتي حزن
رسول الله صلي الله عليه وسلم حزنا غدا منه مرارا كي يتردي من رؤس شواهق
الجبال فلما اوفي بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدا له جبريل فقال يا محمد انك
رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة
الوحي غدا بمثل ذلك فاذا اوفي بذروة الجبل لكي يلقي منه نفسه تبدا له جبريل
مثل ذلك معني الاية اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ خلق
اي خلق كل شيء خلق الانسان خصص بالذكر لان التنزيل اليه وهو اشرف
ما علي الارض وقيل معناه الذي خلق الانسان ثم ذكر تفخيما لخلق الانسان ودلالة
علي عجيب فطرته من علق وانما جمع لكون الانسان بمعني الجمع لما اراد الله
تعالي ان يبعثه رسولا الي المشركين لو قال له اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له
لابوا

لابوا ان يقبلوا ذكر منه لكنه تعالي قدم ذلك مقدمة يلجئهم الي الاعتراف به اي
اذكر لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة فلا يمكنهم انكاره ثم قل ولا بد للفعل من
فاعل ولا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الي الوثن لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا التدريج
يقروا بان انا المستحق للثناء كما قال ولئن سالتهم الاية ثم لما صارت الالهية موقوفة
علي الخالقية حصل القطع بان من لم يخلق لم يكن الها فلهذا قال افمن يخلق
كمن لا يخلق اقرأ كرره للتاكيد وربك الاكرم الذي علم بالقلم اي كتب العلم في
لوح القلب لما اشرق سراج العقل بالقلم فان كل من تجاوز عالم الملك والجبروت
ويقرع اول باب من ابواب الملكوت يكاشف بالقلم واللوح الالهي وهي ليس من
قصب ولوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم كما
ان ذاته لا يشبه الذوات وقلمه لا يشبه الاقلام وهو يكتب علي الدوام في قلوب
البشر كلهم اصناف العلوم وهو المراد بقوله علم الانسان ما لم يعلم ولما كانت
افادة الفوايد العلمية منتهي الكرم قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
من انواع الهدي والبيان فدل علي كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من
ظلمة الجهل الي نور العلم وقيل معناه علم الخط والكتابة لان فيه من المنافع العظيمة
التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين
ومقالاتهم ولا الكتب المنزلة وقيل علم ادم الاسماء كلها وقيل الانسان ههنا محمد
صلي الله عليه وسلم بيانه قوله وعلمك ما لم تكن تعلم كلا حقا ان الانسان ليطغي ليتجاوز حده
ويستكبر علي ربه ان اي لان راه استغني اي راي نفسه غنيا قال الطيبي يرتفع
عن منزلته في اللباس والطعام وغيرهما قال مقاتل نزلت في ابي جهل كان اذا اصاب
مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ان الي ربك الرجعي في الاخرة ارايت
الذي ينهي عبدا اذا صلي نزلت في ابي جهل نهي النبي صلي الله عليه وسلم عن الصلوة عن
ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال
واللات والعزي لئن رايته يفعل ذلك لاطان علي رقبته ولاعفرن وجهه في التراب

وقيل كان جبريل وميكائيل عليهما السلام على كتفه في صورة الاسد كبير

قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وعزم ليطأ على رقبته فما فجيهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك قال ان بيني وبينه لخندقا واهوالا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ومعنى ارايت ههنا تعجب للمخاطب وكرر هذه اللفظة للتاكيد ارايت ان كان على الهدى يعني العبد المنهي وهو محمد صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعني بالاخلاص والتوحيد ارايت ان كذب ابو جهل وتولى عن الايمان وتقدير نظم الاية ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب ومتولي عن الايمان اي قال اعجب من هذا الم يعلم يعني ابا جهل بان الله يرى ذلك فيجازيه به كلا لا يعلم ذلك لئن لم ينته عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته فلنجرنه الى النار كما قال فيؤخذ بالنواصي والاقدام يقال سفعت بالشيء اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الراس ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة اي صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلوة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل انتهرني فوالله لاملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا قال الله تعالى فليدع ناديه اي قومه وعشيرته اي فليستنصر بهم سندع الزبانية جمع زبني ماخوذ من الزبن وهو الدفع قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يدفعون اهل النار اليها قال كلا ليس الامر على ما عليه ابو جهل لا تطعه في ترك الصلوة واسجد وصل لله واقترب من الله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر يعني القرآن كناية عن غير مذكور انزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فوضعه في بيت العزة ثم كان ينزل به جبريل نجوما في عشرين سنة ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وما ادريك ما ليلة القدر

قال ابو عبيدة ناديه اي اهل مجلسه وبالجملة فالمراد من النادي اهل النادي ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ... وقيل سميت ناديا لانه مجلس الندي والجود ذكر ذلك على سبيل التهكم اي اجمع اهل الكرم والذواجع على ان يعمل فينصرونك

سميت ليلة القدر لانها ليلة تقدير الامور والاحكام يقدر الله فيها امر السنة في عباده وبلاده الى السنة القابلة قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان تخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقال الازهري في ليلة العظمة والشرف من قول الناس لفلان عند الامير قدر اي جاه ومنزلة يقال قدرت فلانا اي عظمته قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وقيل ان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا واختلفوا في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وعامة الصحابة والعلماء على انها باقية الى يوم القيامة روي عن عبد الله بن يحنس مولى معوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من زعم ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم وقال بعضهم هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علق طلاق امراته او عتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تمض السنة من حين حلف يروى ذلك عن ابن مسعود قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس والجمهور من اهل العلم على انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة قال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان وقال الحسن ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر والصحيح والذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيرها عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله واختلفوا في انها اي ليلة من العشر عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان عن ابيه قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بطالبها بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التمسوها في العشر الاواخر

من تسع بقين او سبع بقين او خمس بقين او ثلث بقين او آخر ليلة فكان ابو بكرة اذا
دخل رمضان يصلي كما يصلي في ساير السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد عن
عبادة ابن الصامت قال خرج النبي صلي الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحا رجلان
من المسلمين فقال خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسي
ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة عن عبد الله بن عمر ان رجالا
من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم اروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اري رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان
متحريها فليتحرها في السبع الاواخر وروي عن ابي سعيد الخدري انها ليلة احدي
وعشرين عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعتكف العشر
الوسطي من رمضان فاعتكف عاما حتي اذا كان ليلة احدي وعشرين وهي الليلة التي
تخرج صبيحتها من اعتكافه قال من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وقد
رايت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد من صبيحتها في ماء وطين فالتمسوها
في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر فقال ابو سعيد الخدري فامطرت السماء تلك
الليلة وكان المسجد علي عريش فوكف المسجد قال ابو سعيد فابصرت عيناي رسول الله
انصرف علينا وعلي جبهته وانفه اثر الماء والطين من صبيحة احدي وعشرين وقال
بعضهم هي ليلة ثلث وعشرين عن ابي هريرة قال تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله
كم مضي من الشهر فقلنا اثنتان وعشرون وبقي ثمان فقال مضي اثنان وعشرون وبقي سبع
فاطلبوا الليلة سبع وعشرين وقال قوم هي ليلة سبع وهو قول علي وابي وعايشة
وفي الجملة ابهم الله تعالي هذه الليلة علي الامة ليجتهد وا في العبادة ليالي شهر رمضان
طمعا في ادراكها كما اخفي ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفي الصلوة الوسطي في الصلوات
الخمس واسمه الاعظم في الاسماء ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في
المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفي قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من
قيامها ليلة القدر خير من الف شهر قال عطاء عن ابن عباس ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم

رجلا من بني اسرائيل حمل السلاح علي عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلي الله عليه وسلم
لذلك وتمني ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله
ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله
لك ولامتك الي يوم القيامة قال المفسرون ليلة القدر خير من الف شهر معناه عمل
صالح في ليلة القدر خير من عمل الف شهر ليس فيها ليلة القدر عن ابي هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قال سعيد بن المسيب
من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد اخذ حظه من ليلة القدر عن عايشة
قالت للنبي صلي الله عليه وسلم لو وافيت ليلة القدر فما اقول قال قولي اللهم انك عفو
تحب العفو فاعف عنا تنزل الملائكة والروح يعني جبريل عليه السلام معهم فيها اي في
ليلة القدر باذن ربهم من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة كقوله تحفظونه
من امر الله اي بامر الله سلام قال عطاء يريد سلام علي اولياء الله واهل طاعته
قال الشعبي هو تسليم الملايكة ليلة القدر علي اهل المساجد من حين تغيب الشمس
الي ان يطلع الفجر قال الكلبي الملايكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة سلموا
عليه من ربه حتي يطلع الفجر وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم من كل امر
ثم ابتدا فقال سلام هي اي ليلة القدر سلام وخير كلها ليس فيها شر قال
الضحاك لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلام وقال مجاهد يعني ان ليلة
القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا ان يحدث فيها اذي حتي مطلع
الفجر اي الي مطلع الفجر قرا الكسائي بكسر اللام والاخرون بفتح اللام وهو
الاختيار بمعني الطلوع علي المصدر يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والكسر موضع الطلوع

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب وهم اليهود والنصاري والمشركين وهم عبدة
الاوثان منفكين منتهين عن كفرهم وشركهم وقال اهل اللغة منفكين زايلين منفصلين
يقال فككت الشي فانفك اي انفصل حتي تاتيهم البينة لفظه مستقبل ومعناه الماضي

اي حتى اتتهم البينة اي الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن فبيّن لهم
ضلالتهم ودعاهم الى الايمان فهذه الاية فيمن آمن من الفريقين اخبر انهم لم ينتهوا عن
الكفر حتى اتاهم الرسول ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله به من الجهل والضلال
ثم فسّر البينة فقال رسول من الله يتلوا يقرأ صحفا كتبا يريد ما يتضمنه الصحف
من المكتوب فيها وهو القرآن لانه كان يتلوا عن ظهر قلبه لا عن كتاب مطهرة من الباطل
والكذب والزور فيها اي في الصحف كتب يعني الايات والاحكام المكتوبة فيها قيمة
عادلة مستقيمة غير ذات عوج ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءتهم البينة اي البيان
في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلعم
حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون
وقال بعض ائمة اللغة معنى قوله منفكين اي هالكين من قولهم انفك صلا المرأة عند
الولادة وهو ان ينفصل ولا يلتئم فتهلك ومعنى الاية لم يكونوا هالكين معذبين الا بعد
ما قامت الحجة عليهم بارسال الرسول وانزال الكتاب والاول اصح ثم ذكر ما امروا به
في كتبهم فقال وما امروا يعني هؤلاء الكفار الا ليعبدوا الله يعني ان يعبدوا الله مخلصين
له الدين قال ابن عباس ما امروا في التورية والانجيل الا باخلاص العبادة لله تعالى
موحدين حنفاء مائلين عن الاديان كلها الا الدين الاسلام ويقيموا الصلوة المكتوبة
في اوقاتها ويؤتوا الزكوة عند محلها وذلك الذي امروا به دين القيمة اي الملة والشريعة
المستقيمة اضاف الدين الى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة
ردا الى الملة وقيل الهاء فيها للمبالغة وقيل القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك
دين الكتب القيمة فيما يدعوا اليه ويأمر به كما قال وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم
بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال النضر بن شميل سألت الخليل بن احمد عن قوله وذلك
دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقائم واحد ومجاز الاية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد
ثم ذكر مآل الفريقين فقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين

فيها اولئك هم شر البرية قرأ نافع وابن عامر البريئة بالهمز في الحرفين لانه من قولهم
برأ الله الخلق وقرأ الآخرون مشددا بغير الهمز كالذرية ترك همزه في الاستعمال
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه
اي وتناهى عن المعاصي قيل الرضى ينقسم قسمين رضى به ورضى عنه فالرضى به ربا
ومدبرا والرضى عنه فيما يقضي ويقدر قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله
فكيف تسأله الرضى عنك عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان الله
امرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال ابي وسماني قال نعم فبكى قال همام عن
قتادة امرني ان اقرأ عليك القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض حركت حركة شديدة
لقيام الساعة زلزالها تحريكها واخرجت الارض اثقالها موتاها وكنوزها فتلقيها
على ظهرها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي الارض افلاذ
كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت
ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت
يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا وقال الانسان ما لها قيل في الاية تقديم
وتاخير تقديره يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان ما لها اي تخبر الارض
بما عمل عليها عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث
اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان تشهد
على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها ان تقول عمل علي كذا وكذا يوم كذا وكذا
قال فهذه اخبارها بان ربك اوحى لها اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر
بما عمل عليها قال ابن عباس والقرظي اوحى اليها ومجاز الاية يوحي الله
اليها يقال اوحى لها واوحى اليها ووحى لها ووحى اليها واحد يومئذ يصدر الناس
يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض اشتاتا متفرقين فاخذ ذات

الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار كقوله يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون
ليروا اعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم والمعنى انهم يرجعون عن الموقف
فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار فمن يعمل مثقال ذرة وزن نملة صغيرة
اصغر ما تكون من النمل خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس
ليس مومن ولا كافر عمل خيرا وشرا في الدنيا الا اراه الله يوم القيمة فاما
المومن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته
واما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته قال محمد بن كعب في هذه الاية فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله
وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره من المومن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده حتى يخرج
من الدنيا وليس له عند الله شر قال مقاتل نزلت هذه الاية في رجلين
وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان احدهما ياتيه السائل
فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها يقول ما هذا بشي
انما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة
والغيبة والنظرة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكباير وليس
في هذا اثم فانزل الله الاية يرغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك
ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر فالاثم الصغير
في عين صاحبه اعظم من الجبال يوم القيامة وجميع محاسنه اقل من
كل شي قال ابن مسعود احكم اية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها
الجامعة الفاذة حين سئل عن زكوة الحمير فقال ما انزل علي فيها شي
الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة عنبة عنبة

وقالا

وقالا فيها مثاقيل كثيرة وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة
فلما بلغ اخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل
يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا قال
ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبي وقتادة ومقاتل وابو
العالية وغيرهم هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح والضبح صوت اجوافها اذا
عدت قال ابن عباس وليس شي من الحيوانات يضبح غير الفرس والكلب
والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغيرت حالها من تعب او فزع
وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه وقوله ضبحا نصب على
المصدر مجازه والعاديات تضبح ضبحا وقال علي هي الابل في الحج تعدو من
عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وقال كان اول غزوة في الاسلام
بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف
يكون العاديات والى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدي
وقال بعض من قال هي الابل قوله ضبحا يعني ضبعا تمد اعناقها في السير
فالموريات قدحا قال عكرمة وعطاء والضحاك ومقاتل والكلبي هي الخيل
توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة يعني والقادحات قدحا يقدحن
بحوافرهن وقال قتادة هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها
وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل ثم تاوي بالليل
فيورون نارهم ويصنعون طعامهم وقال مجاهد وزيد بن اسلم هي مكر الرجال
يعني رجال الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله
لاقدحن لك ثم لاورين لك وقال محمد بن كعب هي النيران تجتمع فالمغيرات
صبحا هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح هذا قول اكثر المفسرين

عطف على الفعل الذي هو معنى اسم الفاعل باللام بمعنى التي اي فاللاتي اغرن فاثرن فاثرن هيجن به بمكان عدوها نقعا غبارا او صيحة شيخ

وقال القرظي هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يندفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير فاثرن به اي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لان المعنى مفهوم نقعا غبارا والنقع الغبار فوسطن به جمعا اي دخلن به وسط جمع العدو وهم الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم كلها بمعنى واحد قال القرظي يعني جمع منى اقسم الله بهذه الايات ان الانسان لربه لكنود قال ابن عباس ومجاهد وقتادة الكنود الكفور جحود لنعم الله قال الكلبي هو بلسان مضر وربيعة الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصي قال الحسن هو الذي يعد المصايب وينسى النعم وقال عطا هو الذي لا يعطي في النايبة مع قومه قال ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وانه على ذلك لشهيد قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقال ابن كيسان الهاء راجعة الى الانسان اي انه شاهد على نفسه بما يصنع وانه يعني الانسان لحب الخير اي لحب المال لشديد لبخيل اي انه من اجل حب المال لبخيل يقال للبخيل شديد ومتشدد وقيل معناه وانه لحب الخير لقوي اي شديد الحب للخير اي المال افلا يعلم هذا الانسان اذا بعثر واثير واخرج ما في القبور وحصل ما في الصدور اي ميز وابرز ما فيها من الخير والشر ان ربهم جمع الكناية لان الانسان اسم الجنس يومئذ لخبير عالم قال الزجاج الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة من اسماء القيامة لانها تقرع القلوب بالفزع ما القارعة تهويل وتعظيم وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار المبثوث المفرق قال الفراء كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من

الهول كما قال كانهم جراد منتشر وتكون الجبال كالعهن المنفوش كالصوف المندوف فاما من ثقلت موازينه رجحت حسناته فهو في عيشة راضية مرضية في الجنة قال الزجاج ذات رضى يرضيها صاحبها واما من خفت موازينه رجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية مسكنه النار سمي المسكن اما لان الاصل في السكون الى الامهات والهاوية اسم من اسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد فقال هوت امه وقال اراد ام راسه يعني انهم يهوون في النار على رؤسهم والى هذا التاويل ذهب قتادة وابو صالح وما ادريك ماهيه يعني الهاوية ما هي واصل الهاء فيها للوقف ثم فسرها فقال نار حامية اي حارة قد انتهى حرها

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم التكاثر شغلكم المباهات والتفاخر والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه حتى زرتم المقابر حتى متم ودفنتم في المقابر وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال مقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فانزل الله هذه الاية عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلعم وهو يقرأ هذه الاية الهيكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ثم رد الله عليهم فقال كلا ليس الامر

بالتكاثر سوف تعلمون وعيد لهم ثم كرره تاكيدًا فقال ثم كلا سوف تعلمون قال الحسن
ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل
بكم الموت وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون قال المؤمنون
وكان يقرأ الاولى بالتاء والثانية بالياء كلا لو تعلمون علم اليقين لشغلكم ما تعلمون عن
التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت
لترون الجحيم قرأ ابن عامر والكسائي لتُرون بضم التاء من اريته الشيء وقرأ الآخرون
بفتح التاء اي ترونها بابصاركم عن بعيد ثم لترونها مشاهدة عين اليقين ثم لتسألن يومئذ
عن النعيم قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير فيسألون يوم القيامة عن شكر
ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر
هذا قول الحسن وعن ابن مسعود قال لتسألن يومئذ عن النعيم من الامن والصحة
وقال قتادة ان الله يسأل كل ذي نعمة انعم عليه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم
ان اول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم ان يقال له الم نصح جسمك ونروك من
الماء البارد عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة لا يخرج فيها
احد ولا يلقاه فيها احد فاتاه ابو بكر فقال ما جاء بك يا ابا بكر فقال خرجت لالقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظر الى وجهه والتسليم عليه فلم يلبث ان جاء عمر
فقال ما جاء بك يا عمر قال الجوع يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا الى منزل ابي الهيثم بن التيهان الانصاري
وكان رجلا كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لامرأته اين
صاحبك فقالت انطلق يستعذب لنا الماء فلم يلبثوا ان جاء ابو الهيثم بقربة يزعبها
فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفديه بابيه وامه ثم انطلق بهم
الى حديقته فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنو فوضعه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم افلا تنقيت لنا من رطبه فقال يا رسول الله اني اردت
ان تتخيروا من رطبه وبسره فاكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال النبي صلعم

والذي نفسي بيده ان هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد
ورطب طيب وماء بارد فانطلق ابو الهيثم ليصنع لهم طعاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تذبحن ذات در فذبح لهم عناقا او جديا فاتاهم بها فاكلوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هل لك خادم قال لا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اتانا سبي فأتنا فاتي النبي عليه السلام
براسين ليس معهما ثالث فاتاه ابو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهما
فقال يا نبي الله اختر لي فقال النبي عليه السلام ان المستشار مؤتمن خذ
هذا فاني قد رايته يصلي واستوص به معروفا فانطلق ابو الهيثم الى امرأته
فاخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقالت امرأته ما انت ببالغ
ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان تعتقه قال فهو عتيق فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى لم يبعث نبيا ولا خليفة الا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف
وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا ومن يوق بطانة السوء فقد وقي
روي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله
العبيد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وذلك قوله ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا قال عكرمة عن الصحة والفراغ وقال
سعيد بن جبير عن الصحة والفراغ والمال عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة
والفراغ قال محمد بن كعب يعني عما انعم عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابو العالية عن الاسلام والسنن وقال الحسين بن الفضل
تخفيف الشرايع وتيسير القرآن
بسم الله الرحمن الرحيم والعصر قال ابن عباس
والدهر لان الدهر مشتمل على الاعاجيب لانه تحصل فيه السراء والضراء
والصحة والسقم والغنى والفقر قيل اقسم الله تعالى بالعصر كما اقسم
بالضحى لما فيهما جميعا من دلايل القدرة فان كل بكرة كانها القيامة

يخرجون من القبور ويصير الاموات احياء ويقام الموازين ولكل عشية شبه بتخريب الدنيا بالصعق والموت وكل واحد من هاتين الحالتين شاهد عدل ثم اذا لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين عد خاسرا وكذا الانسان الغافل عنهما في خسر قيل انما اقسم بهذا الوقت تنبيها على ان الاسواق قد دنا وقت انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب فيها فاذا لم تكتسب ودخلت الدار وطاف العيال عليك يسالك كل واحد حقه فحينئذ تخجل فتكون من الخاسرين فكذا القول في والعصر اي وعصر الدنيا لقد دنت القيامة وبعد لم تستعد وتعلم انك تسال غدا عن النعيم الذي كنت فيه في دنياك وتسال عن معاملتك مع الخلق وكل احد من المظلومين يدعي ما عليك فاذا انت خاسر ونظيره قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وعن بعض السلف تعلمت معنى السورة من بايع الثلج كان يصيح ويقول ارحموا من يذوب راس ماله فقلت هذا معنى ان الانسان لفي خسر يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فاذن هو خاسر وقيل اقسم به لان فيه عبرة للناظر وقيل معناه ورب العصر وكذلك في امثاله وقال ابن كيسان اراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن العصر بعد زوال الشمس الى غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل اقسم بصلوة العصر وهي الصلوة الوسطى لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تفوته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله رواه البخاري وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلوة العصر حبط عمله رواه البخاري روي ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة فتقول دلوني على النبي صلى الله عليه وسلم فراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها ما حدث قالت يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنا فالقيت الولد في دن الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل من توبة

فان قيل صلوة العصر فعلنا فكيف يجوز ان يقال اقسم الله به والجواب انه ليس قسما من حيث انها فعلنا بل من حيث انها امر شريف تعبدنا الله بها تفسير كبير

وذكر ان ابا بكر لما اسلم قالوا اخسرت يا ابا بكر حين تركت دين آبائك فقال ليس هذا خسارا في قبول الحق وانما الخسار في عبادة الاوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئا

فقال صلى الله عليه وسلم اما الزنا فعليك الرجم واما قتل الولد فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت كبيرا لكني ظننت انك تركت صلوة العصر ففي هذا الحديث اشارة الى تفخيم امر هذه الصلوة لان صلوة العصر بها تختم طاعات النهار فهي كالتوبة بها تختم الاعمال فكما تجب الوصية بالتوبة كذا بصلوة العصر لان الاعمال بخواتيمها وقيل انه اقسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استاجر اجيرا فقال من يعمل لي من الفجر الى الظهر له قيراط الحديث فهذا الخبر دل على ان العصر هو العصر الذي انت فيه فهو تعالى اقسم بزمانه في هذه الآية وبمكانه في قوله تعالى وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف الج له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف ثم وجه القسم كانه يقول انت يا محمد حضرتهم ودعوتهم وهم اعرضوا عنك وما التفتوا اليك فما اعظم خسرانهم وما اجل خذلانهم ان الانسان لفي خسر ذكر المفسرون فيه قولين الاول المراد منه الجنس والثاني ان المراد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل كانوا يقولون ان محمدا لفي خسر فاقسم الله تعالى ان الامر بالضد مما يتوهمون ان حملنا الانسان على الجنس كان معنى الخسر هلاك نفسه وعمره الا المؤمن العامل فانه ما هلك عمره وماله لانه اكتسب بهما سعادة ابدية وان حملنا على الكافر كان المراد كونه في الضلالة والكفر الا هؤلاء فحينئذ يتخلص عن ذلك الخسار الى الربح والتنكير للتهويل والمعنى لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله وتقديره ان الذنوب يعظم اما العظم من جهة الذنب او لانه وقع في مقابلة النعم العظيمة وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظم قوله ان الانسان لفي خسر اي في خسران ونقصان لان الانسان لا ينفك عن خسر لان الخسر هو تضييع راس المال وراس ماله هو عمره وهو قلما ينفك عن تضييع عمره وذلك لان ساعة تمر بالانسان فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسران

وان كانت مشغولة بالمباحات فالخسران ايضا حاصل لانه ذهب لم يبق له
اثر مع انه كان متمكنا من ان يعمل فيه عملا يبقى اثره دايما وان كانت مشغولة
بالطاعات ويمكن الاتيان بها على وجه احسن من ذلك لان مراتب الخضوع
والخشوع لله غير متناهية فان مراتب جلال الله وقهره غير متناهية
وكلما كان علم الانسان بها اكثر كان خوفه منه تعالى اكثر فكان تعظيمه
عند الاتيان بالطاعة اتم واكمل وترك الاعلى والاقتصار بالادنى نوع خسران
فثبت ان الانسان لا ينفك البتة من نوع الخسر ان الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
دلت الاية على ان الانسان في الخسر مطلقا ثم استثنى الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم ليسوا في خسر والمعلق على الشرطين مفقود عند فقدان احدهما فعلمنا
ان من لم يحصل له الايمان والاعمال الصالحة لابد وان يكون في الخسار في الدنيا والاخرة
ولما كان المستجمع لهاتين الخصلتين في غاية القلة وكان الخسار لازما لمن لم يكن
مستجمعا لهما كان الناجي اقل من الهالك ثم لو كان الناجي اكثر كان الخوف عظيما
حتى لا تكون انت من القليل كيف والناجي اقل من الهالك افلا ينبغي ان يكون اشد
وتواصوا اوصى بعضهم بعضا بالحق بالقرآن قال الحسن وقتادة وقال مقاتل
بالايمان والتوحيد وتواصوا بالصبر على اداء الفرايض واقامة امر الله وروى
عن ابراهيم اراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا المؤمنين
فانه يكتب لهم اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملون في شبابهم وصحتهم وهي
مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الويل
لفظ الذم والسخط وهي كلمة كل مكروب يقولون فيدعون بالويل واصله
وي لفلان ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام وروي انها جبل في جهنم قال ابن عباس
هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب ومعناهما

واحد وهو العياب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في
الوجه وقال ابو العالية والحسن على ضده وقال سعيد بن جبير وقتادة الهمزة
الذي ياكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي
[يهمز] الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم قال ابن كيسان الهمزة
الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومي بعينه ويشير برأسه ويرمز
بحاجبه وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس
واصل الهمز الكسر والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم وقرا
همزة ولمزة بسكون الميم وهي المسخرة التي تاتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه
ويشتمه وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين وقيل الهمزة اللمزة الذي
يلقب الناس بما يكرهون انما ذلك من عادة السقاط ويدخل فيه من يحاكي الناس
باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية قال
الكلبي نزلت في اخنس بن شريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم
وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي
وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم
من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال مجاهد هي عامة في حق كل من هذه صفته
ثم وصفه فقال الذي جمع مالا قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي جمع بتشديد
الميم على التكثير وقرا الاخرون بالتخفيف وعدده احصاه وقال مقاتل استعده وذخره
وجعله عتادا له يقال اعددت الشيء وعددته اذا امسكته يحسب ان ماله اخلده
في الدنيا يظن انه لا يموت مع يساره كلا رد عليه اي لا يخلده ماله كلا ردع له عن حسبانه
اي ليس كما يظن ان المال يخلد بل العلم والصلاح ومنه قول علي مات خزان الاموال
وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ومعناه حقا لينبذن اي والله ليطرحن
في الحطمة في جهنم والحطمة من اسماء النار مثل سقر ولظى سميت الحطمة لانها تحطم العظام
وتكسرها قال المفسرون هي الدركة الثانية من درك النار وقال مقاتل تحطم العظام

وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الملك ليأخذ الكافر فيحطمه على صلبه كما يوضع الخشبة على الركبة فيكسر
ثم يرمى به الى النار وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة اي هي نار لا كسائر النيران
الموقدة التي لا تخمد ابدا والموقدة بامره ومنه قول علي عجبا لمن يعصي الله على
طهر الارض والنار تسعر من تحته وفي الحديث اوقد عليها الف سنة حتى احمرت
ثم اوقدت الف سنة حتى ابيضت ثم اوقدت الف سنة حتى اسودت فهي سوداء
مظلمة التي تطلع على الافئدة اي يبلغ وجعها الى القلوب والاطلاع والبلوغ بمعنى
واحد ثم في تفسير الاية وجهان الاول ان النار تدخل في اجوافهم حتى تصل الى
صدورهم وتطلع على افئدتهم ولا شيء الطف من الفؤاد ولا اشد تالما بادنى اذى
يمسه فكيف اذا اطلعت نار جهنم واستولت عليه ثم ان الفؤاد مع استيلاء النار
عليه لا يحترق اذ لو احترقت لمات وهذا هو المراد من قوله لا يموت فيها
ولا يحيى ومعنى الاطلاع هو ان النار ينزل من اللحم الى الفؤاد الثاني ان سبب
تخصيص الافئدة بذلك هو انها مواطن الكفر والعقايد والنيات الفاسدة
واعلم انه روي عنه صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على
افئدتهم انتهت ثم ان الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى انها عليهم مؤصدة
اي مطبقة مغلقة في عمد ممددة العمود كل مستطيل من خشب او حديد
وهو اصل للبناء يقال عمود البيت الذي يقوم به البيت وفي تفسير الاية وجهان
الاول انها عمد اغلقت بها تلك الابواب وفي بمعنى البا انها عليهم موصدة بعمد
مدت الثاني ان يكون المعنى انها عليهم مؤصدة حال كونهم موثقين في عمد ممدودة
وقال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي اعناقهم السلاسل
سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار
وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار انها مطبقة عليها باوتاد
ممددة وهي في قراءة عبد الله بعمد بالبا فقال مقاتل اطبقت الابواب عليهم

ثم شدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عنهم باب
ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من
القصيرة اللهم اجرنا من النار

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل وكان قصة اصحاب الفيل ما ذكره محمد بن اسحق عن بعض اهل
العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي
ملك الحبشة كان قد بعث ارباط الى ارض اليمن فغلب عليها فقام رجل من
الحبشة يقال له ابرهة الصباح ابو يكسوم فساخطه في امر الحبشة حتى انصدعوا
صدعين فكانت طائفة مع ارباط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباط
واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة
راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فبنى كنيسة بصنعاء
وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست
منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها
ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترى على فقيل صنع
ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن
الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وساله ان يبعث اليه بفيله
وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه
فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه الفيل فسمعت العرب بذلك فاعظموه
وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر عن الطاعة من
قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال ايها الملك لا تقتلني فان استبقائي
خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى دنا من
بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع من قبائل اليمن فقاتلوه
فهزمهم واخذ نفيل فقال نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي

بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود
بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف
انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا ابا رغال مولى
لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة
من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله
وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد
المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى اهل مكة فقال سل عن شريفها
ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت
فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني
اليك لاخبرك انه لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف
عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا به يد انا سنخلي بينه وبين
ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان
يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة
قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها
وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب
فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غنا فيما نزل فقال ما غنى رجل اسير
لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث لك الى انيس سايس الفيل فانه
لي صديق فاساله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك
ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش
وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد
اصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق
لي واحب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا
سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس

الجبال يستاذن عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا
مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه
واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس
عليه ثم دعاه واجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان
ذلك فقال عبد المطلب حاجتي الى الملك ان يرد الي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه
قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك وقد زهدت فيك قال لم قال جئت الى بيت هو
دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي
بعير اصبتها قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه
قال ما كان ليمنعه مني قال انت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل
على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب
ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد
المطلب الكعبة واخذ بحلقة الباب وجعل يقول يا رب لا ارجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا وقال ايضا امنعهم ان يخربوا قراكا
لاهم ان العبد يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض
تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس قد تهيا للدخول وعبا جيشه
وهيا فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت معه اثنا عشر
فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا
من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول
في راسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى
فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك
ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج

نفيل يشتد حتي صعد في الجبل وارسل الله طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل
طاير منها ثلثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس
فلما غشين القوم ارسلوها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل
القوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الي الطريق الذي منه جاوا ويتساءلون
عن نفيل بن حبيب ليدلهم علي الطريق الي اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك
الجبال وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون علي
كل منهل وبعث الله الي ابرهة داء في جسده فجعل يتساقط انامله كلما سقطت
انملة اتبعتها مدة من قيح ودم فانتهي الي صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي
من اصحابه وما مات حتي انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي واما
محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع علي الحرم فنجا والفيل الاخر شجع فحصب
وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش
خرجوا تجارا الي ارض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة النصاري
تسميها قريش الهيكل فاججوا نارا فاشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي
في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الي
النجاشي فاسف غيظا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه انه كان
بمكة يومئذ ابو مسعود الثقفي فكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتو
بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال
له عبد المطلب ماذا عندك هذا يوم لا يستغني فيه عن رايك فقال ابو مسعود
اصعد بنا الي حرا فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الي
مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا ثم ابثها في الحرم لعل بعض هذه
السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد
المطلب فعمد القوم الي تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب
يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا
البيت

واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلثة ايام فلما راي تبع ذلك كساه القباطي
البيض وعظمه ونحر له جزورا قال ابو مسعود فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب
فقال اري طيرا بيضا نشات من شاطي البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها
قال اراها قد دارت علي رؤسنا قال هل تعرفها قال لا والله ما اعرفها ما هي
بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية قال ما قدها قال اشباه اليعاسيب
في مناقيرها حصي كانها الخذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا امام كل
رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتي اذا
حاذت بعسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها اهالت الطير
ما في مناقيرها علي من تحتها مكتوب في كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت
راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يونسا
احدا ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامدين فاصبحوا نياما
فلما دنوا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر علي بيضة احدهم
فيخرقها حتي يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض
من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فؤسهم فحفر حتي اعمق في
الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه فملاه ثم قال لابي مسعود
هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال
ابو مسعود اختر لي علي نفسك فقال عبد المطلب اني لم ال ان اجعل اجود المتاع
في حفرتي فهو لك فجلس كل واحد منهما علي حفرته ونادي عبد المطلب في الناس
فتراجعوا واصابوا من فضلهما حتي ضاقوا به ذرعا وساد عبد المطلب بذلك
قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهلهما في غني من
ذلك المال ودفع الله عن كعبته واختلفوا في تاريخ عام الفيل قال مقاتل كان
قبل مولد النبي عليه السلام باربعين سنة وقال الكلبي ثلث وعشرين سنة
والاكثرون علي انه في العام الذي ولد فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم الم تر كيف فعل

وقيل ولد النبي بعد يوم الفيل بخمسين يوما

ربك باصحاب الفيل قال مقاتل كان معهم فيل واحد وقال الضحاك كانت الفيلة ثمانية
وقيل اثني عشر سوي الفيل الاعظم وانما وحد لانه نسبهم الي الفيل الاعظم الم يجعل
كيدهم مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة اعلم ان الكيد هو ارادة مضرة بالغير علي الخفية
في تضليل اي في تضييع عما ارادوا واضل كيدهم حتي لم يصلوا الي البيت والي ما ارادوه
بكيدهم فضلا بارسال الطير عليهم وارسل عليهم طيرا ابابيل كثيرة متفرقة يتبع
بعضها بعضا قال ابو عبيدة ابابيل جماعة في تفرقة يقال جاءت الخيل
ابابيل من هاهنا وههنا قال ابن عباس كان طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير
واكف كاكف الكلاب وعنه كان طيرا اسود ولعل السبب انها ارسلت الي قوم
كان في صورتهم سواد اللون وفي سيرتهم سواد الكفر والمعصية وقال
عكرمة لها رؤوس كرؤوس السباع قال الربيع لها انياب كانياب السباع
وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال قتادة طير سود جاءت
من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلثة احجار حجران في رجليه وحجر
في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه ترميهم بحجارة من سجيل قال ابن
مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة
فزادتها شدة فما وقع منها حجر علي رجل الا خرج من الجانب الاخر وان وقع
علي راسه خرج من دبره فجعلهم كعصف ماكول كزرع وتبن اكلته الدواب
فراثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث
وقال مجاهد العصف ورق الحنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة
كالحب اذا اكل فصار اجوف قال ابن عباس هو القشر الخارج الذي
يكون علي حب الحنطة كهيئة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش قال المفسرون
اللام في لايلاف تتعلق بالسورة التي قبلها ففيه احتمالات الاول ان التقدير فجعلهم
كعصف ماكول لالف قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل لتبقي قريش وما قد الفوا
من رحلة الشتاء والصيف الاحتمال الثاني ان يكون التقدير الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل لايلاف قريش لانه تعالي قال كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه لايلاف قريش فانه
جعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل حتي صاروا كعصف ماكول فكل ذلك
انما كان لاجل ايلاف قريش وذلك ان الله عز وجل ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما
صنع بالحبشة وقال لايلاف قريش قال مجاهد الفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء
والصيف والعامة علي انهما سورتان روي ان ابي بن كعب جعلهما في مصحفه
سورة واحدة وروي ان عمر قرا في صلوة المغرب في الركعة الاولي والتين
وفي الركعة الثانية الم تر ولايلاف قريش معا من غير فصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف قال الزجاج قال قوم هذه اللام لام
التعجب كان المعني اعجبوا لايلاف قريش وذلك لانهم كل يوم يزدادون غيا وجهلا
وانغماسا في عبادة الاوثان والله تعالي يؤلف شملهم ويدفع الافات عنهم وينظم
اسباب معاشهم وذلك لا شك انه في غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه ونظيره
في اللغة قولك لزيد وما صنعنا به ولزيد واكرامنا اياه علي وجه التعجب
اي اعجبوا لذلك وهذا اختيار الكسائي والاخفش والفراء والعرب اذا
جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا علي التعجب من اظهار الفعل منه وقال
الزجاج هي مردودة الي ما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم
رحلة الشتاء والصيف وقال ابو عبيدة لنعمتي علي قريش وقريش هم ولد النضر بن
كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي عن
واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله اصطفي كنانة
من ولد اسمعيل واصطفي من بني كنانة قريشا واصطفي من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو
التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش اي يكتسب وهم كانوا
تجارا حراصا علي جمع المال والافضال وقال ابو ريحانة سال معاوية عبد الله

بن عباس لم سميت قريش قريشًا قال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه
يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته ولا تؤكل وتعلو
ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم فانشده شعر
الجمحي ٭ وقريش هي التي تسكن البحر ٭ بها سميت قريش قريشا ٭
وسلطت بالعلو في لجة البحر ٭ على سائر البحور جيوشا ٭ تاكل الغث والسمين ولا
تترك فيه لذي الجناحين ريشا ٭ هكذا في البلاد حي قريش ٭ ياكلون البلاد اكلا كميشا ٭
ولهم اخر الزمان نبي ٭ يكثر القتل فيهم والخموشا ٭ ايلافهم بدل من الايلاف
الاول رحلة الشتاء والصيف ورحلة نصبت على المصدر اي ارتحالهم رحلة
الشتاء والصيف وروى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا
يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله ان يقيموا بالحرم ويعبدوا
رب البيت وقال الاخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة احديهما
في الشتاء الى اليمن لانها ادفى والاخرى في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا
جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان
لا يتعرض لهم احد بسوء كانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته
فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على
التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من
بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل في البحر على السفن واهل
البر على الابل والحمير فالقى اهل الساحل بجدة واهل البر بالمحصب واخصبت
الشام فحملوا الطعام الى مكة فالقوا بالابطح فامتاروا من قريب وكفاهم الله
مؤنة الرحلتين وامرهم بعبادة رب البيت وقال فليعبدوا رب هذا البيت
اي الكعبة الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع وحمل الميرة الى مكة وامنهم من
خوف بالحرم وكونهم من اهله حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم وقال عطاء عن
ابن عباس انهم كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين وكانوا يقسمون
بينهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الضحاك والربيع وسفيان
وامنهم من خوف من خوف الجذام فلا يصيبهم بلاء الجذام والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين معناه
هل عرفت الذي يكذب بالجزاء والحساب من هو فان لم تعرفه فهو الذي يدع
اليتيم قيل انه خطاب للرسول وقيل بل خطاب لكل عاقل ارايت يا عاقل
هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله قال مقاتل نزلت في العاص بن
وايل السهمي وقال السدي ومقاتل بن حيان وابن كيسان في الوليد بن المغيرة
وقال الضحاك في عمرو بن عايذ المخزومي وقال عطاء عن ابن عباس في رجل
من المنافقين وقيل انه عام لكل من كان مكذبا بيوم الدين وقال الكثر
المفسرين لان المراد ارايت الذي يكذب بالحساب والجزاء قالوا وحمله على
هذا الوجه اولى لان من ينكر الاسلام قد ياتي بالافعال الجميلة ويحترز عن
مقابحها اذا كان يؤمن بالقيامة والبعث اما المقدم على كل قبيح من
غير مبالاة فليس هو الا المنكر للبعث والقيامة فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه عن
حقه والدع الدفع بالعنف والجفوة ولا يحض على طعام المسكين لا يطعمه ولا يامر
باطعامه لانه يكذب بالجزاء فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون عن
مصعب بن سعيد عن ابيه انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم
عن صلوتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون
الصلوة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا لقوله الذين هم يراؤن
وقال في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس
وقال قتادة ساه عنها لا يبالي صلى او لم يصل وقيل لا يرون لها ثوابا ان صلوا
ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقال مجاهد غافلون عنها يتهاونون بها
وقال الحسن هو الذي ان صلوا صليها رياء وان فاتته لم يندم وقال ابو العالية
لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها ويمنعون الماعون روي عن علي

ومن ذلك ان يلتمس جارك ان يخبز في تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم واصحاب هذا القول قالوا الماعون فاعول من المعن وهو الشي القليل ومنه ماله سعنة ولا معنة اي كثير وقليل

والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان الماعون اسم لما لا يمنع في العادة ويسأله الفقير والغني وينسب مانعه الى سوء الخلق ولوم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال

انه قال هي الزكوة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وقال عبد الله بن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قال قطرب اصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعنة ولا معنة اي شي قليل فسمي الزكوة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال الحسن هو القرآن العظيم وقال عكرمة النبوة والكتاب وقال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل فوعل من النفل والعرب تسمي كل شي كثير في العدد او كثير في القدر والخطر كوثرا والمعروف انه نهر في الجنة اعطاه الله رسوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر يجري بياضه بياض اللبن واحلى من العسل وحافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي فاذا الثرى مسك اذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذي اعطاكه الله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك واشد بياضا من الثلج عن ابن ابي مليكة قال عبد الله بن عمر قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها لا يظماء ابدا عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عقر حوضي اذود الناس عنه لاهل اليمن اي اضربهم بعصاي حتى يرفض عنهم وانه ليغت ميزابان احدهما من ورق والاخر من ذهب طوله ما بين بصرى وصنعاء او ما بين ايلة ومكة او من مقامي هذا الى عمان قوله تعالى فصل لربك وانحر قال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلوة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلوة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وروي عن ابي الجوزاء عن ابن عباس فصل لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال في الصلوة عند النحر ان شانئك عدوك ومبغضك هو الابتر الاقل الاذل المنقطع نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وذكر محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان قال كان العاص بن وائل اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله هذه السورة وقال عكرمة عن ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه قال بل انتم خير منه فنزلت الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الاية ونزل في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اي المنقطع من كل خير

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة

نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وايل والوليد
بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن اسد وامية بن خلف
قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة
ونعبد الهك سنة فان كان الذي جيت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا
منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك
منه فقال معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك
ونعبد الهك فقال حتى انظر ما ياتي من عند ربي فانزل الله عز وجل قل يا ايها
الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام
وفيه الملا من قريش فقام على روسهم فقراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا
منه عند ذلك واذوه واصحابه ومعنى الاية لا اعبد ما تعبدون في الحال ولا انتم
عابدون ما اعبد في الحال ولا انا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا انتم عابدون ما اعبد
في الاستقبال وهذا خطاب لمن سبق من علم الله انهم لا يومنون وقوله ما اعبد
اي من اعبد لكنه ذكره بمقابلة ما تعبدون ووجه التكرار قال اكثر اهل المعاني
هو ان القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار
ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز
قال القتيبي تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا ان سرك ان ندخل
في دينك عاما فادخل ديننا عاما فنزلت هذه السورة لكم دينكم ولي دين الاسلام
قرا ابن كثير ونافع وحفص ولي بفتح اليا والاخرون باسكانها

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح اراد
فتح مكة وكانت قصته على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب الاخبار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية واصطلحوا على وضع الحرب
بين الناس عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من

احب

احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب
ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش
ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني
بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل
بن معاوية الديلي في بني من بني بكر حتى بيت خزاعة وليس كل بكر تابعه فاصابوا
منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش
من قاتل مستخفيا بالليل حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من
قريش على خزاعة ليلتيذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل
وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا دخلنا الحرم الهك
الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله لي اليوم اصيبوا ثاركم فيه فلما تظاهرت قريش
على خزاعة واصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العهد بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف
وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال لاهم اني ناشد محمدا ... ...
حلف ابينا وابيه الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك الموكدا
الابيات كما ذكرنا في سورة التوبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت
يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السما فقال ان هذه السحابة
لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من
خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة
قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للناس كانكم بابي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة ومضى بديل
بن ورقاء فلقي ابا سفيان بعسفان حين بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليشدد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديلا قال

من اين اقبلت يا بديل وظن انه قد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في
خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال اوما اتيت محمدا قال لا فلما راح
بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها ناقته النوى فعمد
الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففتته فراى فيه النوى فقال احلف بالله لقد
جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما ادري ارغبت بي عن هذا الفراش او رغبت به عني
قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس فلم احب
ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله لقد اصابك يا بنية
بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب
الى ابي بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن
الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد
الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله
وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس القوم بي رحما واقربهم
مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا ارجعن كما جئت خايبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان
نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة فقال يا ابنة محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين
الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر فقالت والله ما بلغ بني ان يجير بين الناس
وما يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد
اشتدت علي فانصحني فقال والله ما اعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر
بين الناس ثم الحق بارضك قال او ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما اظن ولكن
لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين
الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما ان قدم على قريش قالوا ما وراك قال جئت محمدا فكلمته

فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت الى ابن الخطاب
فوجدته اعدى القوم ثم اتيت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم قد اشار
علي بشيء صنعته فوالله ما ادري هل يغنيني شيئا ام لا قالوا وماذا امرك قال
امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا والله
ان زاد علي ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر
على ابنته عايشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية
امركن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه
يريد قالت ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه ساير الى
مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها
في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش كما جاء في
الحديث وذكر ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف اتت
المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم
الاصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة
فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب
مكة وكانت مغنية نايحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة
حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة
دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من
حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا وعمارا
وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال لهم انطلقوا حتى

فامر النبي صلى الله عليه وسلم

عنكم

تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الي المشركين
فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها قال فخرجوا حتي ادركوها
في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت
بالله ما معها من كتاب فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا
بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا
لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها قد خبأته في
شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولما معها فرجعوا بالكتاب الي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلي الله عليه وسلم الي حاطب فاتاه
فقال هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك علي ما صنعت فقال والله ما كفرت
منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن
احد من المهاجرين الاوله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي
بين ظهرانيهم فخشيت علي اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله
ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلي الله عليه وسلم
وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع علي اهل بدر
فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وانزل الله عز وجل في شان حاطب يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية ثم استخلف رسول الله صلي الله عليه وسلم
علي المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري وخرج عامدا الي مكة لعشر
مضين من رمضان سنة ثمان فصام رسول الله صلي الله عليه وسلم وصام الناس
معه حتي اذا كان بالكديد ما بين عسفان وامج افطر ثم مضي حتي نزل مر الظهران
في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد فلما
نزل الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا ياتيهم خبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
لا يدرون ما هو فاعل فخرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل

ورقاء يتجسسون الاخبار هل يجدون خبرا وقد قال العباس بن عبد المطلب
ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخلها عنوة انها لهلاك قريش الي اخر
الدهر فخرج عباس علي بغلة رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال اخرج الي الاراك
لعلي اري حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلعم
فياتونه فيستامنونه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس فخرجت واني والله
لاطوف في الاراك التمس ما خرجت له اذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن
حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فسمعت ابا سفيان يقول
والله ما رايت كالليلة قط نيرانا فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها
الحرب فقال ابو سفيان خزاعة الام من ذلك واذل فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة
فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت ويحك
يا ابا سفيان هذا والله رسول الله صلي الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة
الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب
عجز هذه البغلة حتي اتي بك رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستامنه فردفني ورجع
صاحباه فخرجت اركض به بغلة رسول الله صلي الله عليه وسلم كلما مررت بنار من
نيران المسلمين فنظروا الي فقالوا هذا عم رسول الله صلي الله عليه وسلم علي بغلة
رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام
الي فلما راي ابا سفيان علي عجز الدابة فقال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي
امكن بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله صلي الله عليه وسلم وركضت
البغلة وسبقته بما تسبق به الدابة البطية الرجل البطي فاقتحمت عن البغلة
فدخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا
ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني اضرب عنقه
فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاخذت براسه وقلت والله لا يناجيه اليوم احد دوني فلما اكثر فيه عمر

قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان
من بني عدي بن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم
اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم وذلك لاني اعلم ان اسلامك كان
احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذهب به يا عباس الي رحلك فاذا اصبحت فأتني به قال فذهبت به الي رحلي
فبات عندي فلما اصبحت غدوت به الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه
قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بابي انت وامي ما احلمك
واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان معه اله غيره لقد اغنى شيئا بعد قال ويحك
يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بابي انت وامي ما احلمك
واكرمك واوصلك اما هذه فان في النفس منها شيئا حتى الان قال العباس قلت له ويحك
اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك قال فشهد
شهادة الحق واسلم قال العباس قلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر
فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن
ومن دخل المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال فخرجت
به حتى حبسته حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومرت به القبايل على
راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هولاء يا عباس قال اقول سليم قال يقول ما لي ولسليم
ثم تمر به القبيلة فيقول من هولاء فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفدت القبايل
لا تمر قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته يقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخضراء كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق
من الحديد قال سبحان الله من هولاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهولاء من قبل ولا طاقة قال والله يا ابا الفضل لقد اصبح
ملك ابن اخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الان لقومك

فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش
هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو
امن قالوا ويحك وما يغني عنا دارك (اي اي شي نفعل ادا) ومن دخل المسجد فهو امن ومن اغلق
بابه فهو امن فتفرق الناس الي دورهم والي المسجد الحرام قال وجاء حكيم بن
حزام وبديل بن ورقاء الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر فاسلما وبايعاه فلما
بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الي قريش يدعوانهم الي الاسلام (بطن مر موضع من مكة على رحلة)
ولما خرج بديل وحكيم بن حزام من عند النبي صلى الله عليه وسلم عامدين الي مكة
بعث في اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره
ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي
حتى اتيك ومن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضربت هناك قبته
وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل من اسفل مكة
وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش
امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل
وسهل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما (اي بالحلة) وامر سعد بن عبادة ان يدخل مكة
في بعض الناس من كدي فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل
الحرمة (اسم جبل قريب من مكة) فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة
وما نامن ان يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي
طالب ادركه فخذ الراية وكن انت الذي تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير
قتال فاما خالد بن الوليد فقدم قريشا وبني بكر والاحابيش باسفل مكة
فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين قريب من
اثني عشر او ثلاثة عشر ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة
بن الميلا من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا

في خيل خالد بن الوليد فشذّا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أُمرائه من المسلمين حين امرهم ان
يدخلوا مكّة ان لا يقاتلوا احدا الا من قاتلهم الا في نفر سمّاهم امر بقتلهم وان
وُجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سَرْح وانّما امر
بقتله لانه كان قد اسلم وارتدّ مُشركًا ففرّ الى عثمان وكان اخاه من الرّضاعة
فغيّبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدا طمأنّ اهل مكّة فاستأمن
له وعبد الله بن خَطَل رجل من بني تيم بن غالب وانّما امر بقتله لانه كان
مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسًا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ
(حاشية: بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما صح)
ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتدّ مشركا وكانت له قينتان تُغنّيان في
بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بقتلهما معه والحويرث بن نُقيد بن
وهب كان ممّن يؤذيه بمكّة ومِقْيَس بن صبابة وانّما امر بقتله لقتله الانصاري
الذي قتل اخاه ورجوعه الى قريش مرتدًّا وسارة مولاةٌ كانت لبعض بني
المطّلب كانت ممّن تؤذيه بمكّة وعكرمة بن ابي جهل فامّا عكرمة فهرب الى
اليمن واسلمت امرأته ام حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله
فأمّنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وامّا
عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حُريث المخزومي وابو بَرْزة الاسلمي اشتركا
في دمه وامّا مقيس بن صبابة فقتله نُميلة بن عبد الله رجل من قومه وامّا
وامّا قينتا ابن خطل فقُتلت احديهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله
فأمّنها وامّا سارة فتغيّبت حتى استؤمن لها فأمّنها فعاشت حتى اوطأها رجل
من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطّاب بالابطح فقتلها وامّا الحويرث بن
نُقيد فقتله علي بن ابي طالب فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة وقف قائما
على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده صدق وعدَه ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده ان كلّ مأثرة او دم او مال يُدّعي فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت
ابن الخام

وسقاية الحاجّ يا معشر قريش انّ الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهليّة
وتعظّمها بالآباء الناسُ من آدم وآدمُ من تراب ثم تلا يا أيّها النّاسُ
انّا خلقناكم من ذكر وانثى الآية يا اهل مكّة ما ذا ترون انّي فاعلٌ
بكم قالوا خيرًا اخٌ كريمٌ قال اذهبوا فانتم طلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان الله امكنه من رقابهم عنوةً فبذلك يسمّى اهل مكّة الطّلقاء ثم اجتمع
النّاس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصّفا وعمر بن
الخطّاب اسفل منه يأخذ على النّاس فبايعوه على السّمع والطّاعة فيما استطاعوا
فلمّا فرغ من بيعة الرّجال بايع النّساء قال عروة بن الزّبير خرج صفوان
بن اميّة يريد جُدّة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا نبيّ الله
انّ صفوان بن أُميّة سيّد قومي وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه
في البحر فأمّنه صلى الله عليك قال هو آمن قال يا رسول الله اعطني شيئا
يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي
دخل فيها مكّة فخرج بها عمير حتى ادركه بجُدّة وهو يريد ان يركب البحر
فقال يا صفوان فداك ابي وامّي اذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا
امان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويحك اعزب عنّي
فلا تكلّمني قال اي صفوان فداك ابي وامّي افضل النّاس وابرّ النّاس
واحلم النّاس وخير النّاس ابن عمّك عزّه عزّك وشرفه شرفك وملكه
ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم قال
فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان
انّ هذا يزعم انّك آمنتني قال صدق قال فاجعلني في امري بالخيار
شهرين قال انت فيه بالخيار اربعة اشهر قال محمد بن اسحق وكان
جميع من شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكّة لعشر
ليالٍ بقين من رمضان سنة ثمانٍ واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلوة ثم خرج الي هوازن وثقيف
وقد ذكرنا حديثا عن ابي هريرة انه قال عام فتح مكة قتلت خزاعة
رجلا من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
الا وانها لا تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانها احلت لي ساعة
من نهار الا وانها ساعتي هذه حرام لا يختلي شوكها ولا يعضد شجرها
ولا يلتقط ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين
اما يودي واما ان يقاد فقام رجل من اهل اليمن يقال له ابو شاة
فقال اكتب لي يا رسول الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اكتبوا
لابي شاة ثم قام رجل من قريش فقال يا رسول الله الا الاذخر فانما
نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الا الاذخر
عن ابي مرة مولي ام هاني ابنة ابي طالب اخبره انه سمع ام هاني بنت
ابي طالب تقول ذهبت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته
يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فقالت فسلمت فقال من هذه
فقلت انا ام هاني بنت ابي طالب فقال مرحبا بام هاني فلما فرغ من
غسله قام فصلي ثمان ركعات ملتحفا في ثوب واحد ثم انصرف
فقلت يا رسول الله زعم ابن امي علي بن ابي طالب انه قاتل رجلا
اجرته فلان ابن هبيرة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم قد اجرنا
من اجرت يا ام هاني وذلك ضحي اذا جاء نصر الله اذا جاءك نصر الله
يا محمد علي من عاداك وهم قريش والفتح فتح مكة ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا ارسالا والقبيلة باسرها والقوم
باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل مكة علي رسوله قالت العرب بعضها
لبعض اذا ظفر محمد باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل فليس

لكم به يدان وكانوا يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا
واحدا واثنين واثنين وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن
عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن
اضعف قلوبا وارق افيدة الايمان يمان والحكمة يمانية فسبح بحمد
ربك واستغفره انه كان توابا فانك حينئذ لاحق به عن ابن عباس
قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتي
معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني
معهم قال وما رايته دعاني يومئذ الا ليريهم مني فقال ما تقولون اذا جاء
نصر الله والفتح حتي ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره
اذا جاء نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندري ولم يقل بعضهم شيئا قال
لي يا ابن عباس اكذلك تقول قلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول
الله اعلمه الله له اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة فذلك علامة اجلك فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم عن
عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكثر ان يقول
في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
يتاول القران عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قالت
فقلت يا رسول الله اراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله
واتوب اليه فقال اخبرني ربي اني سارى علامة في امتي فاذا رايتها
اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن
عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلي الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه

قال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامره بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة
في العمل الصالح قال قتادة وقتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد
فعاش بعد هذه السورة سنتين
نزول هذه السورة بسنتين

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب عن ابن عباس
قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه قال فاجتمعت
اليه قريش فقالوا له مالك قال ارايتم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما
كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبا لك الهذا دعوتنا جميعا فانزل الله عز وجل تبت يدا ابي لهب وتب
الى اخرها وفي رواية قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكتم امره في اول المبعث ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا ونادى يا ال غالب
فخرجت اليه ال غالب من المسجد فقال ابو لهب هذه غالب قد اتتك فما عندك
ثم نادى يا ال لوي فرجع من لم يكن من لوي فقال ابو لهب هذه لوي قد اتتك
فما عندك ثم قال يا ال كلاب ثم قال بعده يا ال قصي فقال ابو لهب هذه قصي قد
اتتك فما عندك فقال ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون
اني لا املك لكم من الله حظا ولا من الاخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد
بها لكم عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت السورة
وقيل جمع اعمامه وقدم اليهم طعاما في صحفة فاستحقروه وقالوا ان
احدنا ياكل الشاة فقال كلوا فاكلوا حتى شبعوا ولم ينتقص من الطعام الا
اليسير قال ابو لهب وما لي ان اسلمت فقال ما للمسلمين فقال افلا افضل
عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وبما ذا تفضل فقال تبا لهذا الدين يستوي
فيه انا وغيري ونزلت هذه السورة وقيل اذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم
وفد وقد سالوا عمه عنه وقالوا انت اعلم به فيقول لهم انه ساحر فيرجعون عنه

ولا يلقونه فاتاه وفد فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه فقال انا لم نزل
نعالجه من الجنون فتبا له وتعسا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فحزن
ونزلت السورة قوله تبت اي خابت وخسرت يدا ابي لهب اي هو
اخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن
كله وقيل اليد صلة كما يقال يد الدهر ويد الرزايا او البلايا وقيل المراد ماله
وملكه يقال فلان قليل ذات اليد يعنون المال والتباب الخسار والهلاك وابو
لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى قال
كني بابي لهب لحسنه واشراق وجهه قرا ابن كثير ابي لهب ساكنة الهاء وهي لغة
مثل نهر ونهر واتفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل وتب
ابو لهب وقرا عبد الله وقد تب قال الفراء الاول دعاء والثاني خبر كما يقال
اهلكه الله وقد فعل ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن مسعود لما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقاربه الى الله قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني
افتدي نفسي بمالي فانزل الله تعالى ما اغنى اي يغني وقيل اي شيء يغني عنه
ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال وكان صاحب مواشي وما كسب
قيل يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث اطيب ما ياكل احدكم
من كسبه وان ولده من كسبه ثم اوعده بالنار فقال سيصلى نارا ذات لهب
اي نارا تلتهب عليه وامراته ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان
حمالة الحطب قال ابن زيد والضحاك كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه
في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ليعقرهم وهي رواية عطية
عن ابن عباس وقال قتادة ومجاهد والسدي كانت تمشي بالنميمة وتنقل
الحديث فتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال
فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقال سعيد بن جبير حمالة الحطب
يعني الخطايا دليله قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم قرا عاصم حمالة بالنصب

علي الذم كقوله ملعونين و قرأ الاخرون بالرفع وله وجهان احدهما سيصلى
نارا هو وامراته حمالة الحطب والثاني وامراته حمالة الحطب في النار
ايضا في جيدها في عنقها وجمعه اجياد حبل من مسد واختلفوا فيه قال
ابن عباس وعروة بن الزبير سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا
تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويكون سايرها في عنقها واصله من
المسد وهو الفتل والمسد ما فتل واحكم من اي شي كان يعني السلسلة التي
في عنقها فتلت من الحديد فتلا محكما وروي الاعمش عن مجاهد من مسد
اي من حديد والمسد الحديدة التي تكون في البكرة يقال لها المحور
وقال الشعبي ومقاتل من ليف وقال الضحاك وغيره في الدنيا من ليف وفي
الاخرة من نار وذلك الليف الحبل الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات
يوم حاملة حزمة فاعيت فقعدت على حجر تستريح فاتاها ملك فجذبها
من خلفها فاهلكها قال ابن زيد حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد
وقال قتادة قلادة من ودع وقال الحسن كانت خرزات في عنقها وقال
سعيد بن المسيب كانت لها قلادة في عنقها فاخرة فقالت لانفقنها في
عداوة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد وفي سبب
نزولها وجوه الاول انها نزلت بسبب سؤال المشركين قال الضحاك
ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا شققت
عصانا وسببت الهتنا وخالفت دين ابايك فان كنت فقيرا اغنيناك وان
كنت مجنونا داويناك وان هويت امراة زوجناكها فقال صلى الله عليه وسلم
لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امراة انا رسول الله ادعوكم من عبادة
الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية قالوا قل له بين لنا جنس معبودك امن
ذهب او فضة فانزل الله السورة فقالوا ثلثمائة وستون صنما لا يقومون بحوائجنا
لنا

فكيف يقوم الواحد لحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم
لواحد فارسلوه اخرى وقالوا بين لنا افعاله فنزل ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض الثاني انها نزلت بسبب سؤال اليهود روى عكرمة
عن ابن عباس ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم كعب بن
الاشرف فقالوا يا محمد هذا الله الذي خلق الخلق فمن خلق الله فغضب نبي الله
فنزل جبريل فسكنه وقال اخفض جناحك يا محمد فنزل قل هو الله
احد فلما تلا عليهم قالوا صف لنا ربك كيف عضده وكيف ذراعه فغضب اشد
من الغضب الاول فاتاه جبريل بقوله وما قدروا الله حق قدره وعن
ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك امن زبرجد او ياقوت او ذهب
فقال ان ربي ليس من شي لانه خالق الاشياء فنزل قل هو الله احد فقالوا هو
واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شي فقالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد
فقالوا وما الصمد فقال الذي يصمد اليه الخلق في حوائجهم فقالوا زدنا فنزل
لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا احد وروى ابو
ظبيان وابو صالح عن ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله قال
صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه
السورة فاهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون ذكرناه في سورة الرعد
وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا من
اي شي هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث ومن يرث منه فانزل الله
هذه السورة قل هو الله احد اي واحد ولا فرق بين الاحد والواحد يدل عليه
قراءة عبد الله بن مسعود قل هو الواحد الله الصمد قال ابن عباس ومجاهد
والحسن وسعيد بن جبير الصمد الذي لا جوف له قال الشعبي الذي لا ياكل ولا يشرب

عن ابي بن كعب قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه من يولد سيموت ومن يرث يورث
منه عن ابن عباس قال هو السيد الذي قد كمل في جميع انواع السؤدد وعن سعيد بن
جبير ايضا وهو الكامل في جميع صفاته واعماله وقيل هو السيد المقصود في الحوائج
وقال السيد هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب وقال
قتادة الصمد الباقي بعد فناء خلقه وقال عكرمة الصمد الذي ليس فوقه احد
وقال الربيع لا يعتريه الآفات قال مقاتل قال مشركو العرب الملائكة بنات
الله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله فاكذبهم الله عز وجل
ونفى عن ذاته الولادة والمثل روي ابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة قل هو الله احد فكانما قرا ثلث القرآن واعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من اشرك بالله وامن بالله وقال صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد
مرة واحدة اعطي من الاجر مثل اجر من امن بالله وملايكته وكتبه ورسوله واعطي من
الاجر مثل مائة شهيد وروي انس قال كنا بتبوك فطلعت الشمس مالها شعاع
وضياء ما رايناها على تلك الحالة قبل ذلك فتعجب كلنا فنزل جبريل وقال ان الله تعالى
امر ان ينزل من الملائكة سبعون الف ملك فيصلون على معوية بن معوية فهل لك ان
تصلي عليه ثم ضرب بجناحه الارض فازال الجبال فصار الرسول صلى الله عليه وسلم كانه
مشرف عليه اذ دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسالك يا الله يا احد يا صمد يا من
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد عفوك عفوك ثلث مرات وعن سهل بن سعد
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان
كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرا قل هو الله احد مرة واحدة
ففعل الرجل فادر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وعن انس ان رجلا كان
يقرا في جميع صلوته قل هو الله احد فساله الرسول عن ذلك فقال يا رسول الله
اني احبها فقال حبك اياها يدخلك الجنة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي

يقول لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله
اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد عن ابي سعيد الخدري
ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
انها لتعدل ثلث القرآن عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا ثلث
القرآن في ليلة قالوا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال اقرؤا قل هو الله احد عن عبيد بن حنين مولى
زيد بن الخطاب انه قال سمعت ابا هريرة يقول اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبت فسالته ماذا يا رسول الله فقال الجنة فقال ابو هريرة فاردت ان اذهب
الى الرجل فابشره ثم فرقت ان يفوتني الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثرت الغداء
ثم ذهبت الى الرجل فوجدته قد ذهب عن انس قال جاء رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني احب هذه السورة قل هو الله احد فقال حبك اياها ادخلك الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق قال ابن عباس وعايشة
كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا حتى اخذ
مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه
فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم طب حتى انه ليخيل اليه انه قد صنع شيا وما صنعه وانه
دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه فقالت عايشة
وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي
فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال الاخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن
الاعصم قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في ذروان
وذروان بير في بني زريق قالت عايشة فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع
الى عايشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤس الشياطين قالت

قلت له يا رسول الله هلا اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير على الناس
شرا وروي انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا
فيه مشاطة راسه واسنان مشطه عن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل
من اليهود قال فاشتكى لذلك اياما قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود
سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها
فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما
انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راه في وجهه قط قال مقاتل والكلبي كان في
وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالابر فانزل الله عز وجل هاتين
السورتين وهي احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات
كلما قرا اية حلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما انشط
من عقال وروي انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه ثلث ليال فنزلت المعوذتان عن ابي سعيد
الخدري ان جبريل فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء
يؤذيك من شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك باسم الله ارقيك قل اعوذ برب
الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد
وقتادة واكثر المفسرين وهي رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله فالق الاصباح
وروي عن ابن عباس انه سجن في جهنم قال الضحاك يعني الخلق ورواية الوالبي عن ابن
عباس والاول المعروف من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب عن عائشة
قالت اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي فنظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله
من شر غاسق اذا وقب فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود ووقب اي دخل
في الخسوف واخذ في الغيبوبة واظلم وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا اقبل بظلمته
من المشرق ودخل في كل شيء واظلم والغسق الظلمة يقال غسق الليل واغسق
اذا اظلم وهو قول الحسن ومجاهد يعني الليل اذا اقبل ودخل والوقوب
الدخول وهو دخول الليل بغروب الشمس قال مقاتل يعني ظلمة الليل اذا دخل

سواده

سواده في ضوء النهار وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد
وقال ابن زيد يعني الثريا اذا سقطت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع
عند طلوعها ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد
الخيط حين يرقين عليها قال ابو عبيدة هن بنات لبيد بن الاعصم سحرن النبي صلى الله عليه وسلم
ومن شر حاسد اذا حسد يعني اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس يعني الشيطان يكون
ذي الوسواس الخناس الرجاع وهو الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا
ذكر الله خنس واذا غفل وسوس وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب
في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه
على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره رجع ووضع راسه
فذلك قوله الذي يوسوس في صدور الناس بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب
من غير سماع من الجنة والناس يعني يدخل في الجني كما يدخل في الانسي ويوسوس
في الجني كما يوسوس للانسي قاله الكلبي وقوله في صدور الناس راجع بالناس ما ذكر
من بعد وهو الجنة والناس وسمى الجن ناسا كما سماهم رجالا فقال وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن فقد ذكر بعض العرب انه قال وهو يحدث
جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وهذا معنى قول
الفراء وقال بعضهم اثبت الوسواس للانسان من الانسان كالوسوسة
من الشيطان فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعا كما قال تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن كانه امر ان يستعيذ من
شر شياطين الانس والجن جميعا عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم تر ايات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس عن عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

216

قال له الا اخبركم بافضل ما تعوذ المتعوذون قلت بلى قال قل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرا قل هو الله احد وقل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدا
بهما راسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلث مرات عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث
فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله
مالا فهو ينفق منه اناء الليل والنهار ورجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به
اناء الليل والنهار عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به

تم الكتاب بحمد الله ومنه والصلوة على خير خلقه محمد واله
وصحبه اجمعين وسلم تسليما دايما ابدا على يد قوام الدين بن سليمان
احقر الخلايق واذنب المذنبين المحتاج الى رحمة ربه الغفور
غفر الله له ولوالديه بفضله العظيم وبرحمة ربه الكريم
اللهم اجعل عاقبتهم محمودا بفضلك وكرمك ولطفك
يا اكرم الاكرمين ويا ارحم الراحمين يا عزيز يا كريم

ووقع الفراغ من تعليقه في اخر شهر الله الاصم
تاريخ شهر احدى عشر وعاشر سنه

[redacted] عفا عنهما